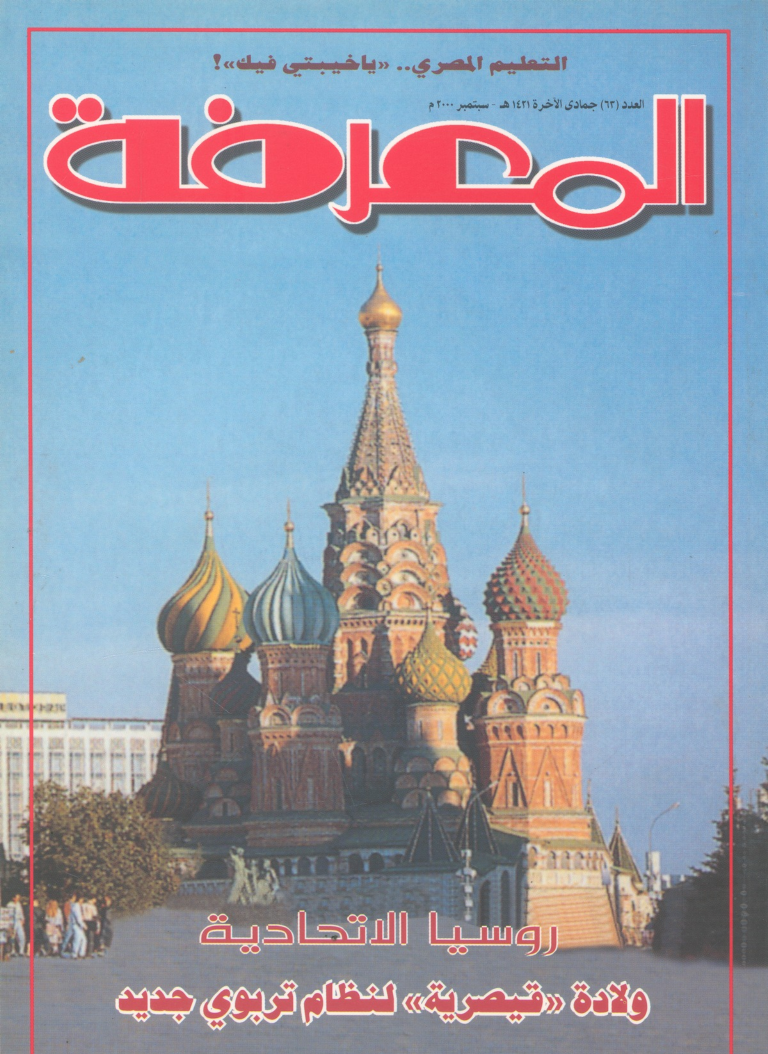
التعليم المصري.. «ياخيبتي فيك»!

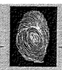
العدد (٦٣) جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ - سبتمبر ٢٠٠٠ م

المعرفة



روسيا الاتحادية

ولادة «قيصرية» لنظام تربوي جديد



في البدء

إذا كان هناك ما يمنعك من أن تعيش نبيلاً.. فليس هناك ما يمنعك من أن تموت نبيلاً!

«سينيكا»



العدد (٦٣) - جمادى الآخرة ١٤٢١ هـ - سبتمبر ٢٠٠٠م

مجلة شهرية تصدر عن
وزارة المعارف
المملكة العربية السعودية

تأسست عام ١٣٧٩ هـ في عهد
وزير المعارف صاحب السمو الملكي
الأمير فهد بن عبد العزيز
وأعيد إصدارها عام ١٤١٧ هـ في عهد
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبدالعزيز

ردمد: ٦٢٠٠-١٣١٩

البند الأول

المواد المنشورة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة المعارف.

البند الثاني

تبويب الموضوعات والمقالات في هذه المجلة يخضع لاعتبارات فنية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحصة الأولى

كثيراً ماكان باب «التعليم من حولنا» يحتاج إلى مزيد من التوسع وعرض أشمل لجوانب الحياة المختلفة في الدولة التي يُعرّف بنظام التعليم فيها.

فالتربية والتعليم نظام فرعي لايمكن تصور موقعه وفاعليته في الدولة دون النظر إلى بقية الأنظمة الفرعية من سياسية واقتصادية وثقافية وإعلامية .. إلخ.

في هذا العدد لم يكن هناك بد من التوسع والشمول في تناول تجربة الاتحاد السوفييتي والدولة النواة المكونه له «روسيا». أكبر بلد في العالم ـ على الإطلاق ـ .

دعانا للتوسع في تناول تجربة روسيا – أيضاً – محدودية المعارف عن هذا البلد لدى أعداد كبيرة من القراء العرب خصوصاً في الخليج العربي.

نأمل أن يسهم هذا الملف في التخفيف من وطأة «آب اللهاب» وأن نقرأ أوراقه مستمتعين بخيالات ثلوج سيبيريا تحف بنا.. ونحن نودع أغسطس «الرهيب».

المعرفة

في هذا العدد







المراسلات

باسم :رئيس التحرير
ص.ب ٧ – الرياض ١١٣٢١
هاتف: ٤٠ ٤٠ ٤١٩ فاكس: ٤٧ ٤٧ ٤١٩
فاكس مجاني: ٢٢٧٧ ١٢٤ ٨٠٠
Letters should be sent to:
Editor-in-chief
P.O.Box: 7 Riyadh 11321
Tel: 419 40 40 Fax: 419 47 47
Free Fax: 800 124 2277
www.almarefah.com

الأسعار

السعودية: ٨ ريالات، الإمارات: ١٠ دراهم،
الكويت: ٧٥٠ فلساً، البحرين: ٥٠٠ فلس،
قطر: ١٠ ريالات، سلطنة عُمان: ٨٠٠ بيسة،
اليمن: ١٠٠ ريال، مصر: ١,٥ جنيه، المغرب: ٨ دراهم،
سوريا: ١٤ ليرة، الأردن: ٧٥٠ فلساً،
لبنان: ٣٠٠٠ ليرة، السودان: ٣٥ جنيهاً،
أمريكا: ٣ دولارات، بريطانيا: ١,٥ استرليني،
فرنسا: ١٥ فرنكاً.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي: مئة ريال سعودي للأفراد،
ومئتا ريال للمؤسسات،
بريدياً أوعن طريق شركة التوزيع.
قيمة الاشتراك السنوي خارج المملكة ٤٠ دولاراً
«شاملة أجرة البريد»، (عن طريق الناشر).

الاعلانات

بالاتفاق مع : روناء للإعلام المتخصص

التوزيع

الوطنية  للتوزيع

مطابع
العبيكان
Obeikan



بدء العام الدراسي

دعوة مفتوحة للمشاركة

أبنائي الطلاب الأحباب:

أيها الإخوة والأخوات الآباء والأمهات.. يامَنْ تنتظرون، وتأملون، وتدعون، وتحرّضون لأجل مستقبل واعد لأبنائكم وبناتكم، يامَنْ تعلمون أن أبناءً متعلّمين متفوقين، وأعزاء أقوياء، يعنون وطناً قوياً عزيزاً، «في زمن قوة العلم وعلم القوة!»، في زمن العولمة التي لا يكاد يصدها حائط ولا حصن ولا باب، إلا قلب مؤمن سليم، وفكر ناقد بصير.

إخواني وأخواتي.. يامَنْ تهفو للأماكن المقدسة التي تتشرفون بوجودها جزءاً غالياً من وطنكم، قلوبُ الملايين من كل أنحاء الدنيا. عالم بأسره يأتيكم من كل فج عميق، أفواجاً إثر أفواج، تتوحد مناسكها، وحركاتها، ودعاؤها.

– فأنتم... وأجيالنا الحبيبة التي نتواعد معها اليوم.. تدركون الموقع الفريد الذي نشغله، في بؤرة للقوة الروحية لا يُعرف لها نظير. بؤرة انطلق منها شعارنا الرفيع:

اقرأ..

اقرأ.. ولكن بخصوصية فريدة طاهرة.

اقرأ.. ولكن «باسم ربك الذي خلق»... !

– لذا بنينا حضارة لم تعرف الاستعلاء والاعتداء في عنفوان قوتها، فسجلها التاريخ بأحرف من نور.

– فأعْلَيْنا جانب الحرية والعدالة وإعمال العقل.. ولم نبغ الفساد في الأرض، فدخلت شعوب وأمم وقوميات في دين الله أفواجاً دون إعمال لسيف أو تهديد بسلاح..!

– واختارت دين الفطرة بمجرد أن رفعنا عنها بتوفيق الله الإصر والأغلال التي كانت عليها.

* * *

أبنائي الطلاب.. إخواني المعلمين.

إني وزملائي ندرك أهمية مسؤولية وزارة المعارف في تربية أجيالنا إدراكاً عميقاً، كما ندرك مدى ترامي عناصر تلك المسؤولية، ونشفق من ثقل أمانتها؛ ذلك لأن أمانة «تربية» و«تعليم» الأجيال، هي التي تحدد مكانة كياننا السعودي خاصة «وأمتنا» بعامة.

– ونعلم يقيناً أن للتربية صلة وثيقة بالقدرة على المنافسة الدولية القائمة على الركنين المحددين للقوة:

– الأول: القدرة على التعلّم، وتعلّم كل جديد!!

– الثاني: القدرة على التفوق فالابتكار فالثراء فالتمكن!!

– ولعلنا نذكر بأن ما يفوق ذلك في الأهمية تحصيل «القوة المعنوية» أو حيازة «الإيمان والروح» التي يمكن أن «تولّد» و«تحرك» طاقات التعلّم وتشعل رغبة المتعلم في التفوق، بل التي تغني البيئة الوطنية كلها من آباء وأمهات، ورجال فكر، وإعلام، وأعمال، بحيث تموج حياة المجتمع كلها بالرغبة في التعلّم والتفوق وتندفع تلك الروح في عروق الأجيال المتعلمة من بنين وبنات، فتأتي إلى المدارس وقد استيقظ النائمون وتوهج الخاملون...!

* * *

– «لماذا أسند الله للرسل مهمة تربية الشعوب وتعليمها؟».

– «ولماذا كان الرسل معلمين؟ من البداية للنهاية!!»

– أقول: إنها لحكمة بالغة، فقد اقتضت صفات هؤلاء المعلمين ألا يكونوا معنّتين أو متعنّتين، ولكن الله بعثهم «مبشرين ميسّرين».

لأن الروح الإنسانية تستقبل مُشْرَقَةً باليسر ما ترفضه بالفظاظة، فتنغلق دونه أبواب العقل والقلب، وتقبل بالحوار

الافتتاحية



محمد بن أحمد الرشيد

والإقناع ما لا تقبله بالإكراه والقيود!! ﴿فبما رحمة من الله لِنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾.

– إن «شفرة انشراح صدر المتعلم» يوضحها سر بعثة الرسول المعلم ﷺ كما تجلت في مفردات الرحمة.

– ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾، ﴿ هدى ورحمة ﴾ ﴿شفاء ورحمة للمؤمنين﴾. وقد استخلص العلماء من هذا المنهج معالم يقرؤها طالب العلم تحت عنوان «حقوق الأبناء على الآباء والمعلمين، فهي حقوق تؤدَّي لتصل كاملة غير منقوصة وإلا كان المكلف أباً أو معلماً آثماً بقدر ما حرم صاحب الحق من حقه...!».

– وإذاً فهي ليست مجرد أقوال!!

– إن التربية على «القسوة» ودون استماع لوجهة نظر المتعلم هي «تربية أقنان وعبيد» تسهم في صناعة خاسرة تقدم للأمة «أجيالاً قليلة الجدوى والنفع».

* * *

– هذا ومع دخولي في المعترك التنفيذي لمسؤولية التربية والتعليم، أدركت أكثر وأكثر لماذا لا يمكن أن يحمل فرد أو جماعة أو وزارة واحدة مهما اتسعت إمكاناتها مسؤولية التربية والتعليم. أدركت أنها شأن من الشؤون التي يتقاسم أبناء الوطن جميعاً فيها المسؤولية، وتتحمل الأمة بأسرها مسؤولية تحريكها وتعظيم شأنها، وتجويد نوعيتها.

وسوف نلاحظ أنه مع أن صفة الرسل الربانية بوصفهم معلمين، ومع وجود الزاد السماوي في مواجهة الصعوبات والمواقف فقد اقتضت حكمة الله وجود سنن جماعية للمسؤولية التربوية في الأمم المتعاقبة، منها:

– أن يكون للرسول ﷺ «صحابة»..!

– أن يكون للمسيح عليه السلام «حواريون».

– وأن يكون لموسى عليه السلام أخوه هارون، ردءاً ومدداً فصيحاً يشدّ أزره في تبليغ الرسالة!

– ولذا فقد حُقَّ لمن يعمل في مجال هذه الأمانة الثقيلة، ويحمل مفاتيحها التي تنوء بها العصبة أولو القوة أن يدعو الله سبحانه بمثل هذا الدعاء:

رب.. لا تذرني فرداً..... واشدد عضدي بإخواني..

وأظن أن الناس، كل الناس، كل حسب قدرته، عليه أن يشارك في حمل أمانة العملية التربوية التعليمية، فهي إذاً دعوة مفتوحة للمشاركة.

إنني أراها أمانة مُلْزِمة بوصفها من واجبات الدفاع عن الأمة.

والسؤال: هل ثمة دفاع دون التزود بكل علم عصري في مجتمع يسعى لإثبات وجوده؟

إن عملية التعليم والتعلّم، مسؤولية مجتمعية تبادلية، وهي تتجلى في ذلك القول المترع بالحكمة التربوية للرسول ﷺ إذ يقول:

– «ما بال أقوام لا يفقّهون جيرانهم ولا يعلّمونهم ولا يعظونهم ولا ينهَونهم؟

– وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقّهون ولا يتّعظون؟

– والله.. ليعلّمَنّ قومٌ جيرانهم ويفقّهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وليتعلّمَنّ قومٌ من جيرانهم.. ويتّعظون أو لأعاجلنّهم بالعقوبة».

وقد كان هذا الدّفْعُ «للتعليم والتعلم»، ضمن برنامج زمني صارم محدد المدة، وقد أمهل الرسول ﷺ هؤلاء المقصرين «تعليماً وتعلّماً» عاماً واحداً لتطبيقه.



– وما سمعت بمثل هذا القول الجليل الحكيم من قبل في أي إرث تربوي لأمة من الأمم، يسرع بها جماعياً إلى المعرفة والتربية في آن واحد «فإذا البيوت مدارس»، وإذا بالقرار النبوي يصدر فتتحول الأمة إلى فريقين.

أحدهما: معلمون، والآخر: متعلمون، وفي نطاق الجوار يثبت القول: «كلٌ مسؤول عن جاره –يعلّمه ويعظه –والآخر يسعى سعياً ليتعلم ويتفقّه ويتّعظ».

* * *

– ينبغي هنا أن أوجز القول: إن جوهر أي أزمة تمر بالأمة، هي تربوية وتعليمية، أزمة قيمة ومعلومة، وترتيب للأولويات.

– إن وعي الأمة بهذه القضية ينبغي أن يكون بالحد الكافي.

* * *

ولابد من التأكيد على أن أزمة الأمة ومعاناتها ترتبط حاضراً ومستقبلاً بتخلف مستوى التربية والتعليم فيها، وكذلك انفراج الأزمة يرتبط بتبنيها لتربية فاعلة تكون لها أولوية استراتيجية، وبتقلد مؤسسات التعليم دورها الأصيل «متبوعة لا تابعة».

– والأزمة التعليمية هي في جوهرها أزمة معلم.

– إن منهجاً رفيعاً لا يمكن توصيله إلا «بمعلم كفء».

– وإذا كانت خلاصة العملية التعليمية الناجحة: انشراح صدر، وقدح ذهن، فإن المحرك خلفهما «منهج ومعلم»: إن المعلم هو رأس العملية التربوية، كما قال أبو حنيفة– رحمه الله–، وهو يشرح الصدر أو يغمه، ويقدح الذهن أو يبلّده!

– إن مصادر المعرفة قد تعددت اليوم، وصارت تتم عن طريق البثّ وصولاً لمدرسة المنزل وبشكل لحظي، متجدد الإبداع والإضافة بمختلف الوسائط وبالبرامج الشائقة.

– والسؤال المطروح: هل مازال دور المعلم باقياً: ناقلاً، وشارحاً، ومثيراً للمعرفة؟

وهب أننا جئنا قبل ابتداء الدراسة بقليل وقد تهيأ الناس والأبناء لدخول المدارس، فإذا ببيان يصدر مقرراً إغلاق المدارس وتحويلها إلى نواد علمية واجتماعية، أو مصانع صغيرة أو مختبرات، وهذا يعني أن المدارس سوف تصبح أثراً من الماضي، ومن عصر ما قبل الإليكترونيات!

– الحقيقة أن ما ذكرته ليس خيالاً علمياً محضاً. فقد طبقت هذه الفكرة جزئياً بعض الدول الصناعية الكبرى، واستبدلت بالمدرسة نظماً للمعلومات تصل الطالب بالمعلومة وهو في عقر داره.

– ومع ذلك فإني أعتقد أن «دور المعلم سيبقى»، ولكنه ينبغي أن يتبدل، وسوف يكون أثره في تربية العقل والوجدان أسبق وأكثر فاعلية وخطورة من حيازة المعلومة. ذلك أن التربية على الحوار، ومبادلة الحجة بالحجة والقدرة على الانتقاء والتحليل والتفكير الإبداعي هي من أعمدة إقامة المجتمعات.

– وإذاً فليس بالمعلومة وحدها تتحقق الحياة المتقدمة الرفيعة..!!

– إذ الغاية القصوى هي معرفة الله سبحانه، وعبادته حسبما شرع. وإعمار الأرض بما يحقق مصلحة الإنسان وفق توجيهات الرحمن هو الهدف النهائي لاستخلاف الله الإنسان في الأرض، وليست اللذّة، مهما تجمّلت، أو اتساع دائرة النهم الاستهلاكي هما المقياس! لقد اسقطت اللّذة والنهم دولاً وحضارات عظمى في الماضي، ويمكن لها أن تفعل ذلك مرة أخرى: ﴿سنّة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلاً ﴾.

* * *

– على أنه لكي يستمر أثر المعلم في زمن تدفق المعلومات وجاذبية عرضها، أثراً مهماً، فلابد له من تدريب مستمر، وبرامج مستحدثة، حتى لا تنقطع صلته بما يستجد من شؤون معرفته بالعالم، فتقع بينه وبين من يتابع معطيات العلم «فجوة معرفية» تفسد عليه طريق الترقي. وشأن المعلمين كشأن الضباط في الجيوش المتميزة والباحثين في المختبرات، لابد لكل منهم من «التدريب المستمر» إلى جانب الإيمان برسالة المهنة الرفيعة.

* * *

دعوني –وأنا أتحدث عن أثر المعلّم في التربية الأخلاقية وفي السلوك وأهمية ذلك عملياً– أذكر إحصائية واحدة عن المرور في بلدنا الحبيب. تقول لنا إحدى آخر الإحصائيات (عام ١٤١٩هـ): إن عدد القتلى في حوادث السيارات في المملكة العربية السعودية يبلغ سنوياً ٤٢٩٠ قتيلاً. كما يصاب نتيجة لهذه الحوادث ٣١,٠٥٩ جريحاً، معظم هؤلاء الضحايا من بين حبات القلوب والأكباد، من أبنائنا الشباب في المدارس والجامعات. لذا فقد كان تحركنا وإشارتنا ودقّنا للأجراس واجباً يمليه الاختصاص وإعزاز هذه الأرواح الغالية التي لا تقدر بمال عندنا وعند ذويها، وهي في النهاية خسارة للوطن والمجتمع والأُسر بما يمس القلوب مسّاً عنيفاً.

أما الخسارة المادية لتلك الحوادث فحدّث عنها ولا حرج، فهي تفوق التصديق!!

إن خسارة هذه الحوادث قد تفوق في بعض التقديرات ميزانية وزارة المعارف بكاملها. إنها مبالغ طائلة تسيل من بين أيدينا، ونحن جميعاً مسؤولون عنها.

إن برنامجاً تربوياً ناجحاً على أخلاق المرور وقواعده وآدابه، يستجيش ضمائر الأمة في هذا الشأن يقي -بإذن الله- الكثير من شبابنا الهلاك على طرقاتنا وبين بيوتنا وقرانا ومدننا، ويحفظ لنا مئات الملايين التي يمكن أن توفر الألوف من فرص الوظائف الجديدة للراغبين، وتبنى بها مصانع، وتنشأ بها مدارس، بل وجامعات ومراكز أبحاث بميزانيات وفيرة.

إني أريد أن أقول: إن برامج التربية الأخلاقية ليست قيماً مهومة في عالم المثل والخيال، بل إنها تمثل نفعاً محضاً خالصاً مخلصاً في عالم الواقع.

هذا أمر واحد من بين أمور كثيرة تكشف عن الفائدة العظمى للتعليم والتربية الأخلاقية على مستوى الأمة كلها.

وعلينا أن نعي: أنه ليس بالتعليم وحده تتقدم الأمة؛ إذ لابد للصفوة القيادية.. بل ولكل فرد في الأمة أن يؤمن، ثم ينادي بأهمية البرنامج الأخلاقي والتربية الأخلاقية التي يمكن أن نراها واقعاً مجسداً، وأرقاماً تحليلية إحصائية.

* * *

إذا كان التنبيه على الأخطار من أوجب واجبات الأمناء، فإن كشف العيوب والأمراض المجتمعية هو دليل العافية المؤسسية ودليل يقظة حراسة المجتمع ووعي أفراده.

إن الجسم القوي هو الذي يعطي المؤشرات عندما تهاجمه العلل والأمراض. والتشخيص السليم الصادق دون تهوين أو تهويل هو مقدمة العلاج الناجع الناجح. وكما يقول آباء الطب: اعرف الماضي، شخّص الحاضر تنبأ بالمستقبل.

* * *

إن تحديات العولمة.. والتهديدات التي تتلقاها «الذاتية الوطنية»، و«القومية» و«الدينية» والسرعة الفائقة للمتغيرات والمبتكرات، وانفلات القوة من عقالها لدى من يملكها.. تحتم على المجتمعات التي ترغب أن تدافع عن بقائها، أن تتبنى معادلة رشيدة لصناعة القوة لا لتحدّيها. هذه الصناعة التي ترتكز على خامات المعرفة والتفوق يسبقها إيمان وروح معنوية عالية.

إن الأمم لا تولد متفوقة، بل إن التفوق صناعة لها قانونها.

وفي دراسة عن التفوق والعبقرية شملت عدداً من العباقرة في العلوم والفنون والآداب، وُجد أن التفوق: ٦٠٪ منه عرق، ٣٠٪ أرق، ١٠ موهبة، فالإنسان يصير عبقرياً ولا يولد عبقرياً، وإن امتلك بذور العبقرية في ذاته.

وبصرف النظر عن دقة تلك الدراسة يمكننا أن نقول: إن أعمدة صناعة التفوق ثلاثة:

١- معرفة بالهدف والطريق إليه.

٢- عمل بلا كلل.

٣- قدرة على الاستمرار والصبر.

* * *

أيها الآباء والأمهات والمعلمون والمعلمات..

أيها الأبناء:

دعوني أذكركم بـ«مشروع عبدالله بن عبدالعزيز وأبنائه الطلبة للحاسب الآلي»، هذا المشروع العملاق الذي يرعاه ويشجعه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز -حفظه الله- ويتبناه ويدفع به ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ويحيطه باهتمامه ودعمه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز، هذا المشروع تتمثل غايته العظيمة في تمكين أبناء الوطن من امتلاك ناصية التقانة، والحصول على المعلومات النافعة عبر شبكة إلكترونية، محلية وعالمية، منذ المرحلة الابتدائية، وربط كل المدارس بشبكة تعليمية واحدة مع إتاحة الفرصة للطلاب وأولياء الأمور في منازلهم من التعاون مع معلميهم وأجهزة مدارسهم، ونحن مدعوون جميعاً إلى استثمار أمثل لهذه الفرصة الفريدة العظيمة.

وعلينا أن نعي الرسالة التي وجهها سمو الأمير عبدالله إلى أبنائه الطلاب ومما جاء فيها قوله:

«واليوم يا أبنائي: أخاطبكم -من خلال هذه الرسالة- مستثيراً كل راكد في النفوس، متوكلاً على الله، ثم عليكم وعلى وعيكم، وروح خلاقة تغذت -ومازالت- على آمال الوطن وأمنياته في أن نزاحم بالمناكب أمماً سبقتنا في هذا المجال. فلنأخذ عنها كل نافع بنفعه، ولنزدري بأخلاقنا وقيمنا، وقبل ذلك بإيماننا بالله كلّ دخيل عليها وعلينا، ولننهل من معين العلم صفو الشرب، خدمة لديننا وأمتنا، وليكن ذلك حاجة لا ترفاً، فالأمم تقاس مكانتها بالعطاء الذي يؤثر ويغيّر، وما أجمل ذلك إذا جاء متسقاً ونابعاً من نقاء ديننا وأصالة أخلاقنا».

أيها الأبناء، أيها الزملاء، أيها الإخوة والأخوات:

إني أرى ملامح يقظة واعدة قادمة بإذن الله لا تخفى على عين الراصد البصير، وأرى إقبال الملايين جيوشاً في التعليم في أمة فتيّة معظمها من الشباب، تنعش الصدور بالآمال. والتحولات التي تجري في العقل والقلب كالأنهار الكبرى تشق طرقها فتذيب صخور العقبات وتحولها تبراً في أودية الأفكار، فتزهر «وسطيّة إسلامية» صالحة مصلحة، في رسالتها رحمة للعالمين.

حفظ الله بلادنا وصانها من كل مكروه في ظل قيادتنا الحكيمة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. ■

مكتبة العبيكان

كما يجب أن تكون المكتبة















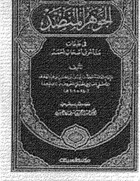














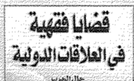














مكتبة العبيكان

كما يجب أن تكون المكتبة

العبيكان Obeikan

Obeikan Bookshop

الرياض: تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة . هاتف: ٤١٦٠٠١٨ . ٤٦٥٤٤٢٤

الأحساء: مركز البستان التجاري . طريق الثريات . هاتف: ٥٨٦٤٦٦٦

زورونا على شبكة الأنترنت العالمية وتسوقوا مباشرة

www.arabiclibrary.com

www.anhar.com www.ohi.com.sa



موضوع الغلاف

ذهل العالم أجمع عندما أطلق الاتحاد السوفييتي في أبريل ١٩٦١م أول رائد للفضاء الخارجي.

وكانت الولايات المتحدة الأمريكية الأكثر تأثراً بهذا التفوق الروسي الذي جاء فترة الحرب الباردة بين الطرفين، وطفق الأمريكيون يراجعون نظم التعليم وبرامجه التي لم تستطع أن تسبق السوفييت في ارتياد الفضاء.

لقد استطاع الاتحاد السوفييتي أن يحقق إنجازات كبيرة في مجال التعليم والأبحاث العلمية، ولكن تلك الإنجازات لم تستمر وواجهت، كما يصف ميثم الجنابي، «صعوبات جمة عند تخوم الثمانينيات بسبب استنفاد العقيدة الأيدولوجية، السائدة آنذاك، قدرتها على الفعل في الظروف المستجدة... كما لم تؤد محاولات الإصلاح الأولية في الثمانينيات إلى نتائج إيجابية، وتعرضت مع مجرى البروسترويكا إلى فشل ذريع».

تفكك الاتحاد السوفييتي، الدولة العظمى وانهارت التجربة الشيوعية بنظامها الاقتصادي والثقافي ورؤيتها للإنسان والحياة، وهاهي الدول المكونة للإمبراطورية السوفييتية تتلمس طريق التحول الجديد.

روسيا
رواية .. «التحولات والآلام»

وفي روسيا الاتحادية، الوريث الأكبر للاتحاد السوفييتي، تتجلى صور التحول واضحة على أكثر من صعيد.

ففي مجال التربية والتعليم يواجه الروس أزمات مركبة ومربكة إلى حد بعيد، فالنظام التعليمي المشتق من الرؤية الشيوعية لم يعد قادراً على تحقيق متطلبات التوجه الاقتصادي والسياسي الجديد، ومن الصعوبة بمكان أن يتم التحول الفجائي والسريع في النظام التعليمي، ومكوناته البشرية على وجه الخصوص.

فكيف يمكن للأجيال التي «تعلمت» و«تربت» على معطيات الأيدولوجيا الشيوعية الشمولية أن تتحرر بين عشية وضحاها إلى طريقة جديدة في التربية والتعليم والتفكير والحياة، بل ويطلب منها تنشئة الجيل الجديد، الحاضر، ليتوافق سريعاً مع متطلبات التحول الجديد.

أردنا في المعرفة أن نتقصى «الحكاية» من جذورها، وأن نلم بها من أطرافها.. فنستعرض التجربة السوفييتية بشمولها، ونخص التربية والتعليم في روسيا الاتحادية، متطرقين إلى الوجود الإسلامي فيها، ومتحدثين عن علاقة الروس بالثقافة العربية مع تخصيص مساحة للتعريف بالأدب الروسي ورموزه الكبار الذين أوصلوه إلى العالم.



إذا كان العلم يفترض من حيث منطقه تنوير الرؤية الإنسانية تجاه النفس والكون، فإن تقاليده تستلزم ترسيخ هذا المنطق، وهي معادلة صعبة من حيث تأسيسها النظري وتطبيقها العملي، لأنها تستلزم سريانها المتجانس والفعال في منظومة متكاملة للتربية والتعليم.

فالصراع الواقعي والمنطقي بين العلم والتقاليد هو صراع الشكل والمضمون، الوسيلة والغاية، المنهج والمنظومة، ومن ثم فإن خلل أحدهما يؤثر على الآخر، فكما تحفظ التقاليد إنجازات البحث العلمي، كذلك يعيد الإبداع العلمي تأسيس ذاته من خلال المدارس المستتبة (التقاليد). وفي الواقع لا علم حقيقياً وثابتاً وراسخاً في الوعي الاجتماعي والثقافي للأمم دون تقاليد مدرسية حقيقية وثابتة وراسخة. وليس هناك ميدان تتجلى فيه إنجازات العلوم

من الشيوعية إلى الليبرالية.. التعليم في روسيا:

ولادة «قيصرية» لنظام تربوي جديد

ميثم الجنابي*
موسكو

ومدارسها كالتربية والتعليم. من هنا تأتي القيمة الحية والأثر الهائل للنسبة بين العلم والتقاليد في التربية والتعليم. إذ فيهما يتجسد كيان الثقافة القومية، كما يتكشف فيهما تاريخه السياسي والاجتماعي، المادي والروحي. وهي نتيجة أدركتها الثقافة الإسلامية منذ قرون، ووضعتها على لسان أحد شيوخها في قوله «من لا شيخ له فأستاذه الشيطان» وليس المقصود الثقافي بالشيخ هنا سوى التقاليد، ومن لا تقاليد علمية عنده فإنه يسبح في تجريبية فارغة، فالشيخ هو المنهج والشيطان هو غياب المنهج. لأن المنهج هو حصيلة التقاليد العلمية الضابطة، بينما غيابها هو الولوج في دروب التكرار العقيم ولعل التاريخ الروسي في تعامله مع تقاليده الخاصة يقدم عبرة لها مغزاها العلمي والثقافي.

* أستاذ في الجامعة الروسية.

المرحلة القيصرية: مرحلة النشوء والتأسيس

عادة ما يجري ربط نشوء علم التربية والتعليم الروسي ببدايات القرن الثامن عشر، الذي ترافق تاريخياً وثقافياً مع الإصلاحات الراديكالية الكبرى التي أدخلها بطرس الأول (١٦٧٢-١٧٢٥) على كافة نواحي الحياة الروسية، وعلى أثرها توسعت المؤسسات التعليمية، ومن بعدها ظهرت أولى بوادر النظم الفكرية للنظرية التربوية، التي حاولت التأسيس لضرورة وجود نظام حكومي وطني عام للتربية والتعليم، وأخيراً مرحلة الإصلاح التعليمي الأول الذي طالب بوضع برنامج جديد لنظام التعليم الوطني.

إن هذه المراحل الأربع الرئيسة المميزة للقرن الثامن عشر، شكلت من حيث نتائجها مقدمة التأسيس التاريخي لتقاليد التربية والتعليم في روسيا.

فقد كان القرن الثامن عشر قرن التحول الحاسم بالنسبة لتاريخ التربية والتعليم في روسيا. لقد وضع أسس التربية المعاصرة في روسيا، وأحدث تغييراً هائلاً في ذهنية الشعب الروسي، وأرسى مقدمات الانتقال إلى مجتمع يهتم بالفرد الإنسان وتطوير ملكاته العقلية والبدنية، حينها ظهرت أولى المدارس والفلسفات التربوية والتعليمية الروسية.

ويعتبر بوسشكوف ا.ت (١٦٥٣-١٧٢٦) من بين أوائل المنظرين الروس، الذين تمثلوا نتائج الإصلاحات البطرسية وحاولوا عكسها نظرياً في الموقف من التربية والتعليم، فقد وضع بوسشكوف آراءه في «وصية أبوية» عكست في رؤيتها ومزاجها تداخل إصلاحات بطرس الأول وما قبلها من مراحل التاريخ الروسي، لقد انعكست في مواقفه بقايا روسيا الأبوية النصرانية المتداخلة في الوقت نفسه مع الإعجاب الكبير بإصلاحات بطرس الأول (الأوروبية)، فهو يدعو للتمسك بتقاليد الروس الأرثوذكسية، كما يدعو أيضاً للقضاء على الجهل والأمية بين الفلاحين والنساء (١).

في حين طالب فيدور بروكوبفتش (١٦٨١-١٧٣٦) بالتعليم الدنيوي الخالص على الطريقة الأوروبية مستنداً بذلك إلى مبدأ «المرء على قدر تعليمه»، بينما دعا تاتيشف ف.ن (١٦٨٦-١٧٥٠) إلى نظرة عملية نفعية في التربية والتعليم، استناداً إلى نظريته عن وجود علوم نافعة وأخرى مسلية وثالثة مثيرة (غير نافعة) ورابعة مضرة(٢)، وتوجت هذه المرحلة بإبداعات مؤسس العلم الروسي لومونوسوف م.ف (١٦٧١-١٧٦٥)، الذي دعا إلى ديمقراطية التعليم وإدخال العلوم الطبيعية بشكل إلزامي إلى المدارس وطالب بإلقاء المحاضرات باللغة الروسية(٣).

شكلت المرحلة البطرسية مقدمة التحولات المادية والروحية الهائلة في روسيا القرن التاسع عشر. وبلغت هذه التحولات ذروتها حينذاك بصعود بكاترينا الثانية (١٧٦٢-١٧٩٦) إلى سدة الحكم، فقد تأثرت في بداية حياتها بالفكر التنويري الأوروبي، وبالأخص بآراء جون لوك في كتابه (أفكارحول التربية) وبالنظريات التربوية عند مونتين وفينيلون وجان جاك روسو، بحيث طلبت من التنويري الفرنسي ديدرو كتابة مشروع للجامعة الروسية، إلا أن آراءها تعرضت إلى تغير كبير في أواخر حكمها كما هو جلي في مواقفها المعارضة بل وسجنها ونفيها لكبار الشخصيات التنويرية الروسية مثل نوفيكوف .ن. (١٧٤٤-١٨١٨) وراديتشف.أ (١٧٤٩-١٨٠٢)، فقد قسم الأول منهاج التربية إلى قسمين بدني وذهني، وجعل من وحدتهما أسلوباً لصنع الإنسان المواطن، بينما ربط راديتشف كما هو الحال عند روسو، تقدم المجتمع بتقدم التربية المبنية على مبادئ العدل وسعادة المجتمع (٤).

أدت هذه الأفكار التي وجد الكثير منها تجسيده في العمل التنظيمي لشخصيات تربوية كبرى مثل بتسكي إ.ف (١٧٠٤-١٧٩٥) ودي مارييفو (١٧٤١-١٨١٤) وغيرهم، إلى نتائج كمية وسعت عدد المدارس والأستاذة والطلبة، وإلى تغيرات نوعية في وسائل ومناهج التربية والتعليم وإصلاحهم(٥).

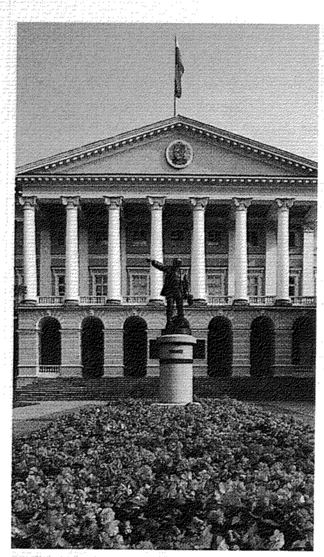
تجاوزت روسيا القرن الثامن عشر الحدود الضرورية الأولية لنشوء وتطور التعليم الدنيوي المعاصر، ومهد هذا بدوره إلى تطور التعليم في القرن التاسع عشر، دافعاً إياه إلى مداه الأقصى من خلال وضع الأسس المنظومية المتجانسة للتربية والتعليم على مستوى الدولة والمجتمع والأفراد، مما افترض بدوره ضرورة الإصلاح، باعتباره أيضاً الإشكالية المتجددة للعلاقة بين التقاليد المتراكمة في مجرى القرن الثامن عشر ومتطلبات العلم بوصفه قوة تثويرية وتنويرية دائمة، في القرن التاسع عشر.

فقد تراكمت في مجرى القرن التاسع عشر عناصر النظام الوطني الدنيوي (العلماني) للتعليم والفكر التربوي.

ففي النصف الأول من القرن التاسع عشر جرى تطور الفكر التربوي والتعليمي في ظل ظروف قاسية نسبياً وأزمة مستفحلة للنظام الاجتماعي والاقتصادي في روسيا (نظام القنانة)، ووجد ذلك انعكاسه في ظاهرة التطور النوعي للتعليم على حساب التطور الكمي، وذلك بفعل إبعاد الفلاحين (الذين شكلوا الأغلبية المطلقة آنذاك) عن المساهمة في العملية التربوية- التعليمية-، ووجد هذا التناقض انعكاسه السياسي في حركة الديكابريين لعام ١٨٢٥، والتي اشترك فيها الجزء المتنور والديمقراطي الثوري من الأرستقراطية الروسية. وبتأثيرها أيضاً تبلورت الفئة الاجتماعية الجديدة التي حصلت في ستينيات القرن التاسع عشر على تسمية الأنتلجينسيا (المثقفون). وهي الفئة التي مثلت التيار الديمقراطي الإنساني التحرري في معارضته لتيار السلطة القيصرية ومبادئها الكبرى الثلاثة (الحكم الملكي المطلق والقومية المتطرفة والكليريكالية-الكنسية).

مثّل التيار الديمقراطي الثوري والتحرري التنويري حتى ستينيات القرن التاسع عشر الهواجس والمشاعر والرغبات الشعبية الآخذة في التوسع عن ضرورة التعليم الوطني العام، وشأن كل فكرة جوهرية سائدة في المزاج الشعبي العام والخاص، كان لابد لها من الحصول على تفسيرات وتأويلات متنوعة ومختلفة، مرتبطة بالاجتهاد الشخصي والاجتماعي للمفكرين. ووجد هذا الخلاف والتنوع صيغته الأولى حينذاك (والمستمر إلى حد الآن) بين ما يسمى بالتيار الغربي (الأوروبي) والتيار الوطني (أنصار ومحبي النزعة السلافية). ومثل التيار الأول شخصيات لامعة في الفكر والتاريخ الروسي منهم اوديفسكي ن.ن.(١٨٠٣-١٨٦٩)وبيلينسكي.غ (١٨١١-١٨٤٨) وهيرتسن (١٨١٢-١٨٧٠) وأوغاريوف ن.ب- (١٨١٣-١٨٧٧) وغيرهم.

فقد وضع أودويفسكي آراءه التربوية في رسالته عن (الأساليب التربوية في المراحل الابتدائية لتعليم الأطفال) التي بلور فيها فكرة الدور الحاسم للتعليم والعلم في حياة المجتمع والفرد. واعتقد بأن العلم يسالم الإنسان مع الإنسان، والإنسان مع الطبيعة والطبيعة مع الطبيعة. واعتبر الرقي الأخلاقي للإنسان الغاية النهائية للتربية والتعليم. وجعل من استقلال الطفل مقدمة بلوغ هذه الغاية (٦).



أما الثالوث الثوري الروسي (بيلينسكي وهيرتسن وأوغاريوف) فقد انطلقوا من تأويلهم للصفات القومية الروسية، معتقدين بأن ما يميز الروسي هو سعيه وإعجابه بالتحولات الاجتماعية. وإذا اخذنا بعين الاعتبار أن آراءهم تبلورت تحت تأثير الفكر التحرري لرادتشف والديكابريين وبوشكن والتنوير الفرنسي والفلسفة الألمانية، فإن من الممكن فهم انتقاد هيرتسن لما أسماه بالروح العبودي والانضباط العبودي والصمت العبودي المتغلغل في أسلوب التربية والتعليم المدرسيين في روسيا آنذاك. في حين دعا بيلنسكي إلى جعل التعليم وطنياً شكلاً ومضمونا، وكذلك إلى تعميق الروح الإنساني في التربية، ولكن من خلال المثال الوطني. وكرر بهذا الصدد آراء روسو عن أن التربية لا ينبغي أن تبحث في الطفل عن شاعر أو موظف بل عن إنسان أولاً وقبل كل شيء، بينما اعتبر أوغاريوف غاية التربية والتعليم هي بناء وغرس قيم الشرف والضمير والحق

والمواطنة. لذا وقفوا جميعهم ضد التمييز الديني والاجتماعي، ودعوا إلى ربط التعليم بالعمل النافع. ووضعوا خطة لإعادة تربية المجتمع بروح الجماعية المميزة حسب اعتقادهم للإنسان الروسي(٧).

أما أنصار ومحبو السلافية، كما هو الحال عند كيرييفسكي إ.ف (١٨٠٦–١٨٦٥) وخوميكوف ا.س. (١٨٠٤–١٨٦٠) فقد دعوا للحفاظ على التقاليد الروسية الأصلية، التي أدرجا فيها الدين (الأرثوذكسية الروسية) والأخلاق ووضعا هذه العناصر في أساس تصوراتهم وأحكامهم عن النموذج الأمثل للتربية والتعليم الوطني في روسيا.

التأسيس الفكري والنظري المنظومي للتربية والتعليم

شكلت الحصيلة السابقة مقدمة التحولات العاصفة الكبرى لسياسة التربية والتعليم الحكومية في القيصرية الروسية، وكذلك لتطور الفكر النظري التربوي، فقد كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر «العصر الذهبي» للمرحلة القيصرية. إذ تشكلت فيه وتكاملت بدايات الانتقال من المدرسة التقليدية إلى المدرسة العصرية.

فقد كانت الفكرة السائدة في السياسة والدولة والمجتمع حينذاك هي فكرة المدرسة الوطنية (الشعبية) العامة. وتغلغل في الوعي الاجتماعي العام آنذاك اليقين القائل، بأن التنوير والتربية والتعليم هم وسائل تغيير الحياة وتحسينها، وتعمق في الفكر النظري والتربوي والاهتمام بالإنسان عبر دراسة مختلف متطلباته الاجتماعية. وأصبح الاهتمام بالتربية والتعليم وظهور الجمعيات والمؤسسات والجرائد والمجلات المتخصصة مؤشراً عليه.

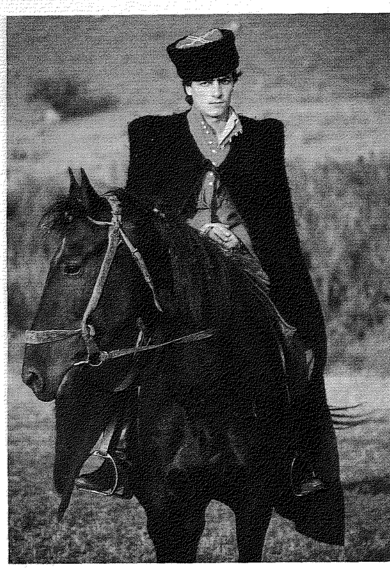
وتحول إلغاء القنانة عام ١٨٦١ إلى بداية الانقلاب الكبير في العلاقات الاجتماعية والروحية. وصاحب ذلك تحول كبير في الموقف من التربية والتعليم، وبالأخص توسع مداه وعمقه الديمقراطي والاجتماعي. إذ تحولت مشكلة التربية والتعليم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى قضية سياسية وطنية كبرى ساهم في تحليلها والتعليق عليها وإثارتها وإدخالها في الوعي الاجتماعي الروسي أساطين الفكر الديمقراطي الثوري مثل تشيرنيشيفسكي ن.غ (١٨٢٨–١٨٨٩) ودبرولوبوف ن.أ (١٨٣٦–١٨٦١) وبيسريف ن.أ. (١٨٤١–١٨٦٨).

فقد انطلق تشيرنيشيفسكي من إدراكه لوحدة النظام السياسي والحالة الاقتصادية والتعليم. واعتبر المثال التربوي ذاك الذي يقدر على صنع الإنسان المتنور المتكامل روحياً وعلمياً. وانطلق في أحكامه هذه مما أسماه بالمبدأ الانتروبولوجي القائل بأن الإنسان وحدة واحدة متكاملة تؤثر فيه مكوناته الطبيعية والاجتماعية والثقافية. وبما أن إحدى خصائص الإنسان هي النشاط والحاجة إليه لذا اعتقد أن تربية الجوانب المعرفية والعقلية والجمالية والعملية ضرورية لتكامل الإنسان.

وبنفس الاتجاه سارت آراء ومواقف دبرولوبوف وبيسريف. لكن إذا كان بيسريف يشدد على فكرة «التربية الحرة» المعارضة لما أسماه بالقهر التربوي المسلّط على شخصية الطفل، فإن دبرولوف شدد على المبدأ الانتروبولوجي. لذا افترض في التربية والتعليم أن يساهما بتطوير ملكات الإنسان العقلية والبدنية والأدبية. وجعل من آرائه هذه مقدمة مواقفه الثورية من العلاقات السائدة المعرقلة لتطور الإنسان وحريته. إذ وجد في التربية السائدة آنذاك أسلوباً لقتل الإنسان الداخلي (الكامن) في الطفل. وهي فكرة سعت لوضع الشخصية الإنسانية في صلب اهتمام التربية.

إلا أن الفلسفة النظرية والعملية التي نظمت تجارب روسيا القرن الثامن عشر والتاسع عشر في ميدان التربية والتعليم، هي تلك التي صاغها أوشينسكي ك.د. (١٨٣٤–١٨٧٠). انطلق أوشينسكي من المبدأ الأنتروبولوجي، وشدد أيضاً على ضرورة التأسيس الفلسفي للتربية. واستقى رؤيته هذه من حصيلة تجارب الفكر الاجتماعي الروسي والتنويري الأوروبي. وحصل ذلك على تجليه الخاص في مبدأ الوطنية (الشعبية). واعتقد أوشينسكي بأن هذا المبدأ في روسيا ينبغي أن يتجسد من خلال أولوية اللغة القومية، باعتبارها مادة التحصيل المدرسي. وتحولت فكرة التربية والوطنية إلى جوهر نظريته التربوية. لأنه اعتقد أن من الضروري بناء التربية والتعليم في كل بلد بما يتناسب مع متطلباته وخصوصيات شعبه. وحاول تجسيد هذا المبدأ من خلال فكرة العمل باعتباره العامل الحاسم لتطوير الشخصية. وصاغ لذلك برنامجاً متكاملاً للتربية وطرائق التدريس ومناهجه. ومنه استنتج فكرته عن وحدة التربية والتعليم(٩).

وإذا كان أوشينسكي هو مؤسس علم التربية



والتعليم في روسيا فإن كورف ن.أ. (١٨٣٤-١٨٨٣) هو مؤسس المدرسة الريفية. فقد اعتقد كورف أن الحياة المادية والروحية للمجتمع متوافقة أساساً على مستوى تطور الثقافة التي لا يمكن تحصيلها دون التعليم الوطني العام وتوسيع المدارس. ومأثرة كورف التاريخية تقوم في وضعه أسس المراقبة والتفتيش للمعلمين والمربين، وكذلك تنظيم المؤتمرات العامة للمعلمين. إذ استطاع أن يعقد أول مؤتمر لعموم معلمي روسيا عام ١٨٧٢.

في حين وضع باولسن ي.أ. (١٨٢٥-١٨٩٨)، وطبق في مشاريعه العملية، ما أسماه بالمنهج التحليلي في التعليم[١٠] بينما ركز ستويونن ف.ي. (١٨٢٦-١٨٨٨) في آرائه على وحدة العناصر القومية والعالمية. واعتقد بأن السبيل إلى تغيير المدرسة هو بناؤها على أسس تربوية وطنية تأخذ بعين الاعتبار تاريخ ونفسية الشعب. وأكد أيضاً على قيمة المبادرات الفردية، واعتقد أن من الممكن بالنسبة للمدرسة الابتعاد عن سيطرة الدولة[١١]. في حين كان اهتمام فودوفوزوف ف.أ (١٨٢٥-١٨٨٦) منصباً على ترسيخ التزام المدارس بالطرق العيانية في التعليم والانتظام والتواصل فيه. ووقف موقف المعارض الشديد ضد العقوبة الجسدية للتلاميذ[١٢].

أما الإنجاز الأكبر الذي عمم وطور تجارب التربية والتعليم في روسيا بعد أوشينسكي فيعود إلى مؤسس المدرسة الوطنية بوناكوف ز.ن. (١٨٣٧-١٩٠٤). فهو أول من وضع مهمة نشر المدارس بين الفلاحين وإشراكهم الفعال في التربية والتعليم والوطنيين. لقد اعتقد بأن المدرسة هي الحلقة الرئيسة في سلسلة تنوير المجتمع (الفلاحين). وحاول ترسيخ أسس دعوته هذه من خلال جعل المدرسة الريفية قائمة على حساب الولايات. واعتقد أن إحدى مقومات استمرار وفعالية المدرسة الوطنية تقوم في إشراك الجماهير الفلاحية في دعمها المادي والمعنوي. ووضع في آرائه العملية فكرة المساعدة المادية لأبناء الفقراء. ووقف بالضد من التمييز في المدارس، وطالب بمساواة المدارس من خلال بناء مدرسة واحدة للجميع. وبهذا المنحى أيضاً سارت أفكاره المعارضة لحصر تعليم أبناء الفلاحين الفقراء بالقضاء على الأمية وتعلم الحساب فقط، وجعل من فكرة اللغة الوطنية وفكرة الوطنية عناصر جوهرية في التربية. وأدخل إلى التعليم المزاوجة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية، وكذلك أسلوب تعليم الزراعة والبستنة، إضافة إلى الرقص والغناء، وجعل من مثال المربي الشخصي مبدأ أساسياً في التربية. وأدخل في المدرسة أسلوب الاحتفال بالشخصيات الفكرية والوطنية الكبرى[١٣].

في حين وضع راجينسكي س.أ. (١٨٣٣-١٩٠٢) أسس المدرسة الوطنية الريفية[١٤] فقد تأثر راجينسكي بآراء التيار الفكري والاجتماعي الفلسفي لأنصار ومحبي السلافية. لذا لم يجد تعارضاً بين تدينه وورعه الشديد وبين العلم المعاصر. وليس مصادفة أن يكون أول من

ترجم إلى الروسية كتاب داروين عن أصل الأنواع.

لقد تعامل راجينسكي بصورة نقدية مع تراث التربية والتعليم الأوروبي. ووضع آراءه في مجرى بحثه عن النسبة الضرورية والواجبة بين الوطني والعالمي والعصري في التربية والتعليم. وتوصل في نهاية المطاف إلى مبدأ يقول بأن التربية ينبغي أن تكون فردية ومتميزة، لأن كل ما هو فردي له حق الوجود والتطور الأصيل. وطبق هذا الاستنتاج العام في مواقفه من المدرسة الريفية وطرق بنائها، فقد حاول أن يغرس في أفئدة وعقول تلاميذ الفلاحين مبادئ النزعة الإنسانية والتعاون. لذا قيل عن مدرسته بأنها «مدرسة فنية جمالية» التي فتحت المجال أمام تطوير الملكات العقلية والأدبية لأطفال الفلاحين. ووضع في أسس التربية كلاً من التربية العائلية وتقاليد الحياة الروسية الوطنية ومبادئ الإيمان الأرثوذكسي. ووضع في تطبيقاته أيضاً مبدأ العمل مع الأطفال المعوقين. وتخصيص العمل مع الموهوبين. واهتم كذلك بإدخال الرسم والموسيقا والأغاني الشعبية إلى المدرسة، ودعا إلى المدرسة المختلطة، وأدخل كذلك دراسة الدين إلى المدرسة، ولكن لا على أساس التلقين الجاف للنصوص، بل على أساس المحاورة الروحية المفتوحة. لقد سعى راجينسكي إلى بناء مدرسة روسية وطنية من طراز خاص تستمد مقوماتها الروحية من يقينه بأن الشعب الروسي المتدين (بالأرثوذكسية) بحاجة أولاً وقبل كل شيء إلى تربية أخلاقية باعتبارها وسيلة بلوغه ذروة التقدم والتطور(١٥).

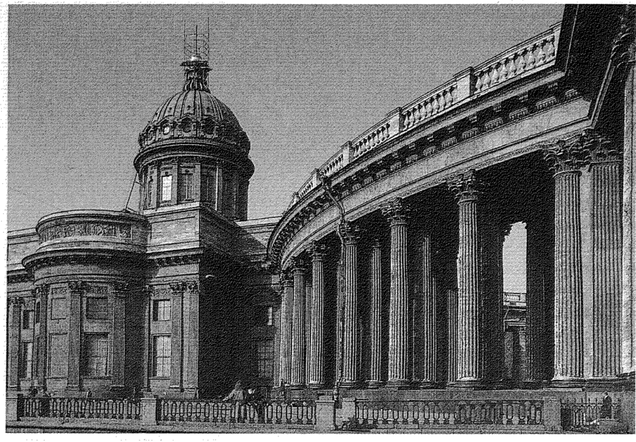
في حين وضع تولستوي ل.ن.(١٨٢٨-١٨١٠) الروائي الروسي الكبير نظريته عن التربية والتعليم استناداً إلى رؤيته الفلسفية عن الإنسان والمجتمع. فقد أدخل تعديلات كثيرة على فكرة «التربية الحرة» بما يتطابق مع نظرته الفلسفية والاجتماعية، انطلاقاً من اعتقاده بأن واجبه الاجتماعي يقوم في نقل نور المعرفة للفلاحين. وفي وقت لاحق تعرضت آراؤه لتغيرات أخذت تصب في اتجاه تأكيده على فكرة الوطنية الروسية، التي ينبغي أن تضع في أولوياتها الخصائص القومية للروس وثقافتهم. وكتب بهذا الصدد يقول بأن «أفضل مدرسة في السهوب الروسية الريفية رديئة بالنسبة لباريس، كما أن أفضل مدرسة في القرن الماضي رديئة في القرن الحالي» وفي وقت لاحق تتبع آراء روسو عن الفطرة الطبيعية وأفضليتها بالنسبة للفلاحين من مآثر المدينة، وأكد بهذا الصدد على أن التربية هي أولاً وقبل كل شيء رقي ذاتي، ومن ثم فإن مهمة العلم تقوم في الحفاظ على التجانس الفطري المميز للإنسان منذ ولادته. لذا ينبغي تحرير الطفل وتخليصه من ثقل القهر التقليدي وأساليب المعاقبة والزجر، ووضع هذه الأفكار في شعاره القائل بأن معيار التربية واحد- الحرية، واعتقد بأن المدرسة النموذجية هي المدرسة الحرة التي يحق للتلميذ أن يدرس أولا يدرس فيها، وتوصل أيضاً إلى ضرورة وحدة التربية والتعليم. وجعل من الدين والإيمان الأساس العقلي والشرعي الوحيد للتربية(١٦).

المرحلة السوفييتية- الانقلابات الكبرى والبدائل المتنوعة للتربية والتعليم.

لقد أغلق تولستوي تاريخ الفكر التربوي الروسي للقرن التاسع عشر، وعلى مشارف القرن العشرين أخذت التحولات الاجتماعية والاقتصادية والساسية في روسيا تفرض شروطها الجديدة على رؤية واقع التربية والتعليم وآفاقها. ولم تعد البرامج الإصلاحية حصيلة تأملات ونشاطات المفكرين والمحترفين، بل والأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية والجمعيات المهنية.

فقد استطاعت روسيا أن تراكم في أعماقها كماً هائلاً ونوعاً عميقاً ومتنوعاً من التحولات في ميدان التربية والتعليم، وأخذت التحولات الاجتماعية تفرض ثقلها على ضرورة الإصلاح التربوي والتعليمي عبر نقلة من الطريقة التلقيدية (الدرس والحفظ والإتقان) إلى «مدرسة العمل»، وأخذت المدرسة ومشاكلها تثير اهتمام أهل الفكر والسياسة والأدب والفن، إلى جانب الاهتمام الطبيعي المهني للتربويين. وتركت الأحداث الثورية العاصفة (١٩٠٥-١٩٠٧) والحروب (١٩١٤-١٩١٧) بصماتها على الموقف من ضرورة إصلاح مناهج التربية والتعليم، وشارك في تأسيس هذه الضرورة ورميها إلى حلبة الصراع الاجتماعي الأحزاب السياسية الكبرى الفاعلة آنذاك في روسيا.

فقد بدأ البرلمان الروسي (الدوما) بعد ثورة ١٩٠٥ يناقش مشروع قانون عن إلزامية التعليم في المدارس الابتدائية للإمبراطورية الروسية. وأثيرت هذه القضية مرة أخرى في الدوما عام ١٩٠٩-١٩١١، وفي عام ١٩١٦، ولكن لم يجر إقراره آنذاك. إلا أن ذلك لم يعق توسع وتعميق الإدراك الاجتماعي والسياسي لقيمة



التعليم الإلزامي. كما لم يعق ذلك توسع وتنوع المدارس في روسيا قبل الثورة، بما في ذلك المدارس الخاصة (الأهلية) الشبيهة بالمدارس الجديدة آنذاك في أوروبا. وتوسعت أيضاً شبكة المدرسة العليا (المعاهد والجامعات)، إلا أنها كانت تتمركز أساساً في مدينتي بطرسبورغ وموسكو (حوالي ٦٠٪).

واستثارت هذه التطورات أبحاث المفكرين التربويين الروس، مما أدى إلى ظهور منظومات جديدة وجدت تعبيرها في التيارات الثلاث الكبرى لبداية القرن العشرين ألا وهي التيار الداعي إلى تطوير مدارس التربية الكلاسيكية للقرن التاسع عشر، والتيار المستند إلى الفلسفات الاجتماعية والوجودية والأخلاقية، والثالث، الذي يشبه تيار «التربية الإصلاحية» أو الجديدة في أوروبا آنذاك(١٧).

كانت هذه المرحلة بمعنى مامرحلة التجريبية المختمرة تحت تأثير التقاليد الروسية ابتداء من أوشينسكي والتقاليد الأوروبية المعاصرة على خلفية تعمق الصراع الاجتماعي والسياسي في روسيا عند بداية القرن العشرين. لهذا انحلت أغلب هذه الاتجاهات و«تلاشت» في الخميرة الجديدة التي ولدتها ثورة أكتوبر عام ١٩١٧م.

ومنذ عام ١٩١٧م حتى انحلال الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م، مر التعليم والتربية في روسيا بثلاث مراحل تاريخية «ونظرية» كبرى. الأولى: ابتدأت من عام ١٩١٧م حتى ثلاثينيات القرن، والثانية: من الثلاثينيات حتى نهاية الحرب الثانية عام ١٩٤٥م، والثالثة: من عام ١٩٤٥م حتى انحلال الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م.

فقد وضع البلاشفة في قيادة النشاط التربوي والتعليمي السوفييتي شخصيات لامعة مثل لوناتشارسكي أ.ف (١٨٧٥ - ١٩٣٣) وكروبسكايا ن.ك (١٨٦٩ - ١٩٣٩)، غير أن التحولات العاصفة التي ميزت بداية مرحلة الثورة والنتائج المترتبة على انتهاء الحرب الأهلية في منتصف العشرينيات، مهدت للمواقف الراديكالية تجاه تقاليد الماضي. حيث وضع البلاشفة مهمة تهديم القيصرية، ومعها أيضاً تقاليد التربية والتعليم المتراكمة فيها. إذ جرى تحطيم نمط وبنية الإدارة التعليمية والتربوية، وجرى فصل الكنيسة عن الدولة، والدين عن المدرسة، وأعطيت لشعوب القيصرية حق التعلم والتعليم بلغاتها القومية، وإدخال التعليم المختلط، وجرى ترسيخ النظام التعليمي الموحد لعموم



روسيا، وأصبحت مهمة القضاء على الأمية المهمة السياسية والاجتماعية والتربوية الكبرى أمام السلطة السوفييتية، فقد كانت روسيا حتى الثورة بلداً تنتشر فيه الأمية، إذ لم تتجاوز نسبة المتعلمين في الأطراف أكثر من ٢٣٪، بينما لم تتجاوز نسبتهم ٥٠٪ في المدن الكبرى. وعليه شكلت السلطة السوفييتية عام ١٩٢٠م «لجنة الطوارئ الروسية العامة لمحو الأمية» برئاسة كروبسكايا.

ومنذ العشرينيات بدت تتصارع مختلف الاتجاهات الفكرية لترسيخ أسس المدرسة السوفييتية كما هو الحال في مشاريع التربويين الكبار مثل شاتسكي س. ت. عن «المحطة التجريبية»، وبيسترال م.م. عن «المدرسة ـ الكومونة». وغيرها من المحاولات التجريبية.

إلا أن النجاحات الباهرة نسبياً بدأت تبرز مع استتباب النظام التعليمي واستمرار مراحله في الثلاثينيات، مثل ظهور بنية متجانسة لاستمرار النظم التابعة «من المدرسة الابتدائية حتى الجامعية»، والتعليم المستمر للمواد والنظام الموحد للدروس، والكتب والمناهج المدرسية الموحدة. وقد كمنت في هذه القوة بعض مصادر ضعفها أيضاً، بسبب رفضها لكل بدائل ممكنة، إضافة إلى رفض التنوع في مضمون وتنظيم العملية التعليمية.

وتحول اهتمام السلطة بعد الحرب العالمية الثانية إلى جعل التعليم الابتدائي «حتى الصف السابع» تعليماً إلزامياً عاماً. وفي الخمسينيات انتقلت روسيا إلى التعليم الإلزامي لمدة سبع سنوات، ثم رفع عدد سنوات التعليم الإلزامي إلى ثماني سنوات. وجرى إصلاح التعليم المدرسي بما يتناسب مع هذه المهمة. وفي أعوام ١٩٦١م ـ ١٩٦٢م جرى إعادة تنظيم المدرسة ومناهجها بالشكل الذي يستجيب لهذه المهمة، وفي عام ١٩٧٠م جرى تنفيذها، حينذاك جرى التخطيط لرفع عدد سنوات التعليم الإلزامي إلى عشر سنوات.

قطع التعليم السوفييتي وعلم التربية أشواطاً كبرى في مختلف المجالات، واستطاع في غضون سبعين عاماً أن يرسي أسساً بنيت عليها صروح هائلة، هي إنجازاته النظرية والعملية، المادية والروحية، التي فاقت في الكثير من جوانبها أفضل النظم التربوية والتعليمية في العالم المتقدم. وهي إنجازات كان يصعب بلوغها دون تضافر الرؤية الاستراتيجية للدولة في موقفها من وظيفة وأهمية التربية والتعليم بالنسبة للدولة والمجتمع، مع النظريات التربوية والتعليمية التي استطاعت من خلال وسائلها وأساليبها المقترحة تجسيد هذه الإنجازات.

قامت الرؤية السوفييتية العامة عن التربية والتعليم منذ العشرينيات على خمسة مبادئ أساسية عامة، وهي أولاً: المبدأ التاريخي؛ ثانياً: ترابط المدرسة والحياة؛ ثالثاً: ربط التعليم بالإنتاج؛ رابعاً: وحدة التربية والتعليم؛ خامساً: التطوير الشامل للإنسان. وهي مبادئ استثارت اجتهادات ووجهات نظر ومشاريع متنوعة ومختلفة من جانب المنظرين التربويين. غير أن السلطة آنذاك لم تبن علاقتها بالفكر المعارض على قواعد الحوار، بل على فرض رؤيتها الخاصة. وهو ضعف لازم المنظومة السوفييتية في كل الميادين، بما في ذلك في ميدان التربية والتعليم. ومع ذلك استطاعت أن تخرج للوجود شخصيات تربوية ومنظرين كباراً مثل شاتسكي س.ت (١٨٧٨ ـ ١٩٣٤) وغاستيف أ.ك (١٨٨٢ ـ ١٩٤١)، وبلونسكي ب.ب (١٨٨٤ ـ ١٩٤١)، ومكارينكو أ.س (١٨٨٨ ـ ١٩٣٩)، وشولفين ف.ف (١٨٩٤ ـ ١٩٦٥) وكثير غيرهم.

فقد أدخل شاتسكي فكرة المؤسسة التعليمية ـ التربوية التجريبية، التي حاول من خلالها تجسيد فكرة القيادة الذاتية للمتعلمين. إذ إن الجوهري بالنسبة لشاتسكي في ميدان التربية هو دراسة كيفية دخول الطفل عالم الإنجازات الثقافية للحضارة الإنسانية. فقد وجد مصدر تطوير التربية في العملية التنظيمية التربوية والعوامل المحيطة بها (من البيت والشارع..)، وأعطى للعوامل الاجتماعية الدور الحاسم في تطوير الطفل وليس للمعطيات الوراثية. من هنا نظرته إلى غاية التربية والتعليم في استجابتهما للمتطلبات الاجتماعية العامة مع الأخذ بنظر الاعتبار الملكات الفردية الخاصة.(١٨)

أما شولفين فقد وضع نظرية اضمحلال المدرسة، التي استندت إلى فكرته القائلة بأن مهمة علم التربية تقوم ليس فقط في دراسة التأثير الموجه والمنظم على الفرد، بل وجميع التأثيرات الأخرى. أ ي إنه أراد دراسة العوامل المنظمة وغير المنظمة (العرضية) في تربية الفرد، والتي تجعل من الممكن بناء مدرسة مفتوحة أمام الجميع (بمعنى تلاشيها كنظام مغلق).(١٩) بينما وقف غاستيف بالضد منه، مشدداً على ما أسماه بعلم التربية الصناعي، وهي تربية ينبغي أن تتوجه صوب



التأهيل المهني المتخصص، وصوب تحديد تكنولوجيا التربية الاجتماعية والعملية بالضد من التربية الأيديولوجية المتحزبة. لأن مهمة التعليم، كما يقول غاستيف، تقوم في صنع «جيل آلي» قادر على التأقلم مع التكنيك الحديث، جيل مصاب «بجنون الاختراع».(٢٠)

أما بلونسكي فقد سعى لتحويل علم التربية إلى علم صارم القواعد، خال من التصورات والأحكام العادية، كما صاغه في كتابه «مدرسة العمل». واعتقد هو بأن علم التربية بحاجة إلى أساس فلسفي يعتمد على إنجازات علوم البيولوجيا والوراثة والفلسفة والاجتماع والعلوم الأخرى عن الإنسان. ومن ثم فإن علم التربية ينبغي أن يدرس العلاقة السببية في التربية والتعليم، ذلك يعني أنه حاول أن يعطي لفكرة تحويل الإنسان إلى بؤرة العملية التربوية مظهراً علمياً صارماً. وصاغ بهذا الصدد نظرية متجانسة عن أساليب ومناهج التربية والتعليم. أما نظريته عن «مدرسة العمل» فإنها كانت تهدف إلى حصول المرء على المعرفة من خلال الحياة العملية وعلاقات الناس والعالم المحيط لا من خلال المواد المدرسية فقط، لهذا أعار اهتماماً لدراسة وتقوية ملكة العقل في مجرى التعليم. فقد اعتبر نموذج الامتحانات التقليدية في السؤال ـ الجواب، صيغة بدائية. ووضع بالضد منها نموذج امتحان الطفل بكيفية حله لمختلف المسائل والمشاكل المدرسية والأخلاقية.(٢١)

واحتل إبداع مكارينكو ذروة الإنجازات النظرية والعملية السوفييتية في ميدان العلم التربوي حتى الأربعينيات. فقد وضع آراءه في كتابات لعل أشهرها «القصيدة التربوية» و«أعلام على القلاع» و«كتاب للآباء»، صاغ فيها ومن خلالها رؤية متجانسة للتربية والتعليم، جاعلاً من «المنطق التربوي» أساسها المنهجي. والمقصود بهذا المنطق، النظر إلى علم التربية باعتباره علماً عملياً ذا أهداف جلية، مما يعني بالضرورة تحديد العلاقة



المنطقية بين الغاية والوسيلة والنتائج في التربية. أما العقدة الرابطة لنظريته بهذا الصدد فتقوم فيما أسماه بالفعل المتوازي، أي الوحدة العضوية بين التربية وحياة المجتمع، بين الجماعة والفرد. وفي هذا الفعل المتوازي يجري ضمان حرية ومزاج المتربي. فالمتربي حسب نظرية مكارينكو، ليس موضوعاً للتأثير التربوي، بل مبدعاً له. وتجسدت وسائل نظامه التربوي في فكرة الجماعة المربية. ومضمون هذه الفكرة يقوم على ضرورة بناء جماعة عمل متوحدة بين المربي والمتربين، هي بحد ذاتها أيضاً ميدان ومحيط تطوير الملكات الفردية والخاصة.(٢٢)

كل ذلك يكشف عن أن المرحلة السوفييتية لم تكن واحدة موحدة من حيث اتجاهات ومضامين فلسفاتها التربوية، واستطاعت هذه النظريات، رغم كل القيود الأيديولوجية والسياسية المفروضة عليها، أن تثور المجتمع وتنوره علمياً وتربوياً، بحيث استطاعت روسيا في غضون عقود قليلة، ليس فقط القضاء على الأمية والجهل، بل وتحويل الشعب الروسي إلى أكثر الشعوب ثقافة ومعرفة، كما أفلحت في تعميق الأسس العلمية والمنهجية لإنتاج العلم والعلماء في مختلف الميادين.

المرحلة الليبرالية - تجريبية البحث عن البدائل في التربية والتعليم

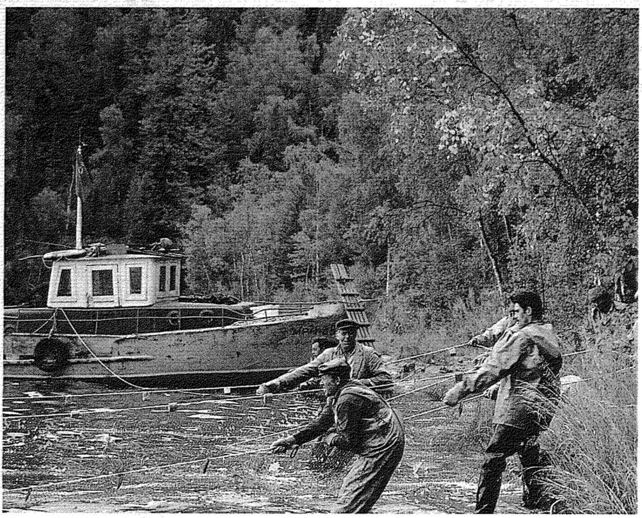
لقد عانت التربية والتعليم في الاتحاد السوفييتي رغم إنجازاتهما الكبيرة صعوبات جمة عند تخوم الثمانينيات، بسبب استنفاذ العقيدة الأيديولوجية السائدة آنذاك قدرتها على تفعيلهما في الظروف الجديدة. وبرزت مهمة الإصلاح التربوي والتعليمي، بعد أن استنفذت المراحل السابقة لتطور التربية والتعليم في روسيا السوفييتية أغلب العناصر والطاقات الكامنة في النظريات التربوية السوفيتية القديمة.

إذ لم تؤد محاولات الإصلاح الأولية في الثمانينيات إلى نتائج إيجابية. وتعرضت مع مجرى البيريسترويكا إلى فشل ذريع. وبعد انحلال الاتحاد السوفيتي برزت إمكانية التنوع والتعددية في البحث عن البدائل الإصلاحية للتربية والتعليم في روسيا.

فقد تلاشت بين ليلة وضحاها القيود الأيديولوجية القاسية للدولة. وأعلنت السلطة الجديدة سياسة «الديمقراطية الليبرالية» القائمة واقعياً على مناهضة كل ماهو «سوفييتي» أي أنها سارت في مواقفها من تراث الماضي التربوي والتعليمي حذو النعل بالنعل فيما انتقدته من ممارسات «السياسة البلشفية». وترتب على ذلك تغير كبير في تأويل فكرة الديمقراطية في التربية والتعليم. فإذا كانت ديمقراطية التربية والتعليم في المرحلة السوفييتية تستند إلى وحدة السياسية التربوية والتعليمية، ومساواة الجميع في التعليم، وحق الجميع في الحصول على التعليم المجاني، وإلزامية التعليم «للسنوات العشر الأولى»، فإن الديمقراطية الليبرالية الروسية المعاصرة وضعت في سياستها تجاه التربية والتعليم فكرة أن تؤدي المدرسة وظيفة التعليم ووظيفة التنوع الاجتماعي. ويندرج في الوظيفة الأولى الحصول على المعارف، وتربية الملكات والقدرات الشخصية بينما تحتوي الثانية على تقسيم التعليم حسب الفئات الاجتماعية والمهنية. وتفترض هذه السياسة الجديدة استمرار مراحل التعليم، والتعددية، والخيارات المتنوعة، والتنوع التعليمي، ذلك يعني أن السياسة الجديدة ترمي إلى فتح آفاق أوسع أمام تنوع المضامين والغايات والمؤسسات التربوية والتعليمية.

وتتضمن السياسة التربوية والتعليمية الجديدة مبدأ مساواة الجميع في التعليم، بغض النظر عن الحالة الاجتماعية والجنس والقومية والدين، وكذلك نزع المركزية في التعليم، وحق الآباء والتلاميذ والطلبة في اختيار المؤسسة التعليمية. كل ذلك يهدف حسب منطق السياسة المعلنة، إلى صنع جيل قادر على الإبداع بصورة حرة. وأعلن أيضاً القضاء على احتكار الدولة للتربية والتعليم وإعطاء المحافظات والمدن صلاحية تحديد النشاط التعليمي.(٢٣)

وجرى تطبيق هذه السياسة على جميع مراحل المدرسة «الابتدائية والمتوسطة والمهنية» والمدرسة العليا «المعاهد والجامعات والأكاديميات». وأخذت بالظهور من جديد المدارس الخاصة «الأهلية»، فقد ظلت روسيا حتى ثمانينيات القرن العشرين خالية خلواً تاماً من المدارس الخاصة، بينما تعرضت سياسة المعاهد والجامعات إلى تغييرات إدارية ومنهجية عاصفة، أدت على خلفية الأزمة الاقتصادية والسياسية والروحية إلى إضعاف التقاليد التربوية والتعليمية، وإنهاك الكثير من مقوماتها الضرورية. لذا هبطت فيها منذ بداية التسعينيات قيمة العلم والمعلم والتعليم على كافة المستويات وتفشت ظواهر الفساد والإفساد والرشوة والمحسوبية، وازداد



التسيب في حضور الطلبة وضعفت المراقبة، والتقييم الموضوعي العلمي لقدرات ونتائج التحصيل العلمي للطلبة. ولم تكن هذه النواقص والثغرات الكبيرة وكثير غيرها نتاجاً «لبقايا المرحلة السوفييتية» أو «أمراً ملازماً لمرحلة الانتقال» بقدر ماكانت نتيجة طبيعية لسياسة «الديمقراطية الليبرالية الروسية» الخالية حينذاك من رؤية إيجابية واستراتيجية بعيدة المدى عن طبيعة النظام المنشود، بما في ذلك مجال التربية والتعليم.

بصيغة أخرى لم توجد آنذاك سياسة إيجابية متكاملة على المستوى الوطني. لهذا لم تكن «بدائلها» في الأغلب تتجاوز سياسة رد الفعل على كل ماهو سوفييتي. مما أفرغها من محتوى الرؤية الوطنية والاجتماعية الفعالة في بناء تكامل الشخصية الاجتماعية والوطنية للتربية والتعليم. وتكفي الإشارة هنا إلى أن تمويل الدولة الروسية المعاصرة للتربية والتعليم انخفض انخفاضاً كبيراً مقارنة بالمرحلة السوفيتية. فإذا كانت مصروفات الدولة على التربية والتعليم في عام ١٩٩١م - ١٩٩٢م تبلغ ١٠٪ من الميزانية، فإنها هبطت في عام ١٩٩٤م إلى ٣٪. بينما لم تحصل المؤسسات التربوية والتعليم في الواقع حتى على أقل من نصف النسبة المعلنة في الميزانية الرسمية للدولة. وهو واقع فرض، ولحد ما استجاب لمصالح الفئات البيروقراطية السائدة في مؤسسات التربية والتعليم الروسية المعاصرة، على مزاولة «العمل التجاري» فيها.

غير أن هذا الانحطاط العام لم يقض بعد على أجنة البدائل الإيجابية الآخذة في التبرعم، أو على نماذج المشاريع والنظريات المقترحة لتطوير التربية والتعليم في روسيا المعاصرة.[٢٤] وهي نماذج ومشاريع تصب الآن في اتجاه إعادة تأهيل المربي وصنع مايسمى «بنموذج المعلم المثالي» وغيرها من المشاريع.[٢٥]

وتقترح البدائل الجديدة أيضاً سياسة القضاء على بقايا النظام الكلياني «التوتاليتاري» في التربية الفردية والاجتماعية والقومية، باعتباره أسلوب إعادة

بناء الروح القومي الروسي على أسس الديمقراطية والحق والحرية والتعددية والقيم الأخلاقية الرفيعة. وأخذ يبرز أيضاً تيار ما يسمى بعلم التربية الأثني، أو التربية الثقافية التعددية كنقيض للأممية السوفيتية التي محقت خصوصيات الشعوب والقوميات، والمقصود بهذه التربية تعميق عملية التكامل المتنوع بين الروافد الأساسية الثلاث (الروسية، وشعوب روسيا الاتحادية الأخرى، والعالمية) في التربية والتعليم.(٢٦)

إن المرحلة المعاصرة للتربية والتعليم في روسيا مازالت تعاني من غياب نموذج روسي متكامل. إضافة إلى التناقض الصارخ بين الشعارات المعلنة والواقع، سواء فيما يتعلق بالديمقراطية أو الحقوق أو التعددية. أي أن الثالوث الذي استندت إليه الدعاية «الديمقراطية الليبرالية الروسية المعاصرة» في صراعها ومهاجمتها لتقاليد التربية والتعليم السوفيتيين، يتعارض بصورة صارخة مع السياسة العملية ومع إمكانيات الدولة الروسية المعاصرة نفسها في تنفيذه. وهو تناقض يتوقف على كيفية ومستوى حله ارتقاء أو هبوط التربية والتعليم في روسيا. كما يتوقف ارتقاء أو هبوط روسيا في مختلف المجالات على كيفية تذليلها لأزمة التربية والتعليم الحالية.

مما لا شك فيه، أن التقاليد الروسية الكبرى في ميدان التربية والتعليم مصدر إنساني رفيع المستوى، ليس لروسيا فقط، بل وللعالم أجمع. كما تقدم روسيا في مواقفها من تقاليدها الخاصة في التربية والتعليم درساً لما ينبغي أخذه وآخراً لما ينبغي تجنبه.■

هوامش

١- بوسشكوف ا.ت: وصية أبوية، سانكت، بطر سبورغ ١٨٩٣ (بالروسية).
٢- أنطولوجيا الفكر التربوي في روسيا القرن الثامن عشر، موسكو ١٩٩٥ (بالروسية).
٣- أنطولوجيا الفكر التربوي في روسيا القرن الثامن عشر، موسكو ١٩٩٥ (بالروسية).
٤- أنطولوجيا الفكر التربوي في روسيا القرن الثامن عشر، موسكو ١٩٩٥ (بالروسية).
٥- جور اكوفسكي غ.ي من تاريخ التنوير في روسيا قبل الثورة، موسكو، ١٩٧٩ (بالروسية).
٦- أنطولوجيا الفكر التربوي لروسيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، موسكو، ١٩٨٧ (بالروسية).
٧- هيرتسن ا.ا اوغاريوف ن.ب، حول التربية والتعليم، موسكو ١٩٩٠ (بالروسية).
٨- أنطولوجيا الفكر التربوي لروسيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر، موسكو، ١٩٨٧ (بالروسية).
٩- أوشينسكي ك.د. المؤلفات التربوية (بجزأين) موسكو. ١٩٧٤ (بالروسية).
١٠- أنطولوجيا الفكر التربوي لروسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، موسكو، ١٩٩٠ (بالروسية)..
١١- أنطولوجيا الفكر التربوي لروسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، موسكو ١٩٩٠ (بالروسية).
١٢- أنطولوجيا الفكر التربوي لروسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، موسكو، ١٩٩٠ (بالروسية).
١٣- أنطولوجيا الفكر التربوي لروسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، موسكو ١٩٩٠ (بالروسية).
١٤- راجينسكي س.أ المدرسة الريفية موسكو ١٩٩١ (بالروسية).
١٥- لاتيشنا د. تاريخ التربية والتعليم في روسيا (القرن العاشر - العشرين) موسكو ١٩٩٨ (بالروسية)؛ جورينسكي أ.ن تاريخ التربية، موسكو ١٩٩٩ (بالروسية).
١٦- تولستوي ل.ن، المؤلفات التربوية، موسكو ١٩٨٩ (بالروسية).
١٧- إيغوروف س. ف. نظرية التعليم في عام التربية في روسيا بداية القرن العشرين، موسكو ١٩٨٧ (بالروسية).
١٨- شاتسكي س. ت المؤلفات التربوية، موسكو ١٩٦٢ - ١٩٦٤ (بالروسية).
١٩- مختصر تاريخ العلم التربوي في الاتحاد السوفيتي (١٩١٧ - ١٩٨٠)، موسكو . ١٩٨٦ (بالروسية).
٢٠- صيرورة وتطور المدرسة السوفيتية وعلم التربية (١٩١٧ - ٩٣٧)، موسكو ١٩٧٨ (بالروسية).
٢١- بلونسكي ب. ب. مختارات من الأعمال التربوية والنفسية، موسكو ١٩٧٩ (بالروسية).
٢٢- فرالوف أ.أ. أسس النظام التربوي عند مكارينكو، موسكو ١٩٩٠ (بالروسية).
٢٣- دنيبروف أ.د. الإصلاح المدرسي الرابع في روسيا، موسكو ١٩٩٤ (بالروسية).
٢٤- نيكاندروف ن.س تربية القيم: النموذج الروسي، موسكو ١٩٩٦ (بالروسية).
٢٥- غير شوفسكي ب.س فلسفة التعليم للقرن الحادي والعشرين، موسكو ١٩٩٨ (بالروسية)..
٢٦- كوزمين م.ن الانتقال من المجتمع التقليدي إلى المجتمع المدني: تغيير الإنسان، موسكو ١٩٩٧ (بالروسية).

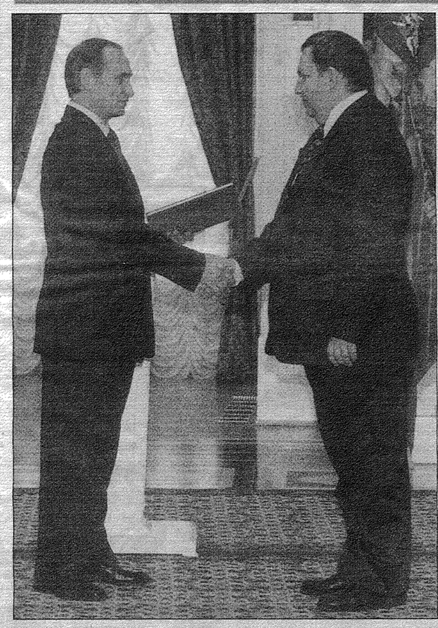


С Калининграда начнется закрытие ИПК?

Стр. 16

УГ Учительская газета

№12 (9781)
28 марта 2000
Газета выходит с 1924 года
Цена договорная



23 марта в 17.00 в Екатерининском зале Московского Кремля и.о. Президента России Владимир ПУТИН вручил дипломы четырнадцати лауреатам конкурса «Учитель года России-99». Диплом победителя - преподавателю музыки из Челябинска, учителю года России-99 Виктору ШИЛОВУ. Стр. 2, 10

Не сенсация недели

Выборы прошли гладко и скучно. Интрига заключалась только в том, победит Владимир Путин в первом туре или нет, а если да, то с каким перевесом.

СМИ пытались развеять тоску избирательной кампании, сообщая о забавных мелочах. В Москве с утра 25 марта появились воздушные шары «За Явлинского» и яблоки «Закидайте выборы». В Казани задержали гражданина, пытавшегося опустить в урну для голосования целую пачку избирательных бюллетеней. Владимир Жириновский с такой силой поставил галочку на бюллетене, что последний не выдержал и порвался. Станислав Говорухин отдал свой голос сопернику - Умару Джабраилову.

Итак, второго тура не будет, и слава Богу! Бюджет сэкономит 800 млн. рублей. Кроме того, кандидаты, набравшие меньше 3% голосов, - Станислав Говорухин, Умар Джабраилов, Владимир Жириновский, Элла Памфилова, Алексей Подберезкин, Юрий Скуратов и Константин Титов, - должны будут вернуть в госбюджет по 400 тысяч рублей, выданных каждому ЦИКом на ведение предвыборной агитации.

Новый президент вступит в должность 5 мая, если, конечно, результаты выборов не будут оспорены в суде. Наблюдатели ЛДПР зафиксировали более ста нарушений процедуры голосования и намерены сообщить о них в ЦИК. КПРФ ведет свой параллельный подсчет голосов и не согласится с результатами, пока не получит копии протоколов со всех избирательных участков.

Наталья БУНЯКИНА

Сенсация недели

Оставив позади всех участников финала командного студенческого чемпионата мира по программированию, проходившего в городе Орландо (Флорида, США), петербургские студенты вернулись в родной город с двойной победой. Первое место в споре 60 финалистов заняла команда Санкт-Петербургского государственного университета, а серебряные медали - у второкурсников другого городского вуза – Санкт-Петербургского государственного института точной механики и оптики.

Счастливые победители целую неделю наслаждались победой, разъезжая по Соединенным Штатам. Затем дорога над Атлантикой в Париж и перелет в город на Неве. Триумфаторами вернулись на родину второкурсники СПбГУ Николай Дуров, Андрей Лопатин и Олег Етеревский (тренер – старший преподаватель Наталья Войковская) и также второкурсники СПбГИТМО Георгий Корнеев, Денис Кузнецов и Андрей Станкевич (тренер – четверокурсник Марк Сандлер).

Всего в отборочных соревнованиях Всемирного чемпионата молодых программистов участвовали 2400 команд.

Борис РОВДА

Санкт-Петербург

География номера

Архангельск
Белгород
Владивосток
Воронеж
Иркутск
Калининград
Нижневартовск
Норильск
Челябинск

أحد أعداد جريدة المعلم ويظهر في الصورة تكريم الرئيس الروسي للمعلم الأول على مستوى روسيا

يشترك بها ٤٠,٠٠٠ معلم و٦٧,٠٠٠ مدرسة:

جريدة المعلم الروسية

٧٥ عاماً من العطاء

تأسست الجريدة عام ١٩٢٤م وبداية كانت تصدر ٣ مرات في الأسبوع حتى عام ١٩٩٠م، قبل أن تتحول إلى جريدة مستقله عام ١٩٩١م حيث أصبحت بعد التغيّر تصدر أسبوعياً في ٢٤ صفحة.

هذه الجريدة خاصة فقط بالمشتركين ولاتباع في الأسواق ويوجد في روسيا ٦٧ ألف مدرسة مشتركة بالإضافة إلى ٤٠ ألف معلم مشترك.

ومن أهم القضايا التي تعالجها الجريدة:

١- المقررات والكتب الدراسية.

٢ـ حياة المعلمين ـ المساكن والأجور ـ وحياتهم المعيشية.

٣- الاستفاده من التجارب العالمية: من أوربا وأمريكا ومن آسيا عن طريق الترجمات أو المراسلين في تلك البلدان.

ومن أعمال الجريدة تنظيم مسابقة سنوية لأحسن معلم على مستوى المدرسة ثم المدينة ثم المقاطعة، ثم ينتدب المعلمين المرشحين للجائزة مدة أسبوعين إلى موسكو، ليقوموا بالتدريس هناك تحت مراقبة لجنة المسابقة، ثم ينتخب منهم ١٥شخصاً تقدم لهم الهدايا من رئيس الدولة، ويقام لهم حفل تكريمي على شرف الرئيس في الكرملين، ثم ينتخب منهم شخص واحد ويمنح جائزة عينية «مسكن ـ سيارة» وغيره. وكانت بداية هذه المسابقة في عام ١٩٩٠م. وبالرغم من أنها جريدة مستقلة إلا أن وزير التعليم يشارك بمقال في كل عدد عن قضايا التعليم.

وتستمد هذه الجريدة تمويلها من الاشتراكات والإعلانات التي تخص قضايا التعليم فقط وهي تصدر ملحقين وتنوي إصدار ٤ ملاحق أخرى.

وتواجه المجلة عداءً واضحاً من المعلمين، حيث إنهم يعتقدون أن الجريدة تهاجمهم، وطبيعة اشتراك المدارس عن طريق المخصصات التي تمنح لكل مدرسة من قبل

الوزارة للاشتراك وشراء المطبوعات والكتب، وتوزع النسبة المئوية على ثلاثة فروع إذ تشكل ٤٥٪ تكاليف طباعة و٤٠٪ للموزع و١٥٪ رواتب العاملين، ويعمل في الجريدة حوالي ٧٠ صحفياً متفرغاً، نصفهم معلمون سابقاً.

وخلال ٧٥ عاماً «وهو عمر جريدة المعلم» صدر لها ٩٧٥٥ عدداً. وفي ٩ أبريل ١٩٣٠م أطلق عليها اسم «الإرشاد» ثم استعادت اسمها «المعلم» في عام ١٩٣٧م، وخلال ٧٥ عاماً استهلكت هيئة التحرير مامقداره ٩٠٠٠ طن من الشاي وكان استهلاك ضيوف الجريدة حوالي ٣١٢٠ طناً. كما استخدمت هيئة التحرير ٢١٦ لتراً من الأحبار و١٧٤٠ قلم حبر و٤,٥٠٠,٠٠٠ ورقة طباعة. كما أن متوسط العمر لأعضاء هيئة التحرير ٤٥ سنة وقد غلب التشكيل الأنثوي على طاقم التحرير إذ إن ٢٤٪ من أعضاء هيئة التحرير ذكور و٧٦٪ إناث ويعتبر سن الـ٢٠ سنة هو أغلبية مشتركي الجريدة حيث يتمثل نسبة ٥٢٪؛ ويبلغ طول ممرات المبنى الذي تشغله هيئة التحرير حوالي ٣٣٤,٤٠متراً.

قالوا عن الجريدة:

● حازت جريدة المعلم بوصفها واحدة من أقدم الإصدارات في بلادنا على ثقة القراء طيلة الفترة الماضية.

إن قضايا التربية والتعليم التي تعنى بها الجريدة وتتناولها على صفحاتها تعتبر من أكثر القضايا أهمية ومعاصرة في حياتنا الاجتماعية.

منذ تأسيسها وجريدة المعلم تلتزم بالمصداقية مع القراء - وقد درج المعلم أينما كان، في السراء والضراء

ويسألونك عن المعلم



بقلم رئيس التحرير
بيتر بولا جيفتش

منذ الابتدائية وطيلة مراحل الدراسة كنت محباً لمعلميّ، على وجه الخصوص لوبوف ايفانوفنا. لا أعلم ما إذا كانت من الناحية المهنية جيدة أم لا! ولكن، ما أعلمه أنا وأقراني أنها كانت معلمة طيبة كانت تحنو علينا كثيراً، ليس على مستوى التعامل النابع من الإحساس بالأمومة، إنما شمل ذلك الواجبات التي يفترض أن تكون منزلية.. كنا نؤديها أثناء الحصة.. طيبة كانت لوبوف ايفانوفنا...

وبالرغم من ذلك الذي يسميه البعض تسيباً، أحرز خمسة، من تلاميذها درجة الإمتياز على مستوى المنطقة، مما أهلهم فيما بعد للإلتحاق بخيرة الجامعات والمعاهد العليا.

حبنا لمعلمتنا لوبوف جر علينا مشاكل كثيرة، خصوصاً مع الأهل بالمنزل، حتى ملّوا استغراقنا في حب تلك السيدة، فتولدت لديهم غيرة مفرطة ولسان حالهم يردد «مباركة عليكم لوبوف ايفانوفنا - فقد أنساكم حبها بر الوالدين». بعد الصف التاسع انتقلت إلى مدرسة أخرى: كانت معلمتي في مادتي الجبر والهندسة الحسناء رايسا بتروفنا.. أتاحت لنا حرية مطلقة. يكفي أن تنبعث صرخة واحدة من الصفوف الخلفية يعبر بها أحد التلاميذ عن عدم استيعابه لشرحها حتى تعجل وتمسح ماسبق وكتبته على السبورة، لتعيد الشرح لصاحب الصرخة، في شرعها «المعلم في خدمة الطالب» وإن كان شارد الذهن. ولكن أين الطلاب الذين كانوا يتابعون الدرس بانتباه ورغبة؟ يتطلع أولئك إلى السبورة للاستعانة بطرائق الحل التي سجلتها المعلمة فلا يجدون ضالتهم فتنتابهم حالة «خمول» وهم يتابعون الشرح للمرة الثانية.

عن مايسمى بالنظام والانضباط، حدث ولاحرج، الخروج والدخول أثناء الحصة مباح دون استئذان... ربما كان الدرس مملاً!

أن يلجأ إليها، مقتسماً معها نجاحاته وإخفاقاته، وكان يجد الدفء والعون، هذا ماولد الثقة بين الجريدة والمعلم. ويجدر بنا أن نشير إلى أن العلاقة بين الجريدة والمعلم لم تقتصر فقط على الكلمة المكتوبة، بل تقترن الكلمة بالعمل.

وإن كانت هناك كلمة حق فلابد أن نوجهها للصحفيين العاملين بالجريدة لتبنيهم قضايا المعلمين وإشادتهم المتواصلة وتقديرهم وتثمينهم لجهود المعلم.

ايقر مسترويف
رئيس المجلس الفدرالي الروسي

● تعتبر جريدة المعلم منذ زمن طويل المصدر الرئيس لأخبار وهموم الأوساط التعليمية بمختلف فروعها، مما أهلها لاحتلال هذه المكانة المرموقة وسط رصيفاتها من الإصدارات الإعلامية الأخرى.

في هذه الأيام وبعد أن ولى عهد الاحتكار لوسائل الإعلام، يتوق القارئ بل يطالب بالمعلومة السريعة والموثقة التي تتوخى المصداقية، وهذا مادأبت عليه جريدة المعلم.

لقد ظلت جريدة المعلم تتطلع كي تبقى الجريدة المركزية المعبرة عن رأي المعلمين، وخاضت غمار المنافسة المهنية الشريفة مع زميلاتها الأخر.

لدينا تجربة طويلة في التعاون مع جريدة المعلم واستناداً على تلك التجربة، يسعدني أن أؤكد على استعدادنا التام للمضي قدماً في دعم الجريدة في سعيها لنيل رضاء القراء. ■

فلادمير فليبوف
وزير التعليم بجمهورية روسيا الاتحادية

نهاية العام الدراسي استدعيت رايسا بتروفنا إلى مقر لجنة الحزب بالمنطقة للمساءلة.. تجمعنا أمام مكتب المدير - طالبنا بتسريحها فوراً، كانت الاستجابة فورية أيضاً... أعادوها لنا!

أما معلمي الثالث فهو أستاذي في المرحلة الجامعية «فتالي توشكن» كانت عبارته المفضلة «لا أريدكم أن توافقوني الرأي في كل ما أعتقد.. ناقشوني - عبروا عن قناعاتكم بشجاعة وحرية» كان ذلك في فترة السبعينيات، حاورناه حول القطاع العام واقتصاد السوق - التعددية الحزبية والحرب الأهلية، تناقشنا معه حول جدوى الاستئناس بعلوم الإحصاء الموجه وعلم الاجتماع الوراثي «ماكان يطلق عليه آنذاك العلوم الرأسمالية الوافدة».

أحسب أن المعلم هو من يعلم تلاميذه من الجيل الناشئ معنى الفضيلة والخير، احترام الأكبر سناً، وحب الوطن وإكرام المرأة. المعلم هو من يعلم تلاميذه كيف ينأون عن التسلط وإهانة الضعفاء، توخي الرحمة في الخصومة واحتمال الرأي الآخر. تلك هي المفاهيم التي تجعل منا بشراً.

هل يمكن أن يتحقق ذلك اليوم؟

حيث اختلط الحابل بالنابل، وجريمة القتل ماعادت تهز الوجدان، والموت بطلق ناري أضحى عملاً مألوفاً نتعايش معه! هل يمكن أن يتحقق ذلك والحرب تضطرم هنا وهناك، والعبث بالقانون حل محل سيادة القانون ودولة القانون؟

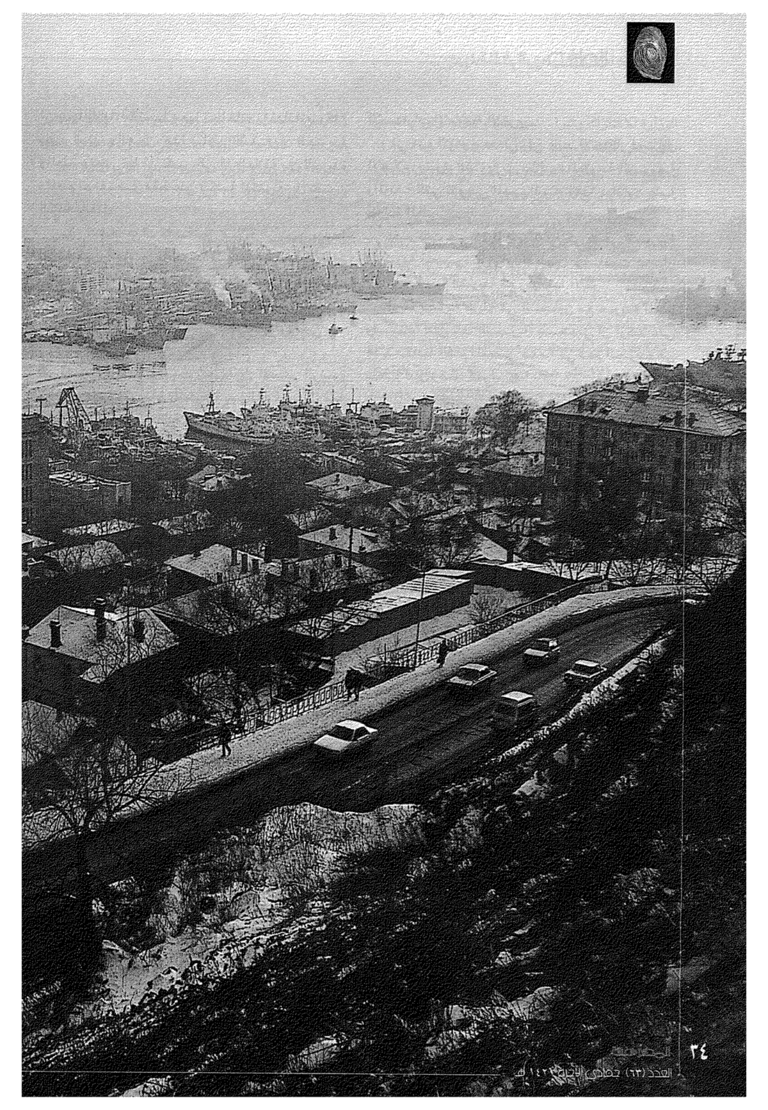
المعلم في ظل هذه الظروف مواجه بحزمة من التحديات، اجتماعية وصحية وأخرى تتعلق بالسكن والأجور، هناك تحديات مهنية ذات صلة بمضمون السياسة التعليمية والمناهج والبرامج الدراسية، حيث يقع عبء «إعادة خَبزْ» ما «يهببه» السياسيون على عاتق المعلم، بمعنى، أن السياسات التعليمية المتنزلة من قمة هرم السلطة، وإن شابتها المحاذير فإنها واجبة النفاذ... ولكن هل يختار المعلم إلا مايعود بالفائدة للأجيال؟ هنا تكمن المعادلة الصعبة.

ما لم نصل سوياً إلى عقد مدني مشترك فإننا لا محالة نقترب نحو الانتحار، عندئذ سوف لن نجد من يُعلِّم أو من يُعلَّم. وهكذا وعلى مدى السنوات الطوال ظل المعلم المحور الأساسي، وفتى الجريدة الأول وبطلها، فمن المعلم وإلى المعلم وحيث المعلم.

معلمة أخرى التقيت بها في ١٩٨٦م في مدينة «تشرنوبل» بعيد انفجار المفاعل النووي هناك. تعرفت عليها اسمها ايلينا بركوفشيكا - إبان الإنفجار كانت تقوم بإنقاذ الأطفال، تحملهم لمسافة تربو على ٣٠كم، أصابها الإشعاع واختزن جسمها النحيل قدراً لابأس به من تلك السموم.

قالت لي : أتعلم كم سعيت أن أخفي عن الأطفال حقيقة أمرهم واحتمال إصابتهم بالإشعاع؟ ربما وجدت مبرراً للكذب عليهم.. «أما كان من الواجب وقايتهم من الإشعاع؟» ولكن هيهات.. لكني قررت مواجهتهم بالحقيقة الحقيقة المرعبة.. الحقيقة السوداء، فمن يكذب مرة واحدة لن يتوقف عن الكذب.

ونحن أيضاً نحاول أن نكتب الحقيقة مهما كان لونها هكذا كان ديدن جريدة المعلم وسيظل. ■



روسيا اليوم:

أوان تجميع الحجارة

جلال الماشطة*

موسكو

لذا الوجه اليفا لكنه نشاز بين وجوه الباعة الذين فرشوا بضاعتهم فوق صناديق خشبية على قارعة الطريق في انتظار تبضع سخي. دنوت منه فاشاح، فدفعني الفضول إلى التمعن، وسرت في بدني رعشة حينما تعرفت في هذا الوجه المتغضن على ملامح أحد أبرز الأساتذة في جامعة موسكو.

* إعلامي عربي في موسكو - مراسل البي بي سي وجريدة الحياة

وقد لاتكون هذه حالة نمطية شائعة، إلا أن الكثيرين من حملة الشهادات العليا اضطروا إلى ترك قاعات المحاضرات والمختبرات والمكتبات ليزاولوا أعمالاً لايجمعها جامع بالمهن التي سلخوا خيرة سني حياتهم في إتقانها، لكنها لم تعد تعطي مردوداً يكفي للبقاء على قيد الحياة.

وإلى جانب فقدان موقعها كقطب في السياسة العالمية، فإن موسكو أضاعت مكانتها كعاصمة للعلم والتعليم والثقافة، وأخذت خيرة العقول تفتش عن منافذ للهرب من روسيا والبحث عن فرصة عمل خارجها، ولم يعد الروسي أكثر القراء نهماً في العالم كما كان، وحتى إذا وجد مالاً كي يقتني كتاباً، فالأرجح أنه سيكون رواية بوليسية رخيصة، وليس ديوان شعر أو بحثاً.

هذا غيض من فيض «الإصلاحات» التي شهدتها دولة كانت عظمى وصارت اليوم تستعطي صندوق النقد الدولي بضع مئات الملايين من الدولارات، رغم أن ماتسرب من روسيا خلال السنوات السبع الأخيرة فقط ربا على ٣٠٠ مليار دولار.

والحديث عن آفات اليوم لايعني تجاهل علل البارحة، فالعهد السوفياتي كان مثقلاً بأخطاء بدأت بهدم الدولة عام ١٩١٧م وإلغاء الرأي الآخر، واستفراد حزب واحد بالحكم. ولاحقاً أقيمت دولة بديلة توتاليتارية الطابع، ألغت الملكية الخاصة وقتلت روح المبادرة والإبداع، إلا أنها احتلت موقعاً مهماً في العالم بفضل ماحققته من تقدم صناعي وزراعي قام على قاعدة تعليمية شاملة ونظام تربوي ـ تثويري كفل محو الأمية ووفر الكتاب بسعر رمزي، وبهدف الإبقاء على الإيجابيات والتخلص من السلبيات، قاد ميخائيل غورباتشوف الثورة الثانية عام ١٩٨٥م وأراد إطلاق الديمقراطية السياسية وتحطيم أغلال التوتاليتارية، والخروج من دوامة الاقتصاد المبرمج وإباحة الملكية الخاصة، بد أن غورباتشوف افتقر إلى البرنامج الواضح والعزم الراسخ على تنفيذ مشروعه الإصلاحي فافسح المجال لمعارك بين أصوليين ووصوليين أتت في خاتمة المطاف إلى انهيار الدولة للمرة الثانية في القرن العشرين.

سقط غورباتشوف، أو بالأحرى أسقط، في انقلاب على الدستور والشرعية أواخر عام ١٩٩١م قاده بوريس يلتسين رئيس جمهورية روسيا الاتحادية آنذاك، الذي كان همه الأول والأخير أن يستولي على السلطة ويتربع على عرش الكرملين، حتى وإن كان هذا العرش مستوياً على أطلال دولة.

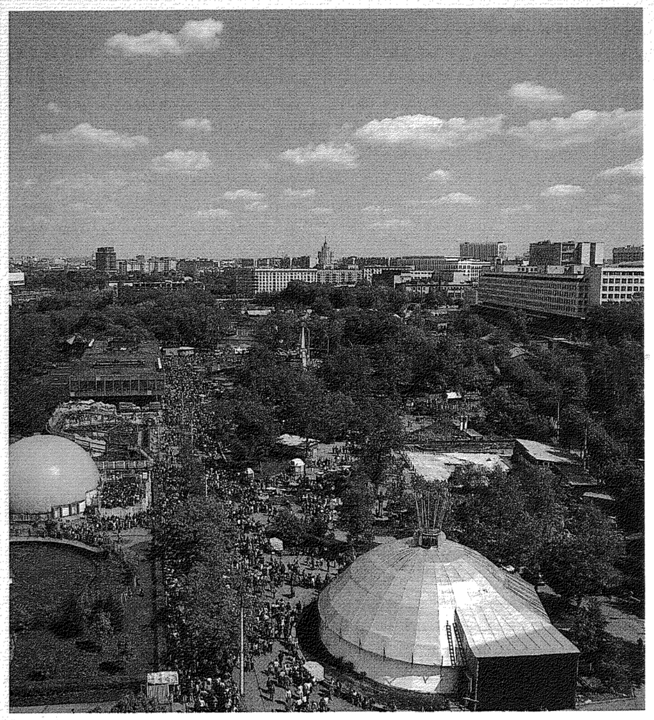
وفي عهد يلتسين تقلص دخل المواطنين في البلد بمعدل ٢ ـ ٣ مرات وانخفض الإنتاج الصناعي بنسبة ٥٢ في المئة، وتدهورت الزراعة بنسب مماثلة، واضطرت الجامعات إلى تأجير مختبرات وأجنحة كاملة إلى شركات أهلية تمارس أعمالاً مشبوهة لكنها قادرة على أن توفر مبالغ تؤمن للأساتذة مرتبات لاتتجاوز ٧٠ ـ ٨٠ دولاراً في الشهر.

وعلى الصعيد الدولي انسحبت روسيا من سائر مناطق العالم، ولم يبق لديها حلفاء عملياً وماعاد صوتها مدوياً، بل إن دولاً صغيرة محاذية لها أخذت تتحداها علناً. وكان رئيس الدولة يستبدل الحكومات كما يغير قفازات اليد، مستنداً إلى دستور منحه صلاحيات شبه مطلقة، وإلى دعم كامل من الغرب الذي تغاضى عن «هفوات» مثل إلغاء الدستور وقصف البرلمان بالقنابل وشن الحرب الشيشانية.

وغدت «الديمقراطية» في روسيا خليطاً عجيباً يجمع بين الفوضى والاستبداد، الانتخاب والقسر، الليبرالية المنفلتة والتشدد غير المحدود.

وبدلاً من أن يصبح بيع ممتلكات الدولة وسيلة لتفعيل الاقتصاد وإطلاق المبادرة الخاصة، صار في الواقع لغماً موقوتاً، إذ أن ملكية دولة كاملة تراكمت على مدى سبعة عقود من الزمن بيعت بأبخس الأثمان لحفنة من المقربين إلى الكرملين. وبين عشية وضحاها ظهرت فئة ضئيلة من أصحاب المليارات الذين كونوا ثرواتهم بأسلوب غير شرعي، فيما يظل قرابة ٣٧ في المئة من السكان دون حد الفقر.

كل هذه الأوضاع جعلت روسيا تنزلق نحو كارثة ديموغرافية هي الأنكى بين كل مصائب البلد. فالأرقام التي أوردها رئيس الدولة تفيد بأن عدد سكان روسيا يتناقص بمعدل ٦٥٠ ألف نسمة سنوياً «خبراء



الديموغرافيا يتداولون رقماً يقارب المليون» مايعني أن العدد الإجمالي سينخفض من ١٤٧ مليوناً في الوقت الحاضر إلى ١٠٠ مليون عام ٢٠٢٥ كي يصل إلى ٥٠ - ٥٥ مليوناً سنة ٢٠٧٥، هذا في حين أن الموارد البشرية في الدول المجاورة آخذة في التزايد، وبالتالي فإن بلداً مثل الصين قد يرى في رحاب روسيا مجالاً لـ«تمدد» سكاني بدأ فعلاً في المناطق الحدودية، بل إن دولاً مثل تركيا وإيران قد تطمع في الحصول على قطعة من الكعكة الروسية.

إزاء هذه المصائب المحدقة بالبلد من الداخل والخارج، كان لابد من تغيير ينهي النظام اليلتسيني الذي «أفلح» خلال عشر سنوات في الهبوط بدولة تشغل سبع اليابسة من العالم، من مصاف قطب أعظم إلى ما يشبه إحدى جمهوريات الموز الإفريقية، بل إن روسيا

«متفوقة» على مثل هذه الجمهوريات في مستوى الإجرام والرشوة وسائر مافي «تشكيلة» البلدان الأكثر تخلفاً، وسواء كان تولي فلاديمير بوتين نتيجة «انقلاب قصر» أو تنازل طوعي من بوريس يلتسين، فإن الرئيس الجديد يبدو محصلة موضوعية فرضها الخيار المصيري الذي واجهته روسيا: الاستقرار أو الإنهيار.

وقد يبدو للوهلة الأولى أن بوتين اعتلى صهوة حصان الحرب ليدخل الكرملين، وهو بالفعل «وظف» الحملة القوقازية لتعزيز مواقعه، ولكن الأرجح أن الغالبية الساحقة من الشعب الروسي أيدته لأنه وعد بالضرب بيد من حديد على بؤر الفساد والإجرام، وتصفية الهياكل الطفيلية التي جعلت من الدولة بقرة تحلبها باستمرار.

وإذا كان الاقتصاد هو التحدي الأكبر فإن تعديله يقتضي تحجيم دور العوامل غير الاقتصادية المؤثرة فيه. هذا يعني، أول ما يعني، إنهاء دور «طواغيت المال» الذين صاروا في الواقع حكومة ظل تدير شؤون البلد من دون أن تكون لها صفة شرعية أو أن تتحمل أي مسؤولية. وبدأ بوتين فعلاً حرباً على هؤلاء، رغم أن بعضاً منهم كان مساهماً في إيصاله إلى السلطة، والأرجح أن النزال الحاسم سيجري لاحقاً حينما تضيق الدولة الخناق على المتهربين من الضرائب وتطالب بإعادة الأموال المنهوبة، وإلغاء الصفقات غير الشرعية. وقد أثار ذلك حفيظة أبرز «طواغيت» العهد السابق، وفي مقدمتهم الملياردير اليهودي بوريس بيريزوفسكي الذي أعلن تحوله من موقع الداعم والصانع لسياسة العهد اليلتسني إلى موقع المعارض للحكم الحالي. بل إنه قال إن الدولة لايجب أن تحاسب من انتهكوا القوانين، معتبراً أن كل من لم يتجرأ على خرقها كان.... يغط في سبات.

وفق هذا المنطق يغدو أستاذ الجامعة الذي سهر الليالي باحثاً عن حل معادلة رياضية، والمعلم الذي يحترق ليضيء لتلاميذه طريق المعرفة، والطبيب المكافح للأوبئة على حساب صحته، كل هؤلاء يصبحون ملومين «ويحسبون نائمين لأنهم لم يتقنوا مهنة النصب والاحتيال ودس الأصابع في جيب الدولة».

وقد طلب «حيتان المال» عقد اجتماع مع رئيس الدولة للاتفاق معه على أن عملية الخصخصة لن تجري مراجعتها، ومطالبته بالتغاضي عن الانتهاكات السابقة، والكف عن رفع الدعاوى القضائية ضدهم. واستثمروا أجهزة الإعلام الموالية لهم لتصوير الملاحقات القانونية وكأنها حملة ضد الحريات.

إلا أن فلاديمير بوتين كان في منتهى الصراحة حينما طلب منهم ألا يلوموا المرآة التي تعكس واقع الحال، ولا يتبرموا بالمخلوق الشائه الذي اسمه الدولة الروسية المعاصرة، لأنهم... صنعوه بأيديهم.

هل سيتمكن بوتين من إعادة الممسوخ إلى أصله؟ أكيد أن روسيا لن تعود واحدة من الدولتين الأعظم، لكنها ما برحت أكثر بلدان العالم مساحة وتضم أراضيها ثروات طبيعية خيالية ابتداء من النفط والغاز والماس والذهب والأخشاب وانتهاء بالماء الذي سيغدو بترول القرن الجديد. وإلى ذلك فإن روسيا مابرحت تملك قدرات بشرية مؤهلة لمواصلة المسيرة العلمية والتنويرية لو تهيأت لها الظروف اللازمة لذلك. ثم إن روسيا مازالت دولة نووية عظمى رغم انخفاض تعداد قواتها المسلحة من قرابة ٣,٥ مليون إلى زهاء ١,٢ مليون عنصر، فموسكو تمسك بالهراوة النووية التي حتى إذا لم تستخدم كسلاح فإنها أداة تصلح لتحقيق أغراض سياسية.

غير أن هذه الثروات الطبيعية والمكتسبة تهدر هباء أو تنهب أو لا تستثمر بسبب غياب المؤسسات، وبفعل ما وصفه أحد الساسة الروس بـ«خصخصة الدولة»، فعملية بيع الممتلكات لم تقتصر على مصانع أو عقارات أو محلات تجارية بل امتدت إلى هياكل السلطة نفسها وصارت المقاعد النيابية والحقائب الوزارية قابلة للبيع والشراء. ولم يعد أحد يستغرب أن الوزير الذي يقرر مصير صفقات بالمليارات يتقاضى مايعادل خمسمائة دولار شهرياً، ولا يتعجب أحد إذا عرف أن هذا الوزير شيد لنفسه قصراً بـ ٥٠٠ ألف دولار، فالرشوة صارت ظاهرة شائعة ومألوفة، وسيواجه بوتين صعوبة في التصدي لها.

وإلى جانب معالجة المشكلات الاقتصادية يتعين على



العهد الحالي أن يتخذ قراراً صعباً بوقف النزف القوقازي. ولاشك أن انسلاخ الجمهورية الشيشانية قد يطلق تفاعلاً متسلسلاً ويؤدي إلى تخلخل الأوضاع في القوقاز، ويسهل اختراق الخاصرة الجنوبية الضعيفة لروسيا. إلا أن استمرار الحرب يشكل خطراً أكبر ويهدد بحرب ضروس في المناطق الممتدة بين بحر قزوين والبحر الأسود، والتي يسكنها، مناصفة، المسلمون والمسيحيون الأرثوذكس.

ومثل هذا التطور سيمنع روسيا من تنفيذ مشاريعها الرامية إلى استعادة جزء من هيبتها المضاعة في الشرق الأوسط، واستغلال مواقعها في المنطقة كورقة لتحقيق توازن جيواستراتيجي جديد، يؤمن تعددية قطبية تحد من هيمنة الولايات المتحدة على العالم.

واكتساب «أو استعادة» مواقع على الساحة الدولية يتطلب «تأمين الظهر» في الداخل، وتهميش نفوذ القادة الإقليميين الذين لم يعودوا يعترفون بدور الدولة المركزية. كما أنه يقتضي معالجة حكيمة للمشاكل القومية والدينية، فليس من المعقول أن يكون هناك مسلم واحد فقط في حكومة بلد، يشكل المسلمون ٢٠ في المئة من سكانه. هذا في حين أن اليهود الذين لا تتعدى نسبتهم الواحد في المئة يشغلون قرابة ٢٥ في المئة من المقاعد الوزارية، ويسيطرون على وسائل الإعلام بالكامل تقريباً ولهم حصة الأسد في الميدانين المالي والنفطي.

إن إحداث تغييرات تمس جوانب الحياة جميعها في المجتمع الروسي يقتضي من وارث يلتسن أن يشرع في تصفية الإرث المثقل بالآفات. ولاشك أن بوتين سيواجه مقاومة ضارية قد تتحول مجابهة سافرة، ولكن لاخيار أمامه إذ إن زمن بعثرة الحجارة قد انقضى وآن أوان تجميعها. ■



الأدب الروسي في عصره الذهبي

من بوشكين.. إلى تشيخوف

عبدالله حسن*

موسكو

* إعلا... جريدة الشرق الأوسط

تعود منابع الأدب الروسي إلى الأساطير والملاحم الشعبية للأقوام السلافية القديمة، والتي تناقلتها الأجيال على ألسنة الممثلين المتجولين «السكوموروخي» في الأسواق والأماكن العامة في أيام الأعياد الشعبية. وتمجد هذه الأساطير أبطال روسيا القدماء الجبابرة مثل سفيتاجور وإيليا موروم وإيفان والعمالقة الثلاثة. والحكايات الشعبية الروسية التي مازالت تروى للأطفال مترعة بالرومانسية والخيال والعاطفة المشبوبة، وانعكست لاحقاً في أعمال الأوبرا والباليه التي جلبت لروسيا الشهرة العالمية، إلى جانب أعمال بوشكين وجوجول وليرمنتوف ودوستويفسكي وتولستوي وتشيخوف وغيرهم، فهناك الفارس روسلان الذي ينقذ حبيبته لودميلا من أسر الجنّي تشيرنومور، والحصان الأحدب الذي يصنع المعجزات من أجل صاحبه، والسمكة الذهبية التي تلبي رغبات زوجة الصياد العجوز ثم تعاقبها على جشعها.

لقد قامت الدولة الروسية على ضفاف نهر الدينبر في مدينة كييف التي ازدهرت في عهد الأمير فلاديمير «المعمدان» الذي اعتنق المسيحية قبل حوالي ألف عام، ويومذاك بدأ تأثير الحضارة البيزنطية في روسيا. وقد مارست الكنيسة الأرثوذكسية الروسية دوراً كبيراً في تطوير الثقافة السلافية، حيث جاءت إلى روسيا التراتيل والأناشيد الدينية البيزنطية، واكتسبت صبغة محلية، وبدأ رسم الأيقونات الروسية، التي تقبل المتاحف وهواة التحف على اقتنائها اليوم بمبالغ طائلة. وفي هذه الفترة تحول الشعر الملحمي الشعبي إلى شعر كنائسي يتغنى بمناقب القديسين. وغالباً ماكان ترديد الشعر يقترن بالرقص والتمثيل الصامت. لكن هذا لايعني زوال أغاني الحب والعشق وأغاني الجنود الحزينة عند توديع الأمهات والحبيبات في القرى قبل التوجه للقتال.

وأدى اعتناق روسيا للمسيحية عن طريق بيزنطة إلى ظهور تأثيرات الثقافة اليونانية وليست اللاتينية. ولهذا لم تعرف روسيا الحركات الفكرية لعهد النهضة في إيطاليا وفرنسا وإسبانيا. من جانب آخر أدت ترجمة النصوص الدينية إلى اللغة السلافية القديمة التي استحدث أبجديتها الراهبان كيريل وميثوديوس إلى تقريب الأفكار الكنسية الأرثوذكسية من عامة الناس. إذ انتشر الكتاب المقدس والنصوص الكنسية الأخرى باللغة الروسية المفهومة لدى عامة الناس، بينما بقي في البلدان الكاثوليكية باللغة اللاتينية، التي لم يكن يعرفها سوى الخاصة من المتعلمين ورجال الكنيسة. وأدى انعزال روسيا عن الحضارة اللاتينية وفيما بعد عقب سقوط القسطنطينية على يد محمد الفاتح إلى انعزال روسيا تماماً عن العالم. عمد البطريرك نيكون إلى نقل مركز الكنيسة الأرثوذكسية إلى روسيا، وشيد لهذا الغرض «أورشليم الجديدة» وفيها كنيسة تعتبر نسخة طبق الأصل عن كنيسة المهد في القدس من أجل أن يتوجه إليها المسيحيون الأرثوذكس للحج.

وأدت عزلة روسيا الإجبارية إلى نشوء ثقافة متميزة خاصة بها، اعتمدت على التراث الشعبي السلافي القديم وتراجم النصوص البيزنطية. وجاء غزو المغول - التتار للأراضي الروسية الذي فرض العبودية على الشعب الروسي على مدى قرنين من الزمان ليكمل هذه العزلة تماماً. ورغم أن الغزاة لم يفرضوا على الروس لغتهم وديانتهم فإنهم أبادوا النخبة المتعلمة ولاسيما رجال الكنيسة. وهربت بقاياهم إلى الغابات في الأماكن النائية وواصلت لحد ما التقاليد القديمة.

وعرفت دولة «روس كييف» بعض المؤلفات المشهورة مثل «أخبار الأزمان الغابرة» التي دونها الكاهن نسطور، وأدخلت عليها تعديلات كثيرة فيما بعد، وحاولت نسب الأقوام السلافية إلى عهد الطوفان وقوم نوح، وكتاب «وصايا» الأمير فلاديمير مونوساخ إلى أولاده حول واجبات الأمير وسلوكه وقواعد الأخلاق وكرم الضيافة ووجوب التعليم. وذاع صيت راوية «حملة الأمير ايجور» التي تتحدث عن المعارك بين الأمراء الروس وأبناء السهوب البدو.

وحدث انعطاف حاد في تاريخ الثقافة الروسية بعد أن أعلن إيفان الثالث قيصر روسيا استقلال بلاده، ورفض دفع الجزية إلى التتار في دولة «الأورطة الذهبية» التي دب فيها الضعف آنذاك. وتوحدت الأراضي الروسية تحت سلطة أمير موسكو. وخرجت روسيا بعد ذلك من فترة الانحطاط، لاسيما بعد أن تدفق إليها اللاجئون من بيزنطة وبدأت العلاقات مع إيطاليا والدول الأخرى في أوروبا. وفي عام ١٥٥٣م افتتحت أول مطبعة بموسكو لطبع الكتب الكنسية والتاريخية. وفي هذه الفترة وطد إيفان الرابع «الرهيب» أركان الدولة وتأسست المعاهد التعليمية والمكتبات، وفتح المجال واسعاً لتطور الأدب الروسي.

علماً أن الثقافة الغربية بدأت تمارس تأثيرها في روسيا منذ أيام إيفان الرهيب، الذي سمح للألمان وغيرهم من الأجانب بالاستقرار في أحياء بموسكو عرفت باسم «سلوبودا».

وفي فترة حكم بطرس الأكبر «الذي ولد في عام ١٦٧٣م» تحولت روسيا تماماً إلى استلهام منجزات الحضارة الغربية، وفتح «نافذة» على أوروبا حين شيد القيصر عاصمته الجديدة بطرسبورج. وجاء إلى روسيا عدد كبير من الخبراء الأجانب في مختلف المهن والاختصاصات، بينهم المعماريون والموسيقيون والمهندسون والمسرحيون. وآنذاك ظهر شعراء وأدباء روس أكثرهم من عامة الناس، لأن القيصر بطرس كان يحب معاشرة البسطاء، ويكره النبلاء «البايار» الذين جلبوا له الكثير من الأذى في طفولته ويفاعته. وبرز العالم والكاتب المعروف ميخائيل لومونوسوف «١٧١١ - ١٧٦٥م» الذي تحمل جامعة موسكو اسمه اليوم. ونشر لومونوسوف أول



كتاب في النحو الروسي، ونظم الشعر وألف الكتب في الفيزياء والكيمياء. وفي هذه الفترة تطور المسرح الشعبي وبدأت كتابة المسرحيات الجادة.

وواصلت الامبراطورة يكاترينا الكبرى مسيرة بطرس الأكبر في تقريب رجال العلم والأدب إلى البلاط، وإكرامهم وتشجيعهم. وأرسلت يكاترينا البعثات الدراسية إلى ألمانيا وفرنسا وانجلترا وهولندا، وواصلت بهذا خط بطرس في التقرب من الحضارة الأوروبية. وتأسست جامعة موسكو وجامعة بطرس والمجمع اللغوي والمجمع العلمي، وصدرت الصحف التي تمتعت بحرية كبيرة في التعبير عن الرأي، وشيدت المسارح لتقديم الأوبرا والباليه والعروض الدرامية. وبرز أدباء مثل فونفيزين وخيراستوف وبتروف ودرجافيين والمؤرخ كارامزين صاحب «رسائل سائح روسي» التي يبرز فيها فضائل الروس على غيرهم من الأوروبيين، من حيث التمسك بالقيم الأخلاقية. ويلاحظ أن اللغة الروسية رفدت في هذه الحقبة من الزمن بالكثير من التعابير الأجنبية، واستعار الكتاب الروس الأساليب والطرائق في التعبير المميزة لكتاب أوروبا.

وقد حقق الشعر الروسي قفزة هائلة في مطلع القرن التاسع عشر، حين أصبح الجميع ينظمون الشعر، وصدرت مجلات كثيرة مثل «رسول أوروبا» لصاحبها كارامزين و«ابن الوطن» لجريتشي و«نجمة القطب» لصاحبها ريلييف و«أزهار الشمال» لصاحبها دولكيخ، وكانت تكرس حيزاً كبيراً فيها إلى الشعر. وذاع صيت «جوكوفسكي «١٧٨٣ - ١٨٢٥م» صاحب الأشعار الوجدانية والذي ترجم الكثير من الشعر الأجنبي ويعود إليه الفضل في تعريف الروس بالشعراء الأوروبيين الغربيين. ونشرت مسرحية «ذو العقل يشقى بعقله» لجريبيدوف الدبلوماسي الروسي الذي قتله مجنون في طهران، لتظهر التحول في تفكير النخبة المثقفة الروسية باتجاه بناء ثقافة وطنية روسية لاتقلد الأعمال الثقافية الأجنبية.

ويعتبر الشاعر الكسندر بوشكين رائد الشعر الروسي الذي ولد بموسكو في عام ١٧٩٩م ولقي مصرعه الفاجع في مبارزة دفاعاً عن شرف زوجته. ونظم بوشكين قصيدته الكبيرة الأولى «روسلان ولودميلا» في عام ١٨٢٠م، التي تميزت بخيالها ومرحها وسحر لوحاتها ورشاقة أوزانها. ولكن بوشكين أقام علاقة بالديسمبريين،

وهم أصحاب حركة سرية تدعو إلى تحديث الدولة الروسية، وتأثروا بأفكار الثورة الفرنسية، مما أثار غضب القيصر عليه، فجرى نفيه إلى مولدافيا، وقام بجولة في القوقاز وكتب قصائده الجميلة «قطاع الطرق» و«الفجر» و«نبع بقجة سراي» و«إلى البحر». وتأثر بوشكين بعادات الشعوب الإسلامية هناك وكتب قصائده «تشبيهات قرآنية» و«ليلة القدر» وغيرها المستوحات من المواضيع الإسلامية. وتعتبر روايته الشعرية «بوريس جودونوف» من أعماله الدرامية الرائعة التي تحولت إلى أوبرا وباليه فيما بعد. كما كتب رواية شعرية أخرى باسم «يفجيني اونيجين» ورواية «ابنة القائد» ودواوين شعرية كثيرة.

وقد كشف بوشكين في أعماله أصالة الروح الروسية، التي توطدت في أيام حملة نابليون على روسيا عام ١٨١٢م. واعتمدها لاحقاً رجال حركة «بوتشفينيكي» أي أنصار «تربة الوطن» بخلاف دعاة التوجه نحو الغرب «المتغربين». وفيما بعد أصبح الكاتب فيودور دوستويفسكي من أشد الأنصار المتحمسين لفكرة وجود ثقافة روسية أصيلة يجب ألا تقلد الثقافة الغربية.

ومن الشعراء البارزين الآخرين ميخائيل ليرمنتوف صاحب القصيدة الرومانسية «الشيطان»، التي يتحدث فيها عن حبه لفتاة جورجية اعتكفت في الدير ولكنها واصلت حبّه وتوفيت بسبب الكآبة. وكان ليرمنتوف ضابطاً في الجيش وخدم في القوقاز، لذا فإن مؤلفاته وأشهرها «بطل من هذا الزمن» تظهر جوانب حياة شعوب المنطقة. ولقي هذا الشاعر مصرعة في مبارزة أيضاً بتدبير من خصومه.

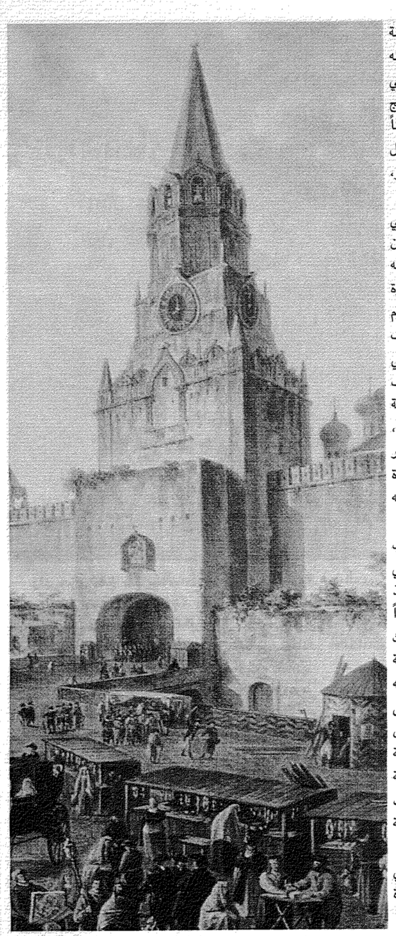
ويشير كثير من النقاد إلى أن نيكولاي جوجول يعتبر رائد الرواية الروسية رغم أن بوشكين وليرمنتوف مارسوا كتابة الرواية وبرعا فيها أيضاً. فإن جوجول الذي ولد في أوكرانيا في عام ١٨٠٩ كتب رواية «الأنفس الميتة» التي تحتل مكانة الذروة في الرواية الروسية حتى يومنا هذا. وكان جوجول كاتباً ساخراً من المجتمع في عصره، ومنعت أعماله ومنها مسرحيته المشهورة «المفتش العام» التي أظهر فيها فساد أجهزة الدولة آنذاك. ولكن «الأنفس الميتة» بقيت منذ أيام جوجول وحتى ظهور دوستويفسكي تمثل المعيار في تقييم الرواية الروسية. وجاءت بعد جوجول كوكبة من الروائيين الروس واصلت نهجه، ومنهم جونتشاروف صاحب رواية «أبلوموف» و«حكايات صياد» وغيرها من الروايات عن الحياة في الريف الروسي، وكذلك رواية «عش النبلاء» ورواية «الآباء والبنون» التي ضمنها فلسفته في الحياة. وعرف الكاتب ساليتكوف شيدرين برواية «الأغوات جولوفيوف» ورواية «قصة مدينة» و«صفحات هجائية نثرية»، واعتمد الكاتب التورية والمجاز وكانت لغته تتسم بالرصانة والغموض.

وقد ارتقى دوستويفسكي بالرواية الروسية إلى مستوى العالمية، حال ظهور روايته «المساكين» التي تأثر فيها كثيراً بقصة «المعطف» لجوجول. ولهذا كثيراً مايشير النقاد إلى أن جميع كتاب روسيا خرجوا من «معطف» جوجول.

وانضم دوستويفسكي في شبابه إلى جمعية ثورية ارهابية وحكم عليه بالإعدام، لكن حكم الإعدام ألغي قبل لحظات من تنفيذه، واستبدل بالأشغال الشاقة. وعن فترة السجن كتب دوستويفسكي «ذكريات في بيت الموتى». وكتب دوستويفسكي جميع مؤلفاته تقريباً عن المساكين والمسحوقين مع كشف مكنونات نفوسهم ومعاناتهم. ومن مؤلفاته «الجريمة والعقاب» و«المقامر» و«الأبله» و«الممسوسون» و«الأخوة كارامازوف» و«المراهق» وغيرها. وتعتبر أعماله من نفائس الأدب الروائي العالمي ومدرسة قائمة في ذاتها في التحليل النفسي.

ورواياته مترعة بالمحادثات والمناقشات الفكرية، التي تتخلل الحوادث وتكشف أفكاره السياسية والدينية، «إذ كان رجلا شديد التدين».

ويقف في مرتبة واحدة مع دوستويفسكي معاصره تولستوي، الذي ينتمي إلى طبقة النبلاء بعكس دوستويفسكي الفقير الأصول. وقد درس الكونت تولستوي في جامعة قازان، وتعلم اللغة العربية وقرأ القرآن الكريم، وأثر اطلاعه على الحضارة الشرقية في أفكاره الفلسفية لاحقاً، مما أثار غضب الكنيسة عليه، والتي أعلنت الحرمان عليه ومنعت دفنه بعد وفاته وفق الطقوس الكنسية. وقد دفن في حديقة بيته في ضيعة باسنايا بوليانا. وقد سافر تولستوي في شبابه إلى القوقاز لأداء الخدمة العسكرية هناك، وكتب رواية عن القوقاز وعن حصار سيفاستوبول. وتركت أول زيارة له إلى باريس آثاراً عميقة فيه بعد اطلاعه على أعمال روسو وفولتير ومونتسيكو وجوته وشوبنهاور. وانعكست التحولات الفكرية لديه في رواياته «البعث» و«الحرب والسلام» و«آنا كارينينا». ويشبه كثير من النقاد رواية «الحرب والسلام» بأسطورة هوميروس «الإلياذة». وفي آخر أيام حياته هرب



الشيخ العجوز تولستوي من بيته في ليلة مظلمة وركب القطار وتوفي في قرية منسية، لأنه اكتشف أنه عاش حياته عبثاً، وأن فلسفته التي وجدت أتباعاً كثيرين في الدعوة إلى ترك مباهج الحياة الدنيا والعيش كالفقراء، لاتجد تفهماً لدى أفراد عائلته. وعموماً فإن تولستوي يجعل صراع النفس الإنسانية قائم بين الشر والخير، ومن هنا تنبثق قيمة أعماله الأدبية والفكرية.

وبرز في أيام تولستوي كاتب - طبيب ريفي كان يتسم بروح النكتة والمفاجأة هو أنطون تشيخوف «١٨٦٠ - ١٩٠٤م» الذي احتل مكانه في الأدب الروسي ككاتب قصة قصيرة ومسرحيات. ونشأ تشيخوف في أسرة بقال ثم درس الطب، وكتب القصص للتسلية، ثم انصرف للكتابة تماماً. وقد أصيب بداء السل، وتزوج في آخر حياته من ممثلة مسرحية. وسخر تشيخوف في مسرحياته من حياة أبناء الطبقة المتوسطة الخاوية من أية قيم، وتهافتهم على حياة البذخ، دون اهتمام بأية قيم دينية أو أخلاقية، وصور تشيخوف في قصصه بأسلوب ساخر حياة بسطاء الناس وآلامهم. ومن أشهر مسرحياته «الأخوات الثلاث» و«الخال فانيا» «وإيفانوف».

وكان من معاصرية أيضاً الأديب «البروليتاري» مكسيم جوركي، الذي ولد في ينجني نوفجورود في أسرة فقيرة ومارس منذ طفولته شتى المهن حيث عمل حمّالاً وخبازاً وعامل سكك حديد. وقصصه ورواياته تتحدث عن فقراء الناس وصراعهم من أجل لقمة العيش. وقد احتضنه البلاشفة في البداية، لكنه أصيب بخيبة أمل بالحكم الشيوعي فسافر إلى ألمانيا وإيطاليا، ثم عاد إلى روسيا بعد مرض شديد ليموت هناك. ومن أشهر أعماله رواية «الأم» عن عامل مصنع شارك في حركة سرية وأمه التي وقفت إلى جانبه حتى النهاية، وكتاب «طفولتي» ورواية «أسرة أرتومونوف» ومجموعة مسرحيات تقدم على خشبة المسرح باستمرار.

وهؤلاء الكتاب يمثلون العصر الذهبي للأدب الروسي والذي جلب إليه الشهرة العالمية. ■



الاستعراب في روسيا:

ازدهار الماضي.. أزمة الحاضر

يوري زينين *
موسكو

نشأت مدرسة الاستعراب الروسية في مطلع القرن التاسع عشر حين ظهرت أولى الدراسات في لغة وآداب تاريخ العرب. وفي عام ١٨٠٤م ظهر ميثاق الجامعات الذي ينص على افتتاح أقسام فيها لتدريس اللغات الشرقية، ومنها اللغة العربية، وإدخالها في مقرر التعليم العالي. وظهرت أولى هذه الأقسام في جامعات خاركوف وقازان وموسكو. ولم يبدأ تدريس اللغة العربية في جامعة بطرسبورج عاصمة الامبراطورية الروسية آنذاك إلا في عام ١٨١٩م.

وقد جرى تعليل ذلك بحاجات روسيا العملية، حيث يمتد ثلثا أراضيها في آسيا. علماً أن بعض مناطق الامبراطورية مثل القوقاز وآسيا الوسطى كانت على مدى القرون ترتبط بالعالم العربي والإسلامي، وغالباً ما كانت لغة القرآن الكريم هي لغة التخاطب بين شعوبها.

وفي عام ١٨٣٦م صدر في موسكو أول قاموس عربي وكتاب قواعد اللغة العربية بقلم أ.بولديريف الذي اعتمد بصفته المرجع الأساسي لدارسي اللغة على مدى بضعة عقود من السنين وقد اهتم باللغة العربية آنذاك الكثير من الشخصيات الأدبية والروسية المعروفة، مثل ليف تولستوي الذي درس اللغة العربية فترة من الزمن في جامعة قازان، بينما تولى الكاتب والصحافي الروسي أوسيب سينكوفسكي (١٨٠٠-١٨٥٤م) على مدى ربع قرن إدارة قسم اللغات الشرقية في جامعة بطرسبورج. وقد ترك لنا العديد من المحاضرات في اللغة العربية والشعر العربي، وعدة روايات قصيرة ذات موضوع عربي مثل «البدوي» و«عنترة» ...إلخ، التي استوحت أفكارها من حياة البداوة في جزيرة العرب ولقيت نجاحاً كبيراً آنذاك.

وعندما رفدت الأرشيفات والمتاحف والمجموعات الخاصة لأفراد الأسرة الامبراطورية بمخطوطات ونفائس ثقافية جلبت من بلدان الشرق، توفرت الظروف لظهور خبراء متطلعين في اللغة العربية وآدابها.

وفي أواسط القرن التاسع عشر ازدادت الاتصالات المباشرة بين روسيا والعرب. وأخذ عشرات الآلاف من رعايا الامبراطورية المسلمين والنصارى يتوجهون لزيارة الأماكن المقدسة في جزيرة العرب وفلسطين. وفي عام ١٨٨٢م تأسست الجمعية الامبراطورية الأرثوذكسية التي افتتحت مدارس لها في سورية ولبنان وفلسطين تخرج منها آلاف التلامذة العرب.

وقد ساعد هذا كله على حدوث تقدم في الأبحاث العلمية الروسية حول ثقافة العرب وتراثهم الروحي والتاريخي، وفي فترة أواسط القرن التاسع عشر ومطلع

* مستعرب روسي.



القرن العشرين ترسخت مدرسة الاستشراق الروسية وصارت تضاهي مثيلاتها من المدارس الأوروبية. وعمل في بطرسبورج وموسكو وقازان وغيرها من المدن الروسية أساتذة فطاحل، لهم باع طويل في دراسة اللغة العربية وغيرها من اللغات الشرقية، ذاع صيتهم في أوروبا بأسرها.

ونذكر على سبيل المثال فكتور روزين(١٨٤٩-١٩٠٨م) عالم الآثار الكبير الذي جمع ونشر سلسلة من المؤلفات العربية التي تتناول تاريخ الشعوب السلافية وروسيا. وترجم المؤلفات حول الرحالة العربي ابن فضلان والبكري وابن خلدون وابن رشد وغيرهم من كبار العلماء والمفكرين العرب، كما شارك في إصدار سلسلة الطبري حول التاريخ العربي، والتي صدرت تباعاً سنوياً في القرن التاسع عشر.

ونشير أيضاً إلى الأكاديمي فاسيلي بارتولد (١٨٦٩-١٩٣٠م) المعروف بمؤلفاته حول فترة فجر الإسلام، أصدر المجلة العلمية«العالم الإسلامي»، ونشر عدة كتب منها «أخبار العرب حول الروس» وعدة مقالات في الموسوعة الإسلامية الدولية، والكثير من الأبحاث الأخرى، وساعد على افتتاح مكتبات للاستشراق ونشر الأعمال حول العرب.

وهناك البروفيسور أجافا نجل كريمسكي (١٨٧١-١٩٤٢م) الأستاذ في جامعة كييف صاحب المعارف الموسوعية في التاريخ والاثنوجرافيا والأديان واللغات. ومن مؤلفاته «تاريخ العرب والأدب والعربي» و«تاريخ الإسلام» بالإضافة إلى ترجماته لكثير من المؤلفين العرب.

وعمل في مدرسة الاستعراب الروسية بعض العرب القادمين إلى روسيا من فلسطين وسورية ولبنان ومصر. فعمل بندل جوزي (١٨٧١-١٩٤٢م) في مطلع القرن العشرين في جامعة قازان، حيث كان يدرس اللغة العربية ثم عمل في باكو «أذربجيان» في دراسة المصادر العربية حول تاريخ القوقاز، ونشر أعمال عدة مؤلفين عرب، ألقت



أعمالهم الضوء على تاريخ هذه المنطقة.

وتخصصت الباحثة الفلسطينية كلثوم عودة فاسيليفا (١٨٩٢-١٩٦٥م) التي تزوجت من الطبيب الروسي فاسيليف في تدريس الأدب العربي المعاصر، وألفت كتاباً بعنوان «نماذج من الأدب العربي الحديث» وكانت كلثوم تقيم علاقات مع كثير من كبار الكتاب في العالم العربي، ويرجع إليها الفضل في تعريف القارئ الروسي بأعمال الأدباء العرب.

ويوجد بين تلاميذها العديد من الدبلوماسيين والأساتذة والباحثين الموهوبين.

ويحتل مكانة خاصة في مجال الاستعراب في روسيا الأكاديمي أغناطيوس كراتشكوفسكي (١٨٨٣-١٩٥١م) الذي يعتبر أب مدرسة الاستعراب الروسية والسوفييتية الحديثة. وقد منح شرف عضوية العديد من المجامع العلمية الأجنبية، منها في بريطانيا وسورية وإيران وغيرها. كما أنجز كراتشكوفسكي ترجمة دقيقة لمعاني القرآن الكريم، تختلف عن التراجم الروسية الأخرى، بكونها تعتمد الأسلوب العلمي في الترجمة.

وقد ترك كراتشكوفسكي تراثاً غنياً يتألف من ٤٥٠ من الأعمال العلمية المختلفة. وشملت مؤلفاته دراسات وافية حول التاريخ والأدب في بلدان العالم الإسلامي (من مطلع القرن السابع وحتى القرن الثاني عشر الميلادي)، وتراجم كثيرة لأدباء عرب، وعدة أعمال عن آثار جنوب جزيرة العرب.

ولعل أهم رصيد أسهم به كراتشكوفسكي في علم الاستعراب، هو أنه كان أول مستشرق في أوروبا قدّم إلى العالم الأدب العربي الحديث،وقدم دراسات وافية عن عصر النهضة الثقافية في العالم العربي، في فترة القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

وقد كرس الأكاديمي كراتشكوفسكي باكورة أبحاثه الأدبية في عام ١٩٠٨م إلى الشاعر أبي العتاهية، وأعقب ذلك بنشر دراسات حول الشعراء النعمان وبشار بن برد وأبي نواس ومجموعة من الأدباء والشعراء العرب المحدثين، مثل أمين الريحاني وطه حسين وجرجي زيدان ومحمود تيمور وغيرهم، علماً أن كراتشكوفسكي توفي قبل أن يشهد فترة إقامة العلاقات الواسعة مع العالم

من المخطوطات العربية في روسيا الاتحادية

أولا: المخطوطات العربية (داغستان):

- عدد المخطوطات التي تم جمعها حتى اليوم في أكاديمية العلوم وفي جامعة داغستان الحكومية، يبلغ خمسة آلاف مخطوط.

-عدد المخطوطات التي تمت معرفتها وتسجيلها في المكتبات الخاصة لدى المواطنين في الجبال يبلغ ستة آلاف مخطوط.

- الدراسات الاستطلاعية التي قام بها علماء داغستان، توصلت إلى نتيجة أنه مازالت توجد في الجبال والمناطق السكنية الإسلامية من ٣٠ إلى ٤٠ ألف مخطوط.

- الفترة الزمنية التي تنحصر فيها من القرن (١١-٢٠).

*** يمكن تصنيف هذه المخطوات حسب موضوعاتها إلى ما يلي:**

١- القرآن الكريم وعلومه: مع وجود نسخ نادرة من القرآن الكريم بالخط الكوفي وغيره من الخطوط وبالأحجام المختلفة.

٢- تفاسير القرآن: للبيضاوي، المحلي، السيوطي، ابن حجر، وغيرهم.

٣- قواعد اللغة العربية: لعمر التفتازاني، ابن مالك، ابن الحاجب، الجامعي، وغيرهم.

٤-الفقه: للنووي، المحلي، ابن حجر وغيرهم.

٥- الصوفيه: لأبي حامد الغزالي حيث وجدت ٤٠ نسخة من مخطوطاته مدونة منذ القرن الثاني عشر حتى القرن السابع عشر مثل إحياء علوم الدين، المنهاج، الوجيز، جواهر القرآن وغيرها.

٦- الأحاديث النبوية الشريفة لمعظم المحدثين.

٧- علم الفلك والمنطق: مثل الرسالة الشمسية للرازي وغيرها.

٨- الطب، والفلسفة، والسياسة، وعلم النفس، والجمال، والتاريخ ، والجغرافية، والرياضيات، وغيرها.

المهم والجديد في الكتب المذكورة هو تعليقات العلماء

العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، حيث كثرت الأبحاث في مجال الاستعراب.

وفي مطلع الستينيات افتتحت مراكز جديدة للاستعراب بالإضافة إلى موسكو ولينينجراد (حالياً بطرسبورج)، فقد افتتحت أقسام لدراسة اللغة العربية وآدابها، في أوزبكستان وتاجيكستان وجورجيا وأذربيجان وأرمينيا. وأعيد تشكيل جمعية المستعربين السوفييت. وفي هذه الفترة نشرت كتب كثيرة حول تعليم اللغة العربية بقلم الأساتذة بنتسيون جراندة وجريجوري شرباتوف وفلاديمير شاجال والكسندر كوفالسيوف وغيرهم.

وفي أواسط القرن العشرين حدثت موجة واسعة للنشر في الاتحاد السوفيتي باللغة العربية واللغة الروسية وغيرها لأعمال المؤلفين العرب والروس. وفي أواخر الستينيات ترجمت إلى ٢٩ لغة من لغات شعوب الاتحاد السوفييتي ١٢٢ كتاباً لمؤلفين عرب، حوالي٥ ملايين نسخة. وبحلول عام ١٩٩٠م بلغ عدد مؤلفات الكتاب والشعراء الجزائريين فقط المترجمة إلى هذه اللغات حوالي ١٠٠ كتاب. كما نشرت أبحاث كثيرة للمستعربين حول العالم العربي.

ولكن بعد انهيار الاتحاد السوفييتي أخذ علم الاستعراب الروسي يعاني مصاعب كبيرة شأنه شأن بقية فروع العلم.

حقاً إن البريسترويكا قد أطلقت حرية التبادل العلمي، وإجراء الاتصالات العلمية الدولية، وظهرت في روسيا مؤسسات تعليمية ودورات خاصة لتعليم اللغة العربية، وبدأ إصدار الكتب والمطبوعات الدورية من قبل الأفراد، بعد أن احتكرت الدولة النشر سابقاً.

ولكن لابد من الاعتراف بوجود أزمة يعاني منها علم الاستعراب في روسيا حالياً، حيث يتقلص عدد المستعربين، ونشر الأبحاث العلمية، ومناقشة الأطروحات، وترجمة أعمال المؤلفين العرب إلى اللغة الروسية، وترجمة الكتب الروسية إلى اللغة العربية. ولم تعد تعقد كالسابق ندوات ومؤتمرات في مجال الاستعراب، ويرتبط ذلك بضعف التمويل، وتقلص العلاقات منذ مطلع التسعينيات بين روسيا والعالم العربي. ■

المحلين على هوامشها.

وبين المخطوطات المذكورة هناك صنف هام جداً للدراسات الإسلامية، وهي من مؤلفات العلماء المحليين، ومنهم:

١- أبوبكر محمد بن موسى الدربندي صاحب كتاب (ريحان الحقائق وبستان الدقائق) وهي نسخة فريدة، كتبت بدون نقط وتشكيل، تتم الآن دراستها وتنقيطها وتشكيلها.

٢- أحمد بن إبراهيم اليماني، توفى عام ١٤٥٠م صاحب كتاب (وفق المراد) بالعقائد والتربية.

٣- جمال الدين الغوموقي صاحب كتاب الآداب المرضية في الطريقة النقشبندية.

٤- عبدالرحمن بن جمال الدين الغوموقي صاحب كتاب (تذكرة عبد الرحمن الغوموقي في بيان أحوال أهالي داغستان والشيشان).

٥- محمد طاهر القاراضي، وهو السكرتير الخاص للإمام شامل صاحب كتاب (بارقة السيوف الداغستانية تحت راية الغزوات الشاملية).

٦- محمد اليراغي وهو مؤسس الديرية في داغستان له ثلاث كتب:

- آثار اليراغي.
- القصيدة التائية الكبرى.
- القصيدة التائية الصغرى.

٧- حسن أفندي القادري له أيضاً ثلاثة كتب:

- آثار داغستان في التاريخ.
- ديوان المنون في الأدب والشعر.
- جراب المنون في الحقوق والفلسفة.

ثانياً: المخطوطات العربية والإسلامية الموجودة في مدينة (سان بطرس بورغ)

تتوفر معلومات دقيقة عن أعدادها وتصنيفها، وهي مفهرسة في كتابين كبيرين على النحو التالي:

القرآن الكريم وعلومه (٦٦٧نسخة)، الأحاديث النبوية الشريفة (٤٦٠ نسخة)، العقائد والصوفية، والأدعية (٢٦٠٩)، الفقه (١٥٣٣)، الفلسفة وعلم النفس والجمال (١٤٧١)، القواعد وعلم اللغة (١٦٧٣)، الآداب والشعر وغيره (٨٨٧)، التاريخ (١٢٣)، بيوغرافيا (١٦٠)، الجغرافية وعلم الفلك (٦٠)، الرياضيات وعلم النجوم (٢٨٠)، الموسوعات (١٠٥)، الفهارس (٧)، العوامل الطبيعية (١٢)، الفيزياء والكيمياء (٢٢٩)، الطب (١١٨)، طب الحيوان (٤)، علم الأرض (٣)، العلوم العسكرية (٥)، فن الطبخ (١) الموسيقا (٢)، الايجاز (١٢)، آداب مسيحية عربية (٧٩). ■



الكرملين .. قلب روسيا النابض

كانت موسكو (موسكفا) بلدة صغيرة تقوم على ضفاف نهر بهذا الاسم، وبمرور الزمن تحولت إلى مدينة كبيرة أسسها الأمير يوري دولجوروكي، ولكن دولجوروكي ومن خلفه لم يفكروا في بناء حصون لها، ربما لأنهم لم يعتبروها ذات أهمية كبيرة، وربما لهذا لم يتخذوها مقراً لهم باستثناء الأمير فلاديمير فسيفولودوفيتش الذي رابطت قواته فيها بصورة دائمة.

وفي عام ١٢٣٨م زحف الخان باطي على موكسو في أيام الأمير فلاديمير الآنف الذكر ودمرها بعد أن قتل رجال حاميتها.



ولكن المدينة عادت إلى سابق عهدها بعد تعميرها على يدي الأمير ميخائيل الشجاع (هذا لقبه) في عام ١٢٤٦م، وتولى الحكم من بعده الأمير الكسندر نيفسكي، ثم انتقلت إدارة موسكو إلى ابنه دانييل الذي لقب لأول مرة «بأمير موسكو»، وكان دانييل أول من أمر ببناء حصن «كرملين» لحماية موسكو من الغزو الأجنبي، فأقيم فوق التلة عند نهر موسكفا حصن خشبي يلجأ إليه الناس لدى هجوم الأعداء. ويقال إن السلافيين القدامى شيدوا هناك سابقاً عدة حصون خشبية لحقها الدمار من آثار الغزوات.. وقد وجد علماء الآثار عند إجراءات الحفريات في أساس الكرملين الحالي أختاماً من الفضة وحلياً ونقوداً عربية يعود تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي.

وكان الحصن الذي بناه الأمير دانييل مربع الأضلاع ودون أبراج. وقد اختير مكان مناسب جداً للبناء فوق التل المرتفع ويحميه نهر موسكفا من جهة ونهر نيجلينايا من الجهة الأخرى، وحفر خندق عميق من الجهات الباقية.

وقد احترق الكرملين مرتين (في عام ١٣٣٠م وعام ١٣٣٧م) وآنذاك قرر الأمير إيفان كاليتا بناء أسوار جديدة للحصن من شجر البلوط وأنجز بناؤها في ٢٥ نوفمبر عام ١٣٣٩م.

وبنيت حول الكرملين بيوت الحرفيين والكسبة، بينما قصور النبلاء في داخله. وفي عام ١٣٦٥م حدث جفاف شديد في المنطقة ونشب حريق كبير التهم كل شيء في الكرملين وحواليه.

وأعيد بناء موسكو من جديد وتقرر تشييد الحصن «الكرملين» من الحجر في هذه المرة، لا سيما بعد أن كثر أعداء أمير موسكو. واختتم البناء في عهد الأمير ديمتري دونسكوي، وشيدت في الكرملين لأول مرة أبراج ضخمة فيها بوابات حديدية.

وفي تلك الفترة قسمت موسكو إلى مناطق تتألف من الكرملين وبوساد وزاجورودية وزاريتشية. وأمر الأمير فاسيلي الأول ابن ديمتري بحفر خندق عميق في الجهة الشرقية للكرملين بطول قامة إنسان وبعرض خمسة أمتار. علماً أن خبرة الروس آنذاك في البناء كانت قليلة كما أن المواد الإنشائية المتوفرة غير متينة، ومع ذلك صمد الكرملين لغوائل الدهر على مدى مائة عام تقريباً.

وعندئذ قرر القيصر إيوان الثالث إعادة بناء الكرملين وتوسيعه وكذلك تجميل مدينة موسكو وشوارعها باستدعاء المعماريين من إيطاليا لهذا الغرض.

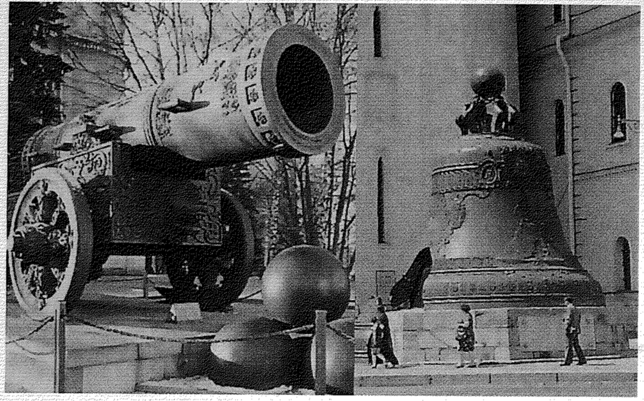
علماً أن الأسوار الجديدة للكرملين قد شيدت بالابتعاد عن الأسوار السابقة، وجرت إزالة البيوت والمباني في ذلك المكان. وقد بقيت هذه الأسوار حتى يومنا هذا بالرغم من الحريق الفظيع الذي شب في داخل الكرملين في عام ١٤٩٣م، ولكن احترق قصر الأمير الفخم ودمرت الكنيسة عند بوابة بوروفيتسكي حيث كانت تحفظ خزانة الإمارة. وبعد مرور ستة أعوام أعيد بناء القصور والمباني المحترمة.

وفي عهد القيصر إيفان الرهيب حدث حريق آخر في الكرملين امتد إليه من المناطق المجاورة فاحترق قصره واضطر للجوء إلى قرية قريبة من موسكو، وانتشرت إشاعة بأن النبلاء دبروا الحريق لمعارضتهم للقيصر القاسي القلب، وهاجم الناس بعض النبلاء وقتلوهم.

وكانت توجد في الكرملين كنائس كثيرة بلغ عددها في أيام القيصر فيودور إيوانوفيتش ٣٥ كنيسة، بينما كان عددها بموسكو كلها حوالي ٤٠٠ علماً أن الكنيسة الأرثوذكسية مارست دوراً كبيراً في تدعيم سلطة القياصرة وبناء كيان الدولة الروسية، ولهذا كان مقرها دوماً في داخل الكرملين نفسه. ويوجد حتى اليوم مقر للبطريرك إلكسي الثاني رئيس الكنيسة في أحد مباني الكرملين.

وشهد الكرملين في مختلف العهود أحداثاً دامية في أيام الفتنة، وقد وقعت الفتنة لدى وفاة القيصر إلكسي والد القيصر بطرس الأكبر المشهور بإصلاحاته، وآنذاك استولت شقيقته الكبرى صوفيا على السلطة وهرب بطرس الصغير مع أمه إلى ضواحي موسكو.

وتركت أحداث تلك الفترة آثارها المؤلمة في قلب القيصر الصغير جعلته لاحقاً يكره الكرملين وموسكو،



وشيد مدينة بطرسبورج في غرب البلاد ليكون بعيداً عن موسكو ودسائس النبلاء فيها.

لكن أجريت إصلاحات كثيرة في الكرملين في عهد بطرس الأكبر فجعل منظر الكرملين جميلاً وجرى تبليط الشوارع المحيطة به بالحجارة وتكسيتها بالألواح الخشبية.

وقد صمد الكرملين بعد ذلك للغزوات الخارجية، ولم يستطع حتى نابليون تدمير أسواره بعد احتلاله لموسكو في عام ١٨١٢م، وآنذاك كتب نابليون إلى القيصر إلكسندر الأول: «لم يعد للكرملين وجود»، فأجابه إلكسندر: «سأطلق لحيتي وأتراجع إلى ما وراء نهر الفولجا والأورال، لكنني لن أرضخ للعدو».

وبعد ذلك لم يدخل الكرملين أي أحد من الغزاة، وحتى هتلر لم يستطع دخوله لأن قواته وصلت إلى موسكو ثم تراجعت عنها في أيام الحرب العالمية الثانية.

توجد في الكرملين عدة بوابات هي: بوابة فرولوف (سبسكاية) وبوابة قسطنطين ويلينا، وبوابة بورفيتسكويه، وبوابة كورياتنايا وبوابة تاينين، وبوابة نقولا وترتبط بها جميعاً جسور حجرية فوق الخندق المحيط بالكرملين. كما يوجد هناك ١٨ برجاً تزين مبنى الكرملين حيث ترى من كل مكان. وبقيت في الكرملين عدة كاتدرائيات لم يعمد البلاشفة إلى نسفها كما فعلوا بالكنائس الأخرى هناك في عهد السيطرة الشيوعية، لاعتبارها من الآثار التاريخية.

كما أغلق البلاشفة الأديرة في داخل الكرملين ومن أبرز معالم الكرملين اليوم برج الأجراس (إيفان الكبير) الذي شيد في عهد القيصر بوريس جودونوف في عام ١٦٠٠م والذي يشاهد بقبته المذهبة من كل أنحاء موسكو.

ويوجد في باحة الكرملين جرس ضخم كسر جزء منه تطلق عليه تسمية «ملك الأجراس» سقط من البرج الخشبي الذي شيد من أجله في أيام القيصر بوريس جودونوف وترك في الباحة لأنه ثقيل جداً، فجرى دفنه في الأرض ثم استخرج في القرن التاسع عشر وأصبح من معالم الكرملين إلى جانب «تلك المدافع» القائمة هناك.

وتوجد في الكرملين عدة متاحف منها متحف المجوهرات ومتحف السلاح ومتحف القياصرة وقاعة المؤتمرات. علماً أن الكرملين يعتبر المقر الرسمي لرئيس الدولة الروسي، وتجري في قاعات قصر الكرملين الكبير الاحتفالات والمراسم الرسمية لاستقبال الضيوف الكبار والأجانب وتسليم الأوسمة واستلام أوراق اعتماد السفراء الأجانب. ■



عددهم يتجاوز ٨٠ مليونا:

المسلمون في روسيا الاتحادية والجمهوريات الإسلامية

ماجد التركي*

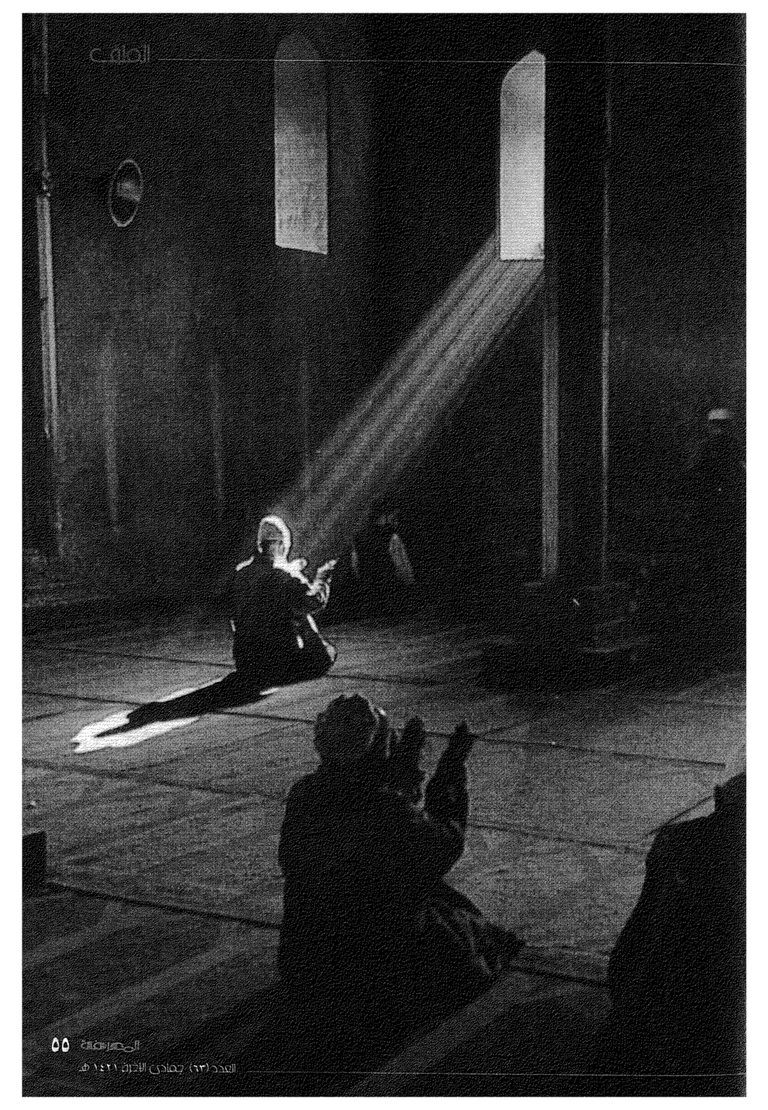
الرياض

الجمهوريات الإسلامية المستقلة وروسيا الاتحادية، والجمهوريات المستقلة الأخرى، كانت جميعها تشكل الاتحاد السوفيتي المنهار.

ويشكل المسلمون مانسبته ٢٨٪ من مجموع السكان في مناطق الاتحاد السوفيتي السابق، ويتجاوز عددهم الثمانين مليون مسلم. هؤلاء المسلمون الذين أبصروا ضوء الحياة أخيراً يعانون من تبعات سبعة عقود من العزلة والقهر.



* أستاذ مساعد في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.



تتضمن هذه الأسطر عرضاً موجزاً للتوزيع الجغرافي للمنطقة، ليكون مدخلاً للحديث عن وضع الإسلام هناك.

ويأتي هذا التناول في جزأين، التصنيف العام للمنطقة، ثم وضع الإسلام فيها:

التصنيف العام للمنطقة:

يمكن تصنيف تركة الإمبراطورية السوفيتية، المنضوية الآن تحت مسمى: «رابطة دول الكومنولث المستقلة» إلى ثلاثة أقسام رئيسة:

القسم الأول: الجمهوريات الإسلامية المستقلة:

وعددها ست جمهوريات، وهي: «كازاخستان، أوزبكستان، طاجيكستان، تركمانستان، قيرغيزيا، أذربيجان»، وهذه الجمهوريات متجاورة، عدا أذربيجان، حيث يفصلها عنها بحر قزوين، وتقع في الشمال الغربي لإيران، أما بقية الجمهوريات الإسلامية فتقع شمال أفغانستان، وشمال شرقي إيران، وغرب الصين، وتأتي كازاخستان في المرتبة الأولى من حيث المساحة، وأوزبكستان من حيث عدد السكان، حيث يبلغ قرابة (٢٠) مليون نسمة.

القسم الثاني: روسيا الاتحادية:

تتكون فيدرالية روسيا من أربع عشرة جمهورية ومنطقة، هي: (ج/ بشكيرستان، ج/ تترستان، ج/ داغستان، ج/ الشيشان، ج/ أنقوشيا، ج/ أدمونت، ج/ أوسيتا الشمالية، ج/ كباردين بلغار، ج/ ماري، ج/ موردفينا، ج/ شوباش، م/ الاديغا، م/ أو رنبورغ، م/ قرشاي شركس، وبقية روسيا الفيدرالية).

وتزيد نسبة المسلمين في هذه الجمهوريات والمناطق عن (٥٥٪) من مجموع السكان، فيما عدا بقية روسيا الفيدرالية، حيث تبلغ نسبة المسلمين فقط (١١٪) تقريباً، وتبلغ نسبة عدد المسلمين في روسيا الاتحادية بأكملها (١٧٪) تقريباً، وتدني هذه النسبة عائد لقلة عدد سكان الجمهوريات المشار إليها في مقابل بقية مناطق روسيا التي يزيد سكانها - لوحدها - عن (١٢٧) مليون نسمة، بينما في تلك المناطق فقط (٢٠) مليون نسمة.

القسم الثالث: الجمهوريات الأخرى:

وعددها تسع جمهوريات، سبع منها مستقلة، واثنتان ذات حكم ذاتي لجورجيا، وهما (أجار، ابخازيا)، أما الجمهوريات الأخرى فهي (أرمينيا، أوكرانيا، القرم، لتوانيا، ملدافيا، لاتفيا واستونيا، جورجيا).

وتتسم هذه الجمهوريات بتدني نسب المسلمين فيها إلى أقل من (٢٠٪)، وفي بعضها متدن جداً (٠,٥٪ إلى ١,٠٪) فيما عدا منطقتي الحكم الذاتي، (أجار ٤٠٪، ابخازيا ٣٠٪)، ويبلغ عدد المسلمين في هذه المناطق حوالي (١,٣٠٠,٠٠٠) نسمة فقط، بنسبة (٣٪).

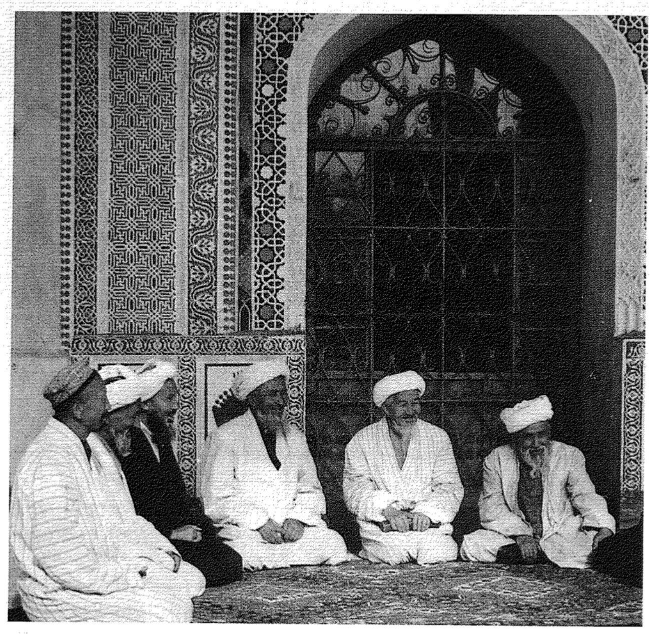
وتقع معظم هذه المناطق شرق آسيا، وبين البحر الأسود من الجنوب، وبحر البلطيق من الشمال.

ويبلغ عدد المسلمين في جميع مناطق «الاتحاد السوفيتي سابقاً» حوالي (٨٣) مليون نسمة، بنسبة (٢٨٪) من مجموع السكان، مع ملاحظة احتمال عدم دقة هذه الاحصاءات بصورة كافية، وترجع إلى عام ١٩٨٩م، مع مراجعتها مع احصاءات صدرت بعد ذلك.

وضع الإسلام في المنطقة:

يختلف الحديث عن واقع الإسلام في هذه المنطقة باختلاف الوضع السياسي في كل من الأقسام السابقة، وخصوصاً فيما بين روسيا الاتحادية، والجمهوريات الإسلامية المستقلة، فيقابل الانفتاح القانوني الروسي، وتعدد مجالات العمل فيه، يقابله تحفظ شديد في الجمهوريات الإسلامية على العمل الإسلامي وبرامجه المحلية والخارجية، أما المناطق الأخرى، فقليل عدد المسلمين فيها، إضافة إلى ضيق ذات اليد وعدم وجود العلماء، أدى ذلك كله إلى ندرة مجالات العمل الإسلامي حتى في أبسط صورة وأجلها قيمة، وهي المساجد.

ومن أجل التعرف على وضع الإسلام في المنطقة



لابد من الحديث ولو باختصار عن الهيئات والمؤسسات الإسلامية المحلية، ومن ثم الأجنبية.

أولاً الهيئات الإسلامية المحلية:

يشرف على البرامج والمناشط الإسلامية في المنطقة، عدد من الهيئات المحلية التي تختلف في وظائفها وتخصصاتها ومدى تأثيرها في الواقع الاجتماعي والثقافي والسياسي والديني، ويمكن تصنيفها على النحو التالي:

١- الإدارات الدينية:

يكون لكل مقاطعة في روسيا إدارة دينية محلية، ترتبط بالمجلس الحكومي للمقاطعة، وتوكل هذه الإدارة إلى المفتي الذي يتم تعيينه للمقاطعة، ولهذه الإدارات إدارة مركزية تعرف بالمفتي العام، وليس لها بالضرورة صلاحيات على الفروع، سوى الاحترام الشخصي أو العلاقات الخاصة، وأبرز مهام هذه الإدارات: الإفتاء، الإمامة، الأنكحة، تعيين أئمة المساجد، متابعة شؤون الأقليات، التنسيق مع الحكومة المحلية.

وتشترك هذه الإدارات في عدد من الملاحظات على درجة من الاختلاف النسبي فيما بينها:

* السيرة التاريخية الممتدة من العهد الشيوعي لأغلب المفتين.

* الرقابة الشديدة على المناشط الإسلامية الأجنبية.

* ضعف العلم الشرعي لمعظم مسؤولي هذه الإدارات.

* غلبة الهم المادي لبرامج عملهم، وقد يعود ذلك لعدم وجود مخصصات مالية حكومية لهم.

٢- المجالس التنسيقية:

تعمل هذه المجالس على التنسيق بين الإدارات الدينية في ممارسة مهامها، وهي مجالس مستقلة غير حكومية، يشارك فيها شخصيات متباينة الاتجاه، ومن أبرز فوائدها إمضاء بعض السياسات التي قد تخدم المسلمين، وتجميد نشاط بعض الشخصيات المشبوهة، ووسيلة ضغط على الحكومة للمطالبة ببعض حقوق المسلمين، وتشترك إلى حد ما مع الإدارات الدينية في الملحوظات السابقة.

٣- المراكز الإسلامية:

يتجه كل مركز من هذه المراكز إلى التخصص في قضية من القضايا الإسلامية حسب القانون الروسي، إلا أنها لا تلتزم كثيراً أو تتقيد بهذا التخصص المسجل قانونياً، بل تعتمد على التوسع والتنوع في البرامج حسب إمكاناتها المادية وعلاقاتها.

والصفة القانونية لهذه المراكز أقل متانة بالمقارنة بالإدارات الدينية، وفي الغالب تعتمد على العلاقات الشخصية مع المسؤولين في الدولة، وتتلقى معظم دعمها من المصادر الخارجية، سواء السفارات أو الحكومات أو المؤسسات والشخصيات الخيرية، وأبرز ما يميزها أنها تقوم على الطبقة الشبابية، وتختلف اتجاهاتها باختلاف القائمين عليها، وليس لها سياسات واضحة ومحددة، ولكن تخضع للظروف المحيطة، وفي الغالب فهي متقلبة الاتجاهات.

٤- المؤسسات الإسلامية:

وهذه شبيهة جداً بالمراكز الإسلامية، إلا أنها أكثر تخصصاً «التعليم، الإعلام، الشباب، المرأة، المساجد»، وهي جميعها مؤسسات محلية ليس لها علاقة بالمؤسسات المشابهة لها في الأسماء خارج روسيا، وبالرغم من قلة الدعم الذي تتلقاه، إلا أن مبدأ التخصص جعلها أكثر حيوية وفاعلية في الواقع التنفيذي، وتحقيق أهدافها.

ويمكن أن يضاف إلى ذلك «الاتحاد الإسلامي»، الذي يعتبر بمثابة الحزب السياسي الذي يمكن أن يشارك في الانتخابات الرئاسية الروسية.

ثانياً: الهيئات الإسلامية:

وهذا النوع من الهيئات هي فروع عن المؤسسات الأم خارج المنطقة، والنظر إليها أيسر من النظر إلى غيرها من المؤسسات المحلية، حيث إن كل من هذه الفروع يمثل المركز الرئيسي لها مباشرة.

وقد مرت هذه المؤسسات بهزات شديدة من قبل السلطات الروسية، حيث صدر قرار جماعي لإيقاف نشاط العديد من هذه المؤسسات، وإغلاق مكاتبها، وترحيل القائمين عليها، وهي تخضع لرقابة قانونية صارمة من قبل وزارة العدل الروسية، ويقل وجودها في الجمهوريات المستقلة، وخصوصاً الإسلامية منها لهذا السبب الرقابي، أما الجمهوريات غير الإسلامية فقلتها هناك عائد لقلة المسلمين فيها.

وتتنوع هذه المؤسسات بحسب تنوع مجال العمل، فمنها العلمية، والإعلامية، والدعوية، والإغاثية، والإنشائية، وقد تجمع بعض المؤسسات أكثر من مجال.

وتشترك جميع المؤسسات الأجنبية في مشكلة أساسية، وهي غياب التنسيق الحقيقي بينها، رغم المطالبة والسعي الحثيث من بعض المؤسسات لتحقيقها.

إن البرامج الإسلامية، وعامة ما يتصل بشوون المسلمين في المنطقة، يتوزع أداؤها بين مؤسسات محلية وأخرى أجنبية، على اختلاف في تخصصاتها وأهدافها وبرامج عملها، إلا أنها في النهاية تعبر إجمالاً عن حياة المسلمين، بل وتسهم بصورة مباشرة في تحديد الصورة الذهنية عن الإسلام والمسلمين في القطاعات السياسية المحلية، والجهات الأجنبية التي تعنى بهذا الأمر، وتظهر شواهد ذلك في التقارير والتحليلات الإعلامية سواء في



الإعلام الروسي أو غيره من الوسائل الإعلامية الدولية.

ويمكن ذكر جملة من النقاط التي تمثل المحاور الرئيسة في تحليل وضع الإسلام في المنطقة، وذلك على النحو التالي:

١- إن المنطقة برمتها خرجت من عمق تاريخ مليء بالأحداث السياسية، والأيديولوجيات الفكرية، ونمطية اجتماعية مشتركة، أثرت بصورة مباشرة في تكوين الأفراد -على اختلاف عقائدهم وقومياتهم ولغاتهم- وانطبعت في سلوكياتهم ونظرتهم للحياة الجديدة المتغيرة، ولاسيما في مرحلة التعامل الفردي المباشر مع العالم الخارجي، بعيداً عن قيود الاتجاه الجماعي الإلزامي السابق، إن القادم الجديد لهذه المنطقة بحاجة إلى أن يدرك أنه سيتعامل مع نفسيات متباينة «بتباين السن والجنس» يحتاج إلى مرحلة اكتشاف هذه النفسيات أولاً، ومن ثم تحديد طبيعة التعامل ونوعه وحجمه.

٢- إن المنطقة تقع تحت تأثير جملة من المشكلات السياسية التي خلفت انهيار الشيوعية، ومنها مشكلة طاجكستان، الشيشان، أوسيتا، حرب أذربيجان مع الأرمن، وما سبق ذلك من تأثير مشكلة أفغانستان.

وقد أوجدت هذه المشكلات توجساً وترقباً سياسياً داخلياً وآخر عالمياً، جعل المنطقة تعيش حالة تحسس

من أي نشاط إسلامي سواء كان محلياً أو أجنبياً.

٤- إن عمق الإسلام في المنطقة -وعلى الأقل تاريخياً- وخصوصاً في الجمهوريات الإسلامية، ومنطقة القفقاس، وبعض من مناطق نهر الفولغا، جعل هناك مناداة للعودة إلى الإسلام في جميع أوجه الحياة، مما أدى إلى صراعات سواء داخلية كما في طاجكستان، أو مع قوى خارجية مثل أذربيجان مع الأرمن، وعودة المطامع القومية إلى ما قبل الثورة البلشفية، مما أدى إلى نتيجتين:

الأولى: أن المنطقة أصبحت كفوهة البركان لا يُدرى متى ينفجر.

الثانية: ربط كل الأحداث والمشكلات بالإسلام والمسلمين، وليس فقط القطاع الداخلي، بل محاولة البحث عن أي ثغرة لاتهام دولة إسلامية خارجية، بتدخلها في الأحداث السياسية.

٥- إن انقطاع المنطقة عن الإسلام لعدة عقود زمنية، وما تلا ذلك من تحول وانفتاح بدرجة عكسية، أدى إلى عدم توازن، حيث عاد المسلمون إلى الإسلام دون أدنى وعي وعلم بهذا الدين، إلى درجة أن كثيراً من العادات والمظاهر الاجتماعية المرتبطة ببعض القوميات، أصبحت وكأنها هي الإسلام، إضافة إلى أن حملة الإسلام هم المفتون ومسؤولو الإدارات الدينية، وهم الذين كانوا عيوناً للسلطة على المسلمين أيام الشيوعية.

فأصبح حمل الإسلام في الواقع الجديد أشبه بالتعصب القومي لا أكثر، ولا يحمل حتى المعاني الأساسية للإسلام.

٦- يقابل هذه الأوضاع عودة أبناء البعثات العلمية من الخارج (لدى إيران حتى عام ١٩٩٤م أكثر من ١٢,٠٠٠ طالب من أذربيجان وحدها)، ويتوقع لهؤلاء التأثير الكبير في الواقع الإسلامي في المنطقة، وهناك أعداد ليست كبيرة من الطلاب في سوريا ومصر وماليزيا، وعدد ليس بالكثير في جامعات المملكة. ■

لا يكفي أن يكون قاموساً إلكترونياً فقط
المهم أن يكون قاموس المورد الإلكتروني



- شاشة أكبر بنقاوة عالية
- نظام البحث بواسطة الرموز الشكلية (ICONS)
- تم إستخدام التقنية L&H الجديدة في النطق
- دليل الإملاء للكلمة في اللغة الإنكليزية حيث يمكن معرفة كتابة الكلمة باللغة الإنكليزية بشكل موصل
- منظم شخصي 128 كيلو بايت متكامل أو مقطع.
- دليل القواعد للغة الإنكليزية كاملاً مع شرحه باللغة العربية.
- قاموس للمستخدم
- إختصارات باللغتين العربية والإنكليزية
- قائمة الأمثال باللغتين العربية والإنكليزية.
- قائمة بالكلمات الإنكليزية ذات أصل عربي
- قائمة بالأفعال الشاذة باللغة الإنكليزية
- السير الذاتية لأهم الشخصيات العالمية
- جسم الإنسان
- معلومات عن شركات خطوط الطيران والمطارات
- مقاييس الملابس العالمية
- توقيت عالمي ومحلي
- إمكانية تعديل سرعة الصوت
- غلاف جديد لسهولة الحمل والحفظ

الدولية D aDauliah

حيث القيمة العلمية تأتي أولاً

معارض الرياض :

المكتب ت : ٤٠٣٦٢٧٨ / ٤٠٨٣٦٩٤ / ٤٠٥٠٨٥٤
مركز جمال - ٤٠٥٢٧٣١
البطحاء - ٤٠٤١٧٥٦
شارع الستين - ٤٧٩٤٥٠٧
الرياض - ٤٠٢٧٠١٠
الشعلة - ٤٧٨١٣١٤
العقارية (١) ٤١٩١٨٧٠
العقارية (٢) ٤١٩١٦٤١
العروبة - ٤١٩٨٦٧٦

جدة

المكتب ت : ٦٥٢٠٠٥١ / ٦٥٢٠٠٥٧
معرض المساعدية ت : ٦٦٧٦١٨٨
معرض الكورنيش ت : ٦٤٢٤٤٧٨
معرض جدة الدولي ت : ٦٦٩٥٨٥٦
معرض جمجوم (١) ت : ٦٦٠٢٢٤١
معرض جمجوم (٢) ت : ٦٦١٢٠٠٠

الخبر

المكتب ت : ٨٦٤٢٦٠١/٨٩٨٢٠٨١
معرض الجوهرة ت : ٨٩٨٢٠٢٦
معرض الشعلة ت : ٨٩٨٢٨٢٧
ش الملك خالد ت : ٨٩٨٣٥٨٠
معرض جاكوار ت : ٨٩٤٦٩٥٩
معرض الراشد (١) ت : ٨٩٥٤٧٠٢
معرض الراشد (٢) ت : ٨٩٩٥٢٦٨
معرض الدمام ت : ٨٢٤٤٢١٦
معرض الدانة ت : ٨٢٤٦٨٨٩



المسلمون في روسيا الاتحادية:

التناحرات تشتت الجهود

الكتاب: «الصحوة الإسلامية في روسيا المعاصرة».
تأليف: د. أليكسي مالاشينكو.
د. مير صادق موساييف.
عرض: عبدالعزيز الوهيبي.

روسيا الاتحادية دولة متعددة القوميات والعروق، يشكل فيها الروس الأغلبية الساحقة. والإسلام على الرغم من جذوره التاريخية العميقة، ووجوده خلال قرون عديدة في الأراضي الحالية لروسيا الاتحادية واندماجه في الحضارة الروسية الثانوية، يعتبر دين الأقلية فهذا مايحدد في نهاية المطاف مكانة المسلمين في الخريطة الطائفية والأثنية السياسية للمجتمع الروسي.

يطرح الباحث سؤالاً تالياً: ماذا تعني «المسألة الإسلامية» اليوم؟ وما أهميتها؟ ويحاول أن يفسر هذا بأربعة أسباب يتناولها بصورة مفصلة في ظروف تواجه فيها روسيا النصرانية مشكلة المحافظة على صفة الدولة العظمى في نظام العلاقات الدولية، لا نستبعد أن يتحول استقرار وتطوير علاقاتها مع العالم الإسلامي إلى أحد العوامل الرئيسة المساعدة على دعم سمعة روسيا وانتهاجها نهجاً سياسياً مستقلاً عن الغرب.

حتى القرن السادس عشر، أي سقوط خانية قازان بيد الروس وإدراجها في تركيب روسيا، كانت الأقوام الإسلامية تعيش خارج الدولة الروسية. وقضية الإسلام وروسيا كانت تنحصر غالباً بالصلات السياسية الخارجية والاقتصادية. وكانت علاقات روسيا بهذا العالم تنتهي بمعاملة روسيا مع آلتون اورده التي لم يلعب فيها العامل الطائفي دوراً بارزاً.

في القرن السادس عشر بعد سقوط خانية قازان عام ١٥٥٢م على يد الروس، بقيادة القيصر إيفان الرهيب، غدا الإسلام مسألة الكيان السياسي الداخلي لموسكو. وفي ذلك الوقت كان لدى خانية قازان تقاليد إسلامية راسخة، حيث أن الإسلام ضرب جذوره هناك في مطلع القرن العاشر في مملكة البلغار في حوض نهر الفولجا التي كانت جزءاً من العالم الإسلامي، وإن كانت جزءاً نائياً. وترسخ في حوض نهر الفولجا المذهب الحنفي، كما انتشرت في حوض نهر الفولجا ومن ثم في الأورال الطريقة النقشبندية الصوفية، التي تتميز أيضاً بالمرونة في العلاقات مع المسلمين ذوي الانتماءات المذهبية المختلفة، ومع معتنقي الديانات الأخرى. كل ذلك حدد إلى حد كبير «نعومة» الإسلام لدى التتر



والباشكيريين، الأمر الذي ساهم في تكيفهم مع البيئة النصرانية. وكانت مرونة المذهب الحنفي تكبح الاحتجاج الديني؛ مؤدية في الوقت نفسه إلى خلق مقدمات لتحقيق الوفاق مع السلطة المسيحية.

في غضون سنوات ١٧٤٠ - ١٧٥٥م تعرض للتدمير ٤١٨ مسجداً من أصل ٥٣٦ مسجداً في أراضي خانية قازان السابقة، وكان عدد المساجد المدمرة في سيبيريا في تلك السنوات قد وصل إلى ١٠٠ مسجد وفي استرخان - إلى ٢٩ مسجداً. ولكن الهدف الرئيسي للسلطات، كما يراه المؤلف، كان يتمثل ليس في فرض المسيحية بالقوة، بل بفرض الرقابة على الحياة الروحية والدينية للمسلمين، الأمر الذي كان يعني، أولاً، الاعتراف بفشل فرض المسيحية عليه بأبعاد واسعة، وثانيا، تأكيد ثقل الأقوام الإسلامية في حياة البلاد الاجتماعية والاقتصادية. ولهذا الغرض قامت السلطات بتأسيس المجلس الإسلامي بموجب مرسوم من الإمبراطورة يكاتيرينا الثانية في عام ١٧٨٨م وتعيين آخون محمد زيان غوسينوف رئيساً له ومفتياً. في عام ١٧٩٧م تم إصدار مرسوم إمبراطوري آخر، لايقل أهمية، مفاده أن «كل مسلم برهن إخلاصه للإمبراطورية وله سلالة نبيلة يمكن تسويته بالنبلاء الروس من حيث الامتيازات الحكومية».

الإسلام في ظل السلطة السوفياتية:

كانت ثورة أكتوبر ١٩١٧م بداية للتغيرات النوعية في حياة مسلمي روسيا، التي تحولت في عام ١٩٢٢م إلى الاتحاد السوفييتي. وتمسكت السلطة الجديدة ببعض الأطروحات المصاغة في عهد الإمبراطورية في

مجال التعامل مع المسلمين والإسلام، وذلك انطلاقاً من احتياجاتها واستناداً إلى شعاراتها الأيديولوجية. ومنذ البداية كانت سياستها تتسم بالازدواجية من جهة، حيث كانت السلطة تفرض سيطرتها القاسية على الأوضاع في مناطق انتشار الإسلام، وكان عليها أن تجر هذه المناطق بأسرع وقت ممكن إلى عملية التحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الجارية في البلاد، ومن جهة أخرى، كانت السلطات الجديدة «تسمح» للمسلمين «وليس في كل مكان» بالتمسك بعاداتهم التقليدية وأداء مشاعرهم الدينية. وطبق هذا المبدأ قبل كل شيء في تركستان والقوقاز.

أما حوض نهر الفولجا فموقف البلاشفة من الإسلام كان يتفق مع موقفهم من الدين عامة، الموقف الذي كان يتميز بمنحاه الإلحادي المكشوف. إن موقف السلطة الجديدة من مسلمي حوض نهر الفولجا يتضمن اعترافاً ضمنياً بأن التتر والباشكيريين المتواجدين خلال قرون عديدة في إطار الدولة الروسية يتمتعون بنفس الحقوق في أداء مشاعرهم الدينية، شأنهم شأن الشعوب السلافية التي تعرض دينهم - الأرثوذكسي - للمطاردة منذ الأيام الأولى بعد ثورة أكتوبر، أي سلبت السلطة البلشفية حق المسلمين في التمسك بمعتقداتهم الدينية، شأنهم شأن السلافيين. وبهذا المعنى مازال قائماً في عهد البلاشفة ذلك التقسيم التاريخي المتشكل في الإمبراطورية الروسية، نقصد تقسيم المسلمين إلى مجموعتين: «من هو من جماعتنا» و«من هو لم يصبح من جماعتنا».

مرت العلاقات بين المسلمين والروس بأربعة مراحل:

المرحلة الأولى: تشكل السنوات السبع أو الثماني بعد إقامة السلطة السوفييتية وجرى فيها إرساء أساس لنموذج العلاقات بين الإسلام والدولة.

المرحلة الثانية: تشمل منتصف العشرينيات حتى منتصف الأربعينيات، أي حتى انتهاء الحرب الوطنية العظمى «عام ١٩٤٥م»، أصبح خلالها تيار القمع تياراً سائداً في علاقات الدولة تجاه الدين بما فيه الإسلام.

المرحلة الثالثة: لعلاقات السلطة والإسلام حلت في منتصف الأربعينيات، وتميزت بإضفاء مسحة ليبرالية معينة على السياسة الدينية. ولهذا سببان: أولاً؛ ساهمت الحرب موضوعياً على تقوية الروح الدينية بين السكان بما فيهم السكان المسلمين، الأمر الذي أجبر السلطات على مراعاة هذا الواقع، وثانياً؛ إن الاستغاثة بالمشاعر الدينية في سنوات الحرب ساهمت في تلاحم الشعب السوفييتي.

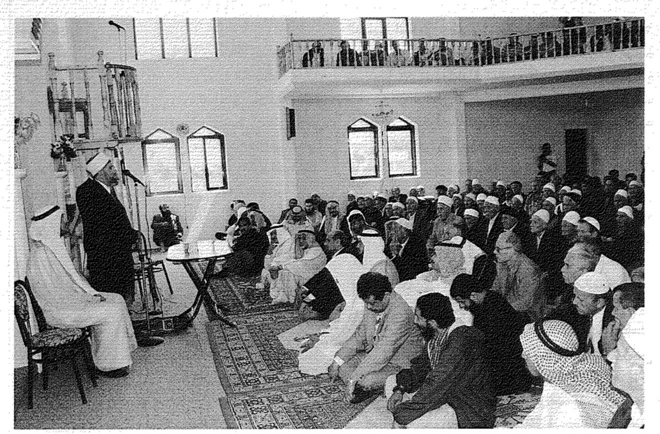
وفي نهاية عام ١٩٤٥م بعد انقطاع طويل، سمحت موسكو للمسلمين السوفييت بالحج إلى مكة والمدينة «وأول مجموعة حجاج متشكلة من ١٧ شخصاً سافرت في ديسمبر ١٩٤٥م» وأخيراً، تم إرجاع بعض المساجد، التي صادرتها السلطات سابقاً، إلى المؤمنين.

المرحلة الرابعة: في تاريخ العلاقات بين الدولة والإسلام بدأت في مستهل الخمسينيات، حيث تمت الاستعاضة عن «الدفء الديني» بفترة جديدة تميزت بتشديد الضغوط على المؤمنين، مع ما رافقه من تصاعد الدعاية الإلحادية، ويفسر هذا الإنعطاف بكون السلطة لم تعد تشعر بحاجتها إلى دعم الدين، ناهيك عن دعم رجال الدين، وكذلك بسبب تخوف السلطات من كون الوعي الديني بدأ ينافس - على كل حال في المستوى الشخصي - الأيديولوجيا الرسمية وهي اللينينية.

منذ مستهل الثمانينيات انتعش النشاط الديني لمسلمي روسيا، الأمر الذي ارتبط بانتخاب «بالأحرى، بتعيين» الإمام طلعت تاج الدين رئيساً للإدارة الدينية لمسلمي الجزء الأوروبي لروسيا وسيبيريا في عام ١٩٨٠م. فقد أصبح أستاذاً مربياً في حوض نهر الفولجا لمجموعة من المشايخ الشباب الذين مارسوا فيما بعد في التسعينيات تأثيراً فعالاً على عملية الصحوة الإسلامية.

في نهاية السبعينيات تم فتح عدد من المساجد في ساراتوف تشيريمخوف «مقاطعة إركوتسك». وعلى كل حال، بلغ عدد المساجد المسجلة في بداية الثمانينيات في الاتحاد السوفييتي ١٣٣٠مسجداً، وفي بداية ١٩٩٠م كان عدد المساجد في روسيا الاتحادية قد بلغ ٩٤ مسجداً «حسب معلومات طلعت تاج الدين كان عددها يزيد عن ٧٠ مسجداً».

والصحوة المفاجئة «حسبما يبدو لكثير من الناس» للإسلام في الاتحاد السوفييتي السابق كانت عملية طبيعية وحتمية ونوعاً من شهادة مميزة على إشاعة الديمقراطية في المجتمع السوفييتي السابق، وكانت في الوقت نفسه قسمة من قسمات استعادة الجوهر التاريخي الثقافي للإسلام السوفييتي وعودته إلى أحضان العالم الإسلامي.



الإسلام يصحو:

إن صحوة الإسلام بروسيا جزء من ظاهرة الانبعاث الديني لعموم روسيا. فهي أصبحت ممكنة نتيجة سياسة «البيريسترويكا» لغورباتشوف، وماحدث بعدها من انهيار النظام الشمولي وبناء نظام الحكم الديمقراطي مهما كان هذا النظام غير ناضج وذا خصوصيات، كما أن للصحوة الدينية أسباباً عميقة جداً تمثل عملية كان لابد من حدوثها عاجلاً أو آجلاً في أراضي الاتحاد السوفييتي.

لأن سعي السلطة السوفييتية إلى قمع الدين، ومحاولاتها الرامية ليس فقط إلى تقييد تأثير الدين على الناس، بل وإلى تصفيته على قدر الإمكان، كان تحدياً للحضارة، وكان يعني قطع أوصال التقاليد الثقافية التاريخية، مما أدى إلى تشويه المجتمع ووضعه على حافة الكارثة.

وتظهر قسمات الانبعاث الديني في نمو عدد المساجد والكنائس والمعابد، وزيادة الجمعيات الدينية المسجلة، وتكوين شبكة التعليم الديني. كما تتجلى عبر انتعاش النشاط الدنيوي للمؤسسات الدينية وتأسيس المنظمات الدينية. وأخيراً، فإن زيادة دور الدين في المجتمع تؤدي بصورة لامفر منها إلى سعي مختلف القوى السياسية لاستغلال الدين من أجل مصالحها المختلفة...

إن العملية التي تسمى اليوم بـ«الانبعاث الديني»، من حيث الأفق التاريخي، تكسب أهمية قبل كل شيء للجيل الصاعد الذي من المرجح أن يغدو حاملاً للتقاليد الحضارية والدينية التي انقطعت بعد ثورة عام ١٩١٧م، بل وانتزعت من سياق الحياة الروحية والثقافية للبلاد.

وكل ماقيل أعلاه ينطبق على الصحوة الإسلامية أيضاً. رغم أنها تحتوي على فوارق جوهرية معينة بالمقارنة مع انبعاث الطائفة الأكثر عدداً بروسيا الاتحادية ـ الأرثوذكسية.

إن المعيار الضروري للصحوة الإسلامية ـ شأن أي دين آخر ـ يتجسد في نمو كمية الجمعيات الإسلامية وعدد المساجد.

ثم يتوقف المؤلف على جوانب الصحوة الإسلامية، وأهمها بناء وتطوير شبكة التعليم الديني التي تكونت في نهاية التسعينيات من ثلاثة مستويات أساسية «ويعرضها لتحليل مسهب».

ثمة غياب لبرنامج موحد للتعليم لدى المسلمين الروس، وذلك لنقص الكوادر المؤهلة من جهة، واستمرار الخلافات والتناقضات بين الإدارات الدينية بروسيا من

جهة أخرى.

أصدر رئيس إينغوشيا في رمضان عام ١٩٩٦م مرسوماً منع بموجبه بيع المشروبات الكحولية خلال شهر الصوم، وحمل على وزارة الداخلية مراقبة تنفيذ هذا المرسوم. كما اتسع نطاق تطبيق أحكام الشريعة في الزواج والتطهير. ويحتل الحج مكانة خاصة في قائمة العادات والطقوس الإسلامية التي تمت استعادتها. والمعلومات عن عدد الحجاج من روسيا متناقضة، وهي تختلف باختلاف المصدر. فمثلاً، بلغ عددهم في عام ١٩٩٦م ١٠ آلاف حاج، حسب ما ورد في جريدة «كورانتي» (٢٩ مايو ١٩٩٦م) و١٢ ألف حاج حسب ما جاء في جريدة «كومسومولسكايا برافدا»... ويذكر المؤلف أن ٨٠٪ على وجه التقريب من الحجاج الروس، أكثريتهم الساحقة من القوقاز، يسافرون إلى المدينتين المقدستين في العربية السعودية براً، والبقية يسافرون جواً... فإن معدل النفقات لكل حاج من روسيا يبلغ، حسب تقديرات - مبالغ قليلاً فيها - رجال المالية من اتحاد مسلمي روسيا والمركز الإسلامي الثقافي، ١٤٢٠ دولاراً أمريكياً...

وقد اضطلعت وسائل الإعلام الإسلامية بدور معروف في الصحوة الإسلامية والتثقيف الإسلامي.

ثمة تياران يسودان في الصحوة الروسية وهما التيار التقليدي والتيار النهضوي، وكلاهما يتواجدان في العالم الإسلامي. ورغم تداخلهما تارة وتناقضهما تارة أخرى فهما يشكلان وحدة متراصة... يلاحظ المؤلف أنه لا يستخدم هذين المصطلحين إلا المستشرقون «باستثناءات قليلة» ناهيك عن الأيديولوجيين المسلمين عند تناولهم اتجاهات قائمة داخل الصحوة الإسلامية.

ويتوقع الباحث أن روسيا سوف تشهد في المستقبل القريب انتعاش جدال بين التقليديين والنهضويين، خاصة بين الشباب الذين بدؤوا يرجعون إلى الوطن بعد إكمال دراساتهم في مؤسسات التعليم الإسلامي بالخارج...

مفتون وأئمة:

ترتبط عملية الصحوة الإسلامية ارتباطاً مباشراً بنشاط الشخصيات الإسلامية - أئمة وملاّهات ومفتين. بيد أن الوضع في معسكر علماء الدين ليس هيناً.

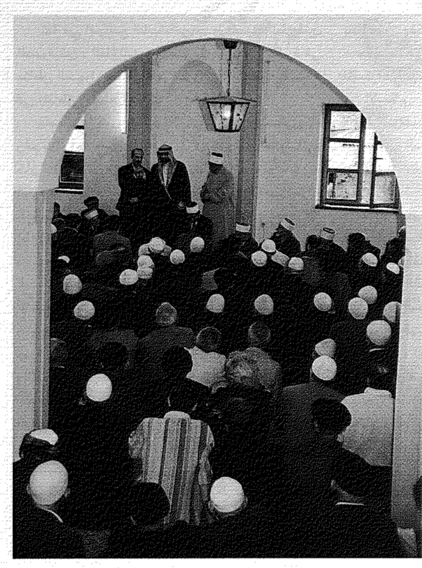
ويعرض المؤلف بالتفصيل الأوضاع داخل الإدارات الدينية لمسلمي روسيا، ويقول إن انهيار الاتحاد السوفييتي أتاح لزعماء الإدارتين الدينيتين بروسيا فرصة سانحة لأن يغدوا نواة لتلاحم المسلمين الروس وقادة الحركة في سبيل الصحوة الإسلامية، كما كانت هذه فرصة لأن يرفعوا مكانتهم الاجتماعية، ويحسنوا سمعتهم أمام السلطات. ولكنهم لم يتمكنوا من استغلال هذه الفرصة. ويفسر المؤلف هذا الواقع بالأسباب التالية. أولاً: عجز قادة الإدارات الدينية بروسيا، الذين تربوا في ظل النظام السوفييتي، عن التكيف مع التحولات السريعة الجارية في المجتمع. وثانياً: قلة علماء الدين المحترفين ومستواهم المتدني. وثالثاً: وجود تناحرات داخلية تحولت إلى صراع قاس، مما أثر سلباً على سمعة الشخصيات الإسلامية في أعين الرعايا المسلمين.

ويرى المؤلف في تيارات مركزية سائدة بين علماء الدين الإسلامي في التسعينيات انعكاساً للوضع الاجتماعي السياسي القائم بروسيا الاتحادية: مثل تقسيم الصلاحيات بين المركز والأطراف «وفي موضوعنا بين إدارة دينية ووحدات إدارية أقل حجماً» واصطدام بين الشباب الطامحين والبنى القديمة التي تكونت في عهد السلطة السوفييتية، واحتكاكات قومية وإثنية تركت بصماتها على العلاقات بين إدارات الإفتاء في القوقاز وروسيا الداخلية أو بين تترستان وباشكيريا. واحتدام التناقضات الإثنية في داغستان، في بداية التسعينيات، كل ذلك قد فاقم العلاقات بين الشخصيات الإسلامية هناك.

يمكن أن نقول - وبحق - بأنه لولا هذه الصدامات والنزاعات المستمرة لتمكن المسلمون من حل كثير من قضاياهم المهمة ولأصبحوا قوة متكاملة قادرة على العمل على نطاق عموم روسيا، ولتسهل لهم خوض العمل الإعلامي التثقيفي وعلى نطاق واسع بين الأكثرية غير المسلمة، بما فيه عبر إحدى قنوات التلفزيون. أما الآن ففي ظل غياب الوحدة، لا تتوفر مطبوعة إسلامية واحدة على نطاق عموم روسيا، ولايوجد صندوق إسلامي موحد كان من شأنه أن يسرع عملية بناء المساجد وتعميرها، وتطوير نظام التعليم.

الإسلام والسياسة:

على الرغم من اعتبار الدين منفصلاً عن الدولة بروسيا بصورة رسمية، فإن كلا الدينين الأكبر تعداداً -



الأورثوذكس والإسلام ـ يرتبط بالسياسة، الأمر الذي يتجسد في وجود تنظيمات سياسية ذات طابع ديني، ومشاركة رجال دين في السياسة.

إذا كانت الكنيسة الأورثوذكسية تقليدياً «ماعدا المرحلة السوفييتية» تكسب السلطة بروسيا، وتعتبر عنصراً مهيمناً في الإيديولوجيا الرسمية، فإن نزوع الإسلام إلى السياسة ينطلق من الوحدة الأصلية للمبدئين الروحي والدنيوي فيه.

يؤكد المؤلف أن النشاط السياسي الفعال للمنظمات السياسية الإسلامية تقترن بظاهرة الأصولية الإسلامية والنزعة الإسلامية اللتين يرى فيهما كثير من الساسة والمحللين من أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية خطراً رئيساً يهدد الغرب بعد تفكك الاتحاد السوفييتي.

ثمة موقف حذر من الأصولية بروسيا أيضاً. ويبرز تأثير الأصولية في الحدود الجنوبية لروسيا، وفي منطقة مصالحها الطبيعية، أي في آسيا الوسطى، وداخل روسيا الاتحادية نفسها، وقبل كل شيء في شمال القوقاز. وأخيراً في المناطق الأوروبية لروسيا، وفي الأورال وسيبيريا نشأت منظمات سياسية لا يخفي زعماؤها موقفهم الإيجابي من وحدة الإسلام السياسية، ويقيمون صلات مع منظمات أجنبية ذات النزعة الإسلامية، ومع قادتها. ومهما كان الأمر فإن الإسلام أصبح عاملاً من عوامل العملية السياسية في البلاد.

لايقتصر تأثير الإسلام في السياسة على نشاط الأحزاب والحركات المعينة، بل تلجأ إليه الإدارات المحلية في بعض المناطق الإسلامية، خاصة في شمال القوقاز. تتميز بها جمهورية الشيشان التي تغرس سلطاتها خلال السنوات الخمس الأخيرة شعارات الجهاد والتضامن الإسلامي، وتحاول تسوية الأوضاع الداخلية بواسطة استحداث الشريعة في حياة المجتمع الشيشاني...

هناك العديد من الأحزاب من بينها حزب النهضة الإسلامية ـ وهو أول تنظيم سياسي للمسلمين بروسيا، وحركة «النور» الاجتماعية الإسلامية لعموم روسيا، واتحاد مسلمي روسيا، والمركز الإسلامي الثقافي. وبعض المنظمات الإسلامية: الحزب الإسلامي لداغستان، وحزب «الاتفاق» في تترستان، والحزب الديمقراطي الإسلامي في قازان.

لم تكن مكتملة عملية نشر الإسلام، التي ابتدأت في نهاية القرن الثامن، بين الشيشانيين وغيرهم من الأقوام الإثنية في شمال القوقاز. وكانت التقاليد الإثنية تغلب على التقاليد الإسلامية. وذهبت فكرة الجهاد، التي ظلت قائمة في المجتمع الشيشاني لغاية تهجيره عام ١٩٤٤م طيات النسيان في مرحلة ما بعد الحرب.

ثمة في المجتمع الشيشاني جذور عميقة للطريقتين الصوفيتين - النقشبندية والقادرية. أولهما منتشرة في مناطق السهول بما فيها في غروزني، والثانية منتشرة في المناطق الجبلية أساساً.

قصارى القول إن الإسلام عشية «البيريسترويكا» رغم كونه أحد ضوابط العلاقات في المجتمع الشيشاني، كان تأثيره أقل من التقاليد الجبلية، ولم يؤثر بصورة كبيرة في تلاحم الشيشانيين إثنيًا. إذ لو مانشب النزاع العسكري لكان الانبعاث الديني في الشيشان يجري في إطار الصحوة الإسلامية العامة في روسيا.

بعبارة أخرى، كان الانبعاث الديني في الشيشان الحالية امتداداً «أو اكتمالاً، على ما يبدو» لنشر الإسلام، بمثابة اكتمال عملية نشر الإسلام التي باشرها الشيخ منصور، ولكن في ظروف بناء دولة قومية جديدة لم يكن لها وجود سابقاً. فهذه العملية الطبيعية والحتمية كان بإمكانها أن تستغرق بضعة عقود في الظروف الطبيعية السليمة، ألا أن النزاع الشيشاني الروسي قد أسرع وتائر هذه العملية.

وغدت بلاد الشيشان منطقة إسلامية وحيدة في روسيا الاتحادية، حيث جاءت عملية انتشار الإسلام، في شكلها الإستثنائي، نتيجة للضغط الخارجي. هذا مانراه في تصريحات الرئيس دوادييف في مقابلة صحفية أجرته معه مجلة «التايم»: «روسيا أجبرتنا على أن نسلك طريق الإسلام على الرغم من أننا لم نكن مؤهلين تأهيلاً جيداً على قبول القيم الإسلامية».

دخلت القوات الفدرالية في ديسمبر ١٩٩٥م، ولكن اللجوء إلى الإسلام كان يجري ليس فقط للتوصل إلى التلاحم القومي، ولتلافي التناقضات القائمة بين القبائل والعشائر المختلفة، بل ولاستخدامه كأداة للنقد والضغط على الخصوم.

روسيا والإسلام

كانت ظاهرة «الإسلاموفوبيا» بروسيا نتيجة عمل وسائل الإعلام العامة، التي تمكنت، قصداً أو بدون قصد، من ربط الإسلام في الوعي الاجتماعي بمفاهيم الأصولية، «يجري تبسيطها بصورة مبسطة وسلبية أساساً»، والتطرف والإرهاب، ونشاط الراديكاليين الإسلاميين من التتر والشيشانيين وغيرهم ممن يتلاعبون بفكرة تفوق الإسلام على الأديان الأخرى - حسب تعبير المؤلف - وكذلك عدم وجود برامج تثقيفية في الإذاعة والتلفزيون تقوم بنشر أفكار حقيقية عن الإسلام.

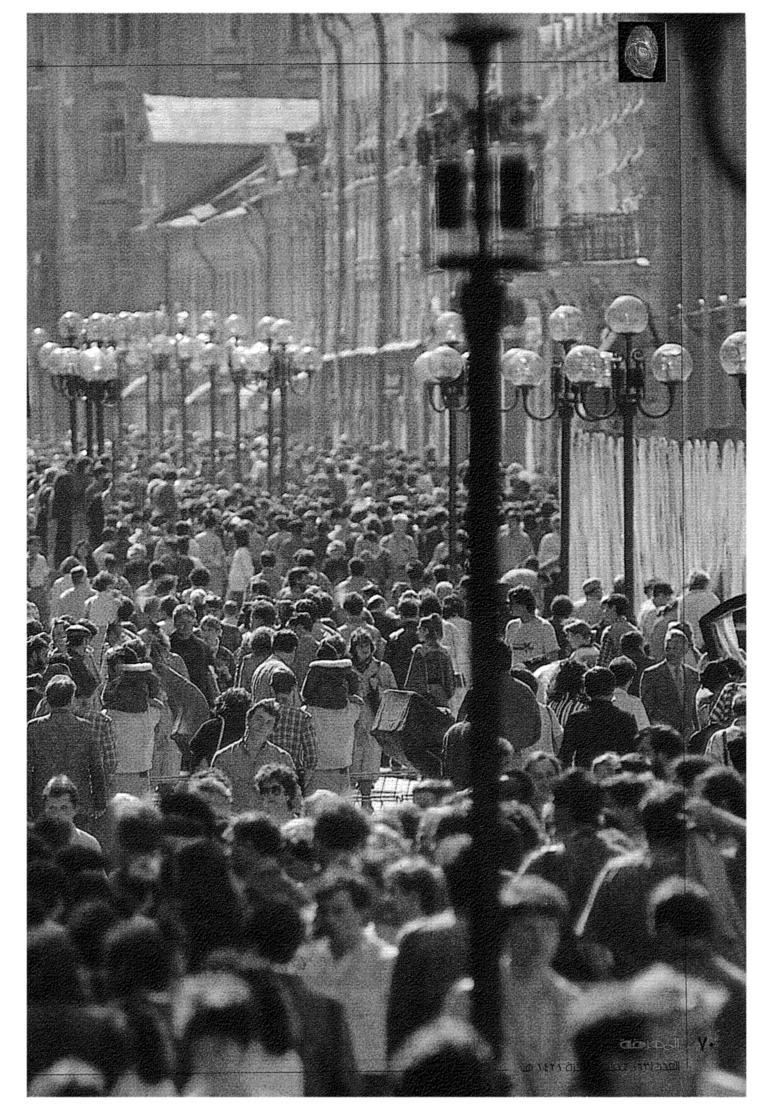
إن موقف رجال السياسة الروس، سواء المنتمين إلى حزب السلطة أم المعارضة، من الإسلام مازال متناقضاً. وثمة أطروحة أوروبية مسيحية تتغلب بين الطبقة الحاكمة والخبراء المقربين لها، تزعم بثانوية الإسلام حيال المسيحية، وإن لم يعلن هذا الموقف علناً. فلايزال الإسلام في نظر رجال السياسة، الذين كانوا ملحدين قبل فترة وجيزة، تقليداً ولى عهده ولم يتغير إلا قليلاً منذ القرون الوسطى. ولاتزال غريبة للعقلية الأوروبية والسوفييتية وحدة ملازمة الإسلام للمبادئ الدنيوية والدينية، وماينبع عنها من وحدة الإسلام والسياسة.

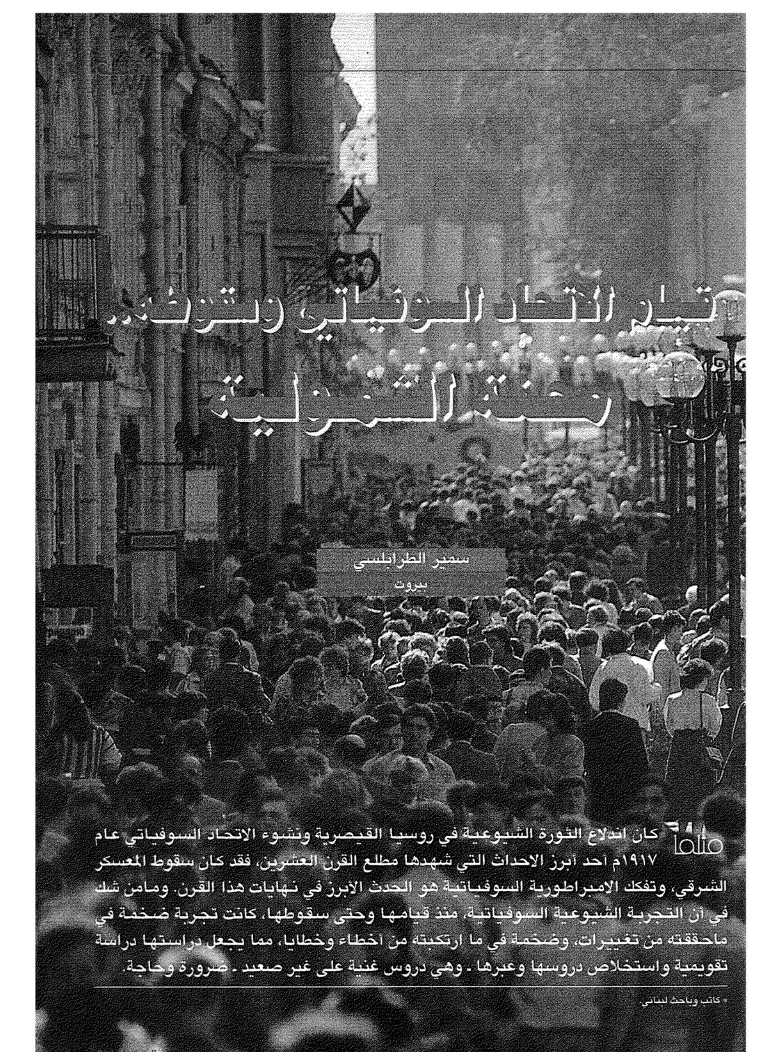
أما موقف الساسة الليبيراليين الروس من الإسلام فيتميز بتحفظ وبلا مبالاة. فهم بعد اختيارهم نهج التقارب مع الغرب، باعتباره نهجاً صحيحاً وحيداً، يتجاهلون حتى الصلات، التي أقيمت في العهد السوفييتي، مع الشرق الإسلامي، ويتجاهلون وجود المجتمع المسلم المتكون من ملايين عديدة في روسيا.

لابد من إجراء حوار بين الإسلام والأورثوذكس، ولكن رجال الكنيسة الأورثوذكسية يعانون صعوبة في اختيارهم نظيراً في الحوار، بسبب تشتت المنظمات الإسلامية، وعدم وجود رجل دين مسلم يتمتع بالسمعة والاحترام لدى جميع المسلمين، حيث تجد كلمته آذاناً صاغية لدى أغلبية المسلمين.

إن الأورثوذكس يفهمون أن بجانبهم تعيش الأقلية الطائفية النشطة التي تزداد حصتها بين سكان روسيا الاتحادية باستمرار، لكون عدد الولادات بين المسلمين أكثر مما لدى النصارى، وعليهم أن يسعوا للتعايش معها في ظروف السلام.

وعلى المسلمين أيضاً أن يفهموا أنهم يظلون أقلية في روسيا في المستقبل التاريخي المنظور، وعليهم أن يتعايشوا مع التقاليد غير الإسلامية، وأن الإسلام من الصعب أن يحتل في المستقبل المنظور نفس الموقع السياسي الذي تحتله اليوم الكنيسة الأورثوذكسية، ورغم ذلك فإن كل الدلائل تشير إلى أن القوة الصاعدة مستقبلاً إنما يمتلكها المسلمون. ■





قيام الاتحاد السوفياتي وسقوطه
محنة الشمولية

سمير الطرابلسي

بيروت

مقالة

كان اندلاع الثورة الشيوعية في روسيا القيصرية ونشوء الاتحاد السوفياتي عام ١٩١٧م أحد أبرز الاحداث التي شهدها مطلع القرن العشرين، فقد كان سقوط المعسكر الشرقي، وتفكك الامبراطورية السوفياتية هو الحدث الأبرز في نهايات هذا القرن. ومامن شك في أن التجربة الشيوعية السوفياتية، منذ قيامها وحتى سقوطها، كانت تجربة ضخمة في ماحققته من تغييرات، وضخمة في ما ارتكبته من أخطاء وخطايا، مما يجعل دراستها دراسة تقويمية واستخلاص دروسها وعبرها - وهي دروس غنية على غير صعيد - ضرورة وحاجة.

---

* كاتب وباحث لبناني.

فهي ضرورة لأن الاتحاد السوفياتي كيان امتلك العديد من مصادر القوة العسكرية والاقتصادية، ونافس على احتلال القمة الدولية لعقود طويلة، ثم جاء انهياره ليكون مؤشراً على أن استقرار الكيانات السياسية يحتاج إلى ما هو أبعد وأشمل من امتلاك القوى العسكرية أو الاقتصادية.

ومن جهة ثانية، فإن التجربة الشيوعية استطاعت في مراحل معينة أن تحقق نهوضاً لاشك فيه بكتلة واسعة من البشر، اقتصادياً واجتماعياً، كما تعثرت تلك النهضة في مراحل لاحقة. ومن هنا فإن دراسة هذه التجربة بنهوضها وتعثرها، تمثل حاجة لكل طامح بالمساهمة في الانتقال بمجتمعه من التخلف إلى الازدهار.

عوامل انفجار الثورة الشيوعية في روسيا

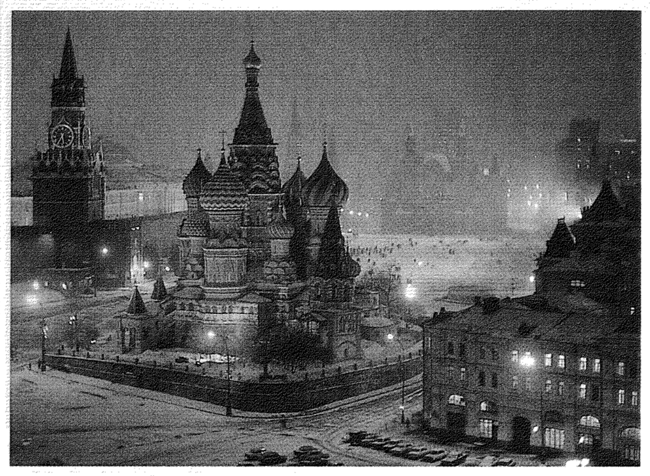
في مطلع القرن التاسع عشر كانت شعوب أوروبا، وخاصة الصناعية منها، تعيش في ظل أنظمة رأسمالية «متوحشة» على حد التعبير الشائع اليوم، حيث تقوم قلة من أصحاب الرساميل الصناعية بأوسع استغلال لطاقات وجهود الطبقات العاملة بشكل خاص، ولكل فئات المجتمع بشكل عام، وتترجم ذلك تراكماً في الثروة عند قلة وانتشاراً للفقر والعوز عند غالبية أبناء المجتمع.

في مواجهة هذا الواقع انبثقت دعوات اشتراكية راحت تطالب بالعدالة الاجتماعية، وبتوزيع الثروة الوطنية توزيعاً أكثر عدلاً. ولقد تباينت بين المفكرين الاشتراكيين الأوروبيين الرؤى والوسائل التي تبناها كل واحد منهم بغية تحقيق العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة، ولكن التمايز مابين كارل ماركس ورفيقه فريدريك أنجلز من جهة وبين بقية المفكرين الاشتراكيين كان عميقاً في المنهج والأسلوب والغاية.

فماركس وأنجلز لم يفكرا بإصلاح الأوضاع القائمة آنذاك واتهما المفكرين الاشتراكيين الآخرين الذين حاولوا ذلك بالمثالية والطوباوية، وإنما عمدا إلى دراسة آلية النظام الرأسمالي على ضوء منهج فلسفي وضعاه هو «الجدلية المادية»، واستخرجا من خلال هذه الدراسة جملة خلاصات اعتبراها حقائق حتمية، أبرزها القول بأن المجتمعات تتطور نتيجة تطور عناصر الإنتاج المادي فيها، وبأن النظام الرأسمالي - عند ذروة تطوره - سوف يؤدي إلى قيام ثورة عمالية تدمر النظام القديم وتقيم عوضاً عنه ديكتاتورية البروليتارية «ديكتاتورية العمال»، فتلغي كل الملكيات الفردية وتمهد الطريق أمام قيام مجتمع شيوعي يعطي فيه كل إنسان حسب قدرته ويأخذ حسب حاجته، وتندثر فيه الدولة وأجهزتها، ويختفي فيه كل ماانبثق في الأطوار السابقة من عقائد ونظم ومؤسسات، وخاصة الأديان والمشاعر القومية والأطر الأسرية.

استطاعت الماركسية أن تبني لنفسها جاذبية في بعض الأوساط الأوروبية. ساهمت في ذلك عدة عوامل، أولها أنها استندت فلسفياً إلى تيار عريق في الفكر الأوروبي هو التيار المادي الذي كانت مقولات أعلامه المعادية للدين والكنيسة نقيض أيديولوجية عصور الظلام الأوروبية وقاعدة نهضتها في العصور الحديثة. والثاني أن طروحات الماركسية الجذرية المبشرة بزوال الملكية الفردية وأجهزة الدولة، والداعية للثورة المسلحة، استجابت لمشاعر قطاعات واسعة من الأوروبيين، عانت الأمرين من الاستغلال الرأسمالي والاستبداد السلطوي. والثالث أنها كانت نظرية محكمة الصياغة تقدم إجابات لعدد كبير من المسائل بمنهج فلسفي زعم واضعوه بأنه يمثل خلاصة ماتوصل إليه الإنسان من معارف وعلوم.

لم تكن روسيا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حينما تعرف بعض مثقفيها على الماركسية، دولة رأسمالية صناعية مهيأة للثورة الشيوعية وفق تحليلات ماركس، بل كانت في أول عهدها بالتصنيع الرأسمالي. ولكن الواقع الروسي كان مهيئاً لتقبل أكثر الأيديولوجيات تطرفاً في جذريتها. فالتخلف الاقتصادي والاجتماعي المريع الذي ميز المجتمع الروسي الاقطاعي، وسيادة الفقر والاستغلال فيه، التي راكمت مشاعر النقمة حتى الانفجار، واستبداد وقمعية وفساد طبقة حاكمة مؤلفة بشكل أساسي من عتاة الاقطاعين وعلى رأسهم أسرة رومانوف، وانحياز الكنيسة الروسية لطبقة الحكام وتحالفها معهم، تضافرت كلها لتشكل التربة



الصالحة لنمو وانتشار جماعات ماركسية في روسيا، التي وإن جمع بينها تبنّي مقولات ماركس وأنجلز فإنها اختلفت حول مسائل عديدة أبرزها كيفية التعامل مع الواقع الروسي.

ففي حين كان قطاع لايستهان به من الماركسيين الروس يعتبر أن روسيا غير مهيأة لثورة شيوعية، وإنما هي في أحسن الأحوال مهيأة لثورة رأسمالية بورجوازية تطيح بالنظام الاقطاعي، وتهيئ المناخات لنمو رأسمالية صناعية في نظام ليبرالي وفق تحليلات ماركس. فإن مجموعة قليلة العدد ولكنها منظمة تنظيماً دقيقاً نشطاً وفعالاً يقودها فلاديمير لينين، اعتبرت أن الشيوعيين قادرون على اختصار الثورتين البورجوازية والشيوعية في ثورة واحدة إذا ما استلموا السلطة. وبناء عليه ركز لينين على بناء وتطوير جهازه الحزبي - البلشفيك - ليكون قادراً على استلام السلطة على أنقاض النظام القيصري الذي كانت قدرته على الاستمرار موضع شك كبير. فبالإضافة إلى النقمة على الاستغلال الاقطاعي والرأسمالي واستبداد الحكم القيصري وبوليسيته والقهر القومي للعديد من الشعوب والقوميات التي استعمرتها الإمبراطورية الروسية، جاءت هزائم الروس في مواجهة اليابانيين في حرب عام ١٩٠٤م لتفجر ثورة شعبية عام ١٩٠٥م. ورغم القمع الشديد الذي ووجهت به قوى الانتفاضة، والذي استمر طوال السنوات التي تلتها، فإنها لم تستأصل عوامل النقمة بل راكمتها حتى انفجرت مجدداً في شباط ١٩١٧م بعد سلسلة الهزائم التي تلقتها روسيا في الحرب العالمية الأولى في مواجهة ألمانيا مما أدى إلى انهيار النظام القيصري.

عندما انفجرت انتفاضة الشعب الروسي في شباط عام ١٩١٧م، والتي حركتها دوافع قومية واقتصادية واجتماعية. لم يتجه تفكير لينين للبحث عن الأسباب التي فجرت الانتفاضة، وإبداع تصورات لكيفية معالجتها وطرحها على الكتلة الشعبية لاستقطاب تأييدها لهذه التصورات. ذلك أن الأيديولوجية الماركسية

بنظر الشيوعيين ليست نظرية كبقية النظريات تعبر عن وجهة نظر معينة في الأوضاع الاجتماعية لمجتمع ما في حقبة معينة، ولكنها بنظرهم الحقيقة العلمية المطلقة التي اكتشفها ماركس - كما اكتشف نيوتن قانون الجاذبية مثلاً - ولذلك فإن ماتنص عليه الماركسية من قواعد تشاد على أساسها الدولة وأجهزتها ومؤسسات المجتمع هي قوانين حتمية لاتقبل المناقشة أو الرفض أو التعديل، والكتلة الشعبية بنظرهم تنقسم إلى ثلاثة فئات: إما بروليتاريا «تحالف عمال وفلاحين» واعية باتجاهات التاريخ «أي ملتزمة ماركسياً» ومؤطرة في الحزب الشيوعي، وعلى هذه الفئة أن تستلم السلطة وتقيم ديكتاتورية البروليتاريا. وإما بروليتاريا لها مصلحة في النظام الشيوعي ولكنها لاتعي ذلك، وهذه الفئة ينبغي أن تساق إلى الجنة الشيوعية ولو بالعصا. وثمة فئة ثالثة وهي القوى المعارضة للنظام الشيوعي، وهذه تعبر إما عن مصالح طبقية استغلالية، أو اتجاهات رجعية، وبالتالي فإن تصفيتها وقمعها ومحاربتها مطلوبة ومبررة.

لذلك اتجه تفكير لينين إلى كيفية ركوب موجة الانتفاضة الشعبية للإمساك بالسلطة، وإبعاد كافة القوى السياسية الأخرى عنها، وإيجاد الوسائل لتجاوز كل العقبات التي تعترض هذا التوجه. وكان أبرز هذه العقبات أن كل المجموعات الماركسية استقطبت تأييد قطاع محدود من الشعب الروسي، وأن قوة المجموعة البلشفية كانت بدورها محدودة وسط المجموعات الماركسية، وهو ماظهر في المؤتمر الأول للسوفيات «مجالس العمال والفلاحين» الذي انعقد في بتروغراد في ٣ حزيران ١٩١٧م، والذي حضر جلساته زهاء ألف مندوب، حيث لم تزد كتلة البلاشفة عن عشرة بالمئة من الحاضرين. ورغم كل هذه العقبات فإن لينين، بعد أن رتب عودته من منفاه في سويسرا بالتنسيق مع المخابرات الألمانية، قاد سلسلة من التكتيكات والمناورات التي لاتخلو من الدهاء والمكر والديماغوجية، واستثمر دقة وكفاءة التنظيم الشيوعي ليصل إلى غايته فيمسك بالسلطة وينفرد بها في تشرين أول ١٩١٧م، ولتتحول تلك التكتيكات والمناورات إلى دليل عمل لكل الحركات الشيوعية وغيرها من القوى السياسية التي جعلت من الإمساك بالسلطة واحتكارها هدفها.

الفكر الماركسي في السلطة

عندما استلم لينين الحكم في اكتوبر «تشرين الأول» ١٩١٧ كان أمامه جدول أعمال مثقل بالمهام الجسام والمشاكل المعقدة التي تتطلب الحل.

فالمهمة الرئيسية للينين وحزبه كانت بناء المجتمع الشيوعي وفق المواصفات التي نصت عليها الماركسية، وإعادة تشكيل الحياة في الامبراطورية القيصرية بما يتفق وهذه المواصفات، وكان عليه في نفس الوقت أن يتعامل مع الإرث الثقيل والمرهق للعصر القيصري، لأن استلام الشيوعيين للحكم لم يمكنهم من وراثة سلطة القياصرة فقط، وإنما فرض عليهم أن يرثوا كل الأوضاع المتردية والمشاكل والأزمات التي كانت سبباً في وصولهم إلى السلطة، وأصبحوا بالتالي مسؤولين عنها بعد أن أمسكوا بالحكم.

في مواجهة أعباء هاتين المهمتين الأساسيتين حدد لينين أربع توجهات رئيسة:

١- إنهاء حالة الحرب مع ألمانيا.

٢- تأمين السلطة الشيوعية وتوفير عوامل استقرارها واستمرارها.

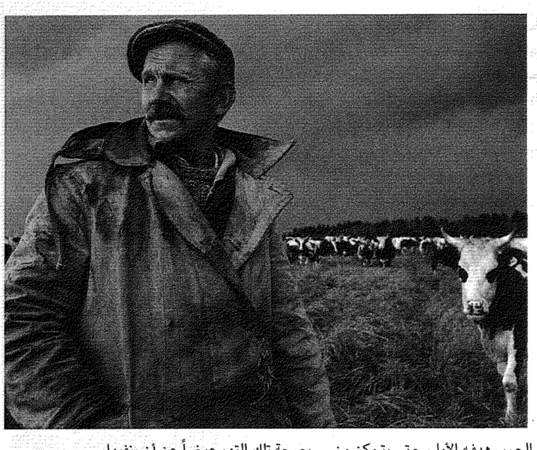
٣- بناء الأسس المادية للمجتمع الشيوعي وتصنيع وكهربة الاتحاد السوفياتي.

٤- حل المشكلة القومية بتحويل الامبراطورية الروسية إلى اتحاد لجمهوريات شيوعية.

١- إنهاء حالة الحرب مع ألمانيا:

كانت الماركسية رائدة في الكشف عن أن التنافس على المستعمرات بين الدول الرأسمالية هو مفجر أساسي للحروب بينها. ولذلك أدانت هذا التنافس وطالبت العمال إلاّ ينساقوا وراء عواطفهم القومية ليتحولوا إلى وقود لهذه الحروب.

وعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى انحاز غالبية الماركسيين إلى «دولهم» وغلبت عليهم عواطفهم القومية بإستثناء قلة منهم، كان أبرزها لينين وحزبه البلشفي في



روسيا، الذي لم يجد أية غضاضة في التنسيق مع المخابرات الألمانية عام ١٩١٧م ليتمكن من العودة إلى روسيا من منفاه في سويسرا، وليقود مسيرة حزبه نحو السلطة رافعاً شعار «السلام للجنود والأرض للفلاحين والسلطة للسوفيات».

وعند استلامه السلطة جعل لينين إخراج روسيا من الحرب هدفه الأول، حتى يتمكن من تركيز جهوده على مشاكل الداخل. ولقد ساعده في تحقيق هدفه عاملان، الأول أن الاستنزاف الذي تعرضت له روسيا خلال سنوات الحرب، اقتصادياً وبشرياً واجتماعياً وسوء أداء الجيش القيصري، لم ينشرا مشاعر التذمر والنقمة فحسب، وإنما جعلا من شعار إخراج روسيا من الحرب شعاراً مقبولاً شعبياً، والثاني أن ألمانيا التي كانت في آخر سنوات الحرب قد استنزفت حتى الإعياء لم تكن تقل حماسة عن لينين في إنهاء الحرب على الجبهة الشرقية لتركز قواها على الجبهة الغربية. وهكذا وقعت معاهدة سلام سوفياتية – ألمانية في برست ليتوفسك عام ١٩١٨م، وهي المعاهدة التي اتهم فيها لينين من قبل خصومه، بأنه أدار المفاوضات لتوقيعها بعقلية تضع مصلحة النظام الشيوعي فوق مصلحة الوطن، فقدم تنازلات لألمانيا لم يكن مضطراً لتقديمها. وبغض النظر عما إذا كان هذا الاتهام يقوم على أسس صلبة أم أن وراءه دوافع كيدية، إلا أن مسلك عدد كبير من الحركات الشيوعية ـ وخاصة في المنطقة العربية ـ في العقود التي تلت، عزز القناعة بصحة تلك التهم عوضاً عن أن ينفيها.

٢- تأمين السلطة الشيوعية وتوفير عوامل استقرارها واستمرارها:

بنت النظرية الماركسية رؤيتها للنظام السياسي في ظل الشيوعية على مبدأين رفعتهما إلى مرتبة المسلمات. الأول أن الموقع الطبقي للإنسان هو الذي يحدد ويشكل أفكاره عموماً، وتوجهاته السياسية خصوصاً، وبناء عليه فإن تقبل البروليتارية للنظريات الشيوعية لاينبغي أن تعرقله أو تحول دونه عوائق ذات أهمية.

والثاني أن السلطة في النظام الشيوعي ينبغي أن تحتكرها البروليتارية المنظمة، التي يقودها أكثر عناصرها وعياً، المؤطرة في الحزب الشيوعي. وتطبيقاً لذلك رفع لينين شعار «كل السلطة للسوفيات»، ليكون شعار الثورة السياسي، حيث تكون السلطة لمجالس منتخبة من العمال والفلاحين «السوفيات» التي يحركها ويقودها الحزب الشيوعي. كانت الصيغة من الناحية النظرية بسيطة ليس فيها تعقيدات، ولكن وضعها في التطبيق كان يواجه جبالاً من المشاكل.

أولى هذه المشاكل فجرها أنصار القيصرية، الذين شنوا حرباً رغم قلتهم، ضد الثورة وتحالفوا مع القوى الرأسمالية الأوروبية، التي لم تكن أقل منهم عداءً للثورة ورغبة في وأدها في مهدها. وعلى الرغم من أن أنصار القيصرية والقوى الأجنبية أنهكوا الثورة عسكرياً في سنواتها الأولى، إلا أن تحركهم عزز مقولات الثورة عن حربها الحتمية مع قوى الثورة المضادة. وحيث أن قطاعات واسعة من الشعب الروسي لم تكن مستعدة لتقبل عودة القياصرة ونظامهم الفاسد، فانخرطت في الحرب ضدهم فانهزموا وتمت تصفيتهم بالمعنى الحرفي للكلمة.

غير أن المشاكل المقلقة تفجرت بسبب صدام السلطة مع تيارات المجتمع الروسي وقواه، وكان لهذا الصدام جذوره وأسبابه. ففي العقود الأخيرة من العهد القيصري، تنامى في روسيا الاستبداد القيصري والاستغلال الإقطاعي الرأسمالي والفساد الحكومي، فولد ذلك في المقابل اعتراضات شعبية جسدتها قوى سياسية تبنت أفكاراً ليبرالية ديمقراطية وتحديثية تطويرية واشتراكية تنزع نحو العدالة الاجتماعية، وكان لهذه القوى أفكارها وبرامجها ومثقفوها وأدباؤها الذين خاضوا صراعاً مريراً ضد الحكم القيصري الرجعي الاستبدادي، وحققوا لأنفسهم تجذراً عميقاً في التربة الشعبية.

كان التقييم الشيوعي لهذه التيارات السياسية وأفكارها سلبياً، فقد صنفت إما في خانة الأحزاب الرجعية البورجوازية، أو اعتبرت أحزاباً اصلاحية. وهذه الفئة لاتقل خطورة في التقييم الماركسي عن الأحزاب الرجعية، لأنها تحرف أنظار الجماهير عن الحلول الجذرية وتوهمهم بحلول لأزماتهم عن غير الطريق الماركسي الشيوعي. أما المجموعات الماركسية غير البلشفية فقد أدينت بالتحريفية أو باليسارية الطفولية.

قبل انتصار الثورة خاض لينين وحزبه صراعات فكرية شرسة ضد كل الاتجاهات التي لاتوافقه الرأي، وكان سلاحه الرئيسي فيها دعاية مكثفة وإرهاباً فكرياً قائماً على توصيفات جاهزة لكل مخالف أو معترض على مقولة من مقولاته. ولكن بعد استلام الشيوعيين للحكم، بدأ اللجوء لاستخدام إرهاب الدولة في مواجهة القوى السياسية الأخرى، كلما عجز سلاح الدعاية أو سلاح الإرهاب الفكري عن إعطاء النتيجة المطلوبة في ترويض وإخضاع الآخرين.

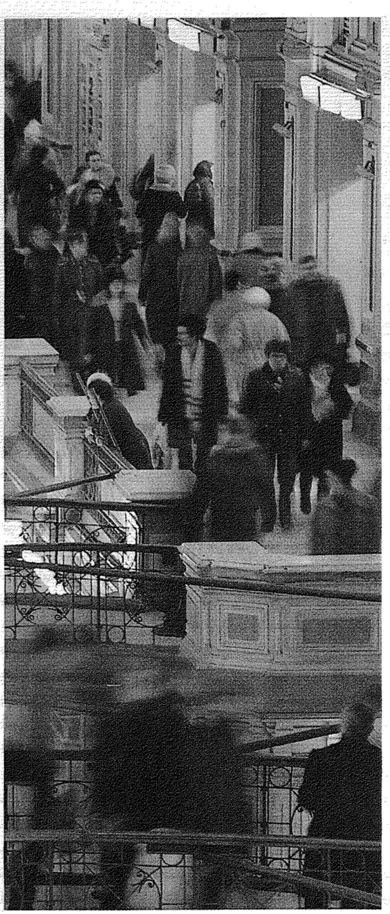
ولقد ترك هذا النهج آثاراً بالغة العمق على مجمل التجربة السوفياتية من أهمها:

١- أنها وضعت الشيوعيين الذين وصلوا إلى الحكم باسم العمال والفلاحين والكادحين، في مواجهات منذ أيام حكمهم الأولى مع العمال والفلاحين والكادحين. ذلك أن كثيراً من القوى السياسية التي تعرضت للاضطهاد والقمع، كانت تمثل قطاعات عمالية وفلاحية وشعبية وثقافية كبيرة، وكان من التداعيات الطبيعة أن يمتد القمع ليشمل هذه القطاعات. وكان ذلك مأزقاً للحكم الشيوعي، لم يستطع أن يواجهه إلا باتهام مخالفيه بالتآمر والعمالة لقوى الرأسمالية العالمية.

٢- أن انتشار أفكار ومقولات مغايرة لفكر وطروحات الشيوعيين ومناقضة لها في أوساط العمال والفلاحين الروس، فجر مشكلة عقائدية لدى الشيوعيين، الذين كانت الماركسية تعلمهم أن الموقع الطبقي للبروليتاريا يجعلها تتقبل الطروحات الشيوعية. فإذا بالواقع يدحض هذه المقولة، مما اضطر بعض المنظرين الماركسيين للاعتراف بأن الموقع الطبقي على أهميته، ليس العامل الوحيد في تشكيل وعي الإنسان وأفكاره، فهناك العقائد الدينية، وقيمها والانتماءات القومية، وموروثاتها الحضارية والاحتكاك الفكري والثقافي، وماينتجه من عقائد ونظريات.

إلا أن هذا الإقرار بالواقع لم يثمر مراجعة نقدية لمقولات الماركسية، وإنما جل مانجم عنه أن الحكم الشيوعي اعتبر أن من واجبه تشديد الحرب على الدين والقومية، وإخضاع النتاج الفكري والثقافي، بشتى ميادينه الفنية والأدبية، إلى الرقابة المسبقة للحزب للتأكد من انسجامه مع الماركسية، والخط الاستراتيجي للحزب الشيوعي. وكان ذلك مأزقاً جديداً للحكم الشيوعي.

٣- إن مؤشرات كثيرة دلت على أن لينين وحزبه



البلشفي لم يكونا حتى قبل الوصول إلى السلطة ممن يثقون بالقوى الشعبية، أو يكنون احتراماً لتوجهاتها، وعندما استلم الحكم فإن فجوة الثقة مابين الحكم الشيوعي والمحكومين راحت تتسع، مما أدى إلى أن الحزب راح يسحب السلطة من السوفييتات المنتخبة ليمسك بها مباشرة. وهكذا شهدت التجربة الروسية تحولاً عملياً من شعار «كل السلطة للسوفيات» إلى واقع «كل السلطة للحزب»، مع بقاء السوفيات ومجلسه الأعلى ديكوراً مظهرياً. ولقد كان التبرير لذلك هو بالقول إن السلطة البروليتارية ينبغي أن تكون بيد أكثر عناصرها وعياً أي أعضاء الحزب الشيوعي.

وبتداعي الأمور انزلقت السلطة داخل الحزب ليمسك بها أكثر أعضائه وعياً وهم أعضاء لجنته المركزية، ثم انزلقت من أعضاء اللجنة المركزية إلى أكثر أعضائها وعياً وهم أعضاء المكتب السياسي، لتستقر في نهاية المطاف بيد أكثر أعضاء المكتب السياسي وعياً وهو الأمين العام. وبذلك تحولت ديكتاتورية البروليتارية في التطبيق العملي إلى ديكتاتورية فرد، يمارسها عبر أجهزة الحزب من خلال هيئاته القيادية، وكان ذلك مأزقاً ثالثاً للحكم الشيوعي.

لم تكن كل التداعيات التي ترتبت عن نهج احتكار السلطة وقمع المخالفين بإرهاب الدولة وإرهاب الفكر قد ظهرت عند وفاة لينين. ولعله من باب الإنصاف، القول أنه في الوقت الذي برز فيه تيار رمزه الأول ستالين، يرى ضرورة المضي بنهج احتكار السلطة وإرهاب الدولة إلى مداه الأقصى، فإن بعض خصومه كانوا يتخوفون من نتائج هذا النهج. ولكن بعد انتصار ستالين في الصراع على خلافة لينين، اكتملت كل

ملامح وسمات النظام الشمولي الشيوعي الذي اقتدت به كل الأنظمة الشمولية لاحقاً ومن أهمها:

١- فرد يحكم من خلال أجهزة الحزب والدولة، التي تدين له بالولاء باعتباره المرجع في كل شيء، السياسة والحرب والاقتصاد والاجتماع والعلم والفن والأدب.

٢- أجهزة حزب ودولة تتحكم بكل نواحي الحياة في المجتمع. وأهم هذه الأجهزة جهاز أو أجهزة دعاية، مهمتها الحديث عن الإنجازات والانتصارات والتقدم في كافة المجالات، وعن صوابية أفكار الجالس على القمة وحكمته وعصمته عن الأخطاء، وجهاز أو أجهزة قمع تتدرج مهمتها من إسكات المعترضين أو المعارضين لتصل إلى مرحلة اسكات الأنين.

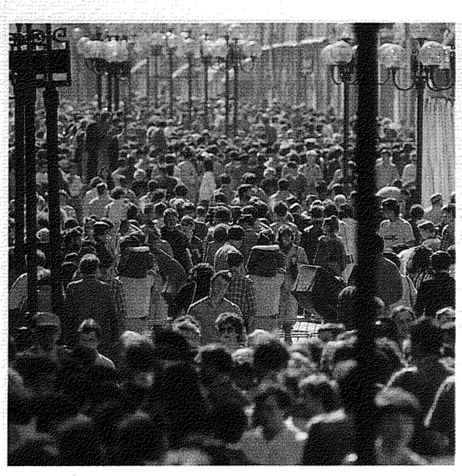
٣- حملات تطهير مستمرة للمشكوك في ولائهم، أو لمن ساقهم سوء حظهم أو تصرفهم لأن يكونوا كبش فداء لأي عثرة واجهت النظام أو مشكلة اعترضت الدولة.

٤- سيادة الجمود الفكري والضمور الثقافي، فحينما تمنع طقوس عبادة النصوص وسطوة حراسها التفكير بأي مشكلة، وإيجاد تصورات لحلها خارج الماركسية ونصوصها، وحينما يكون التعبير عن أفكار في أي مجال من المجالات فيها مخالفة لما أفتى به سيد الكرملين، أو لما قد يفتي به، مغامرة قد تكلف الإنسان حياته أو قضاء سنوات طويلة في المنفى السيبيري، فإن وأد الأفكار في خبايا النفوس يعتبر حلاً. ولعل هذا مايفسر أن خرشوف ماجاهر بنقد ستالين إلا بعد أن مات الأخير وتولى هو منصب الأمانة العامة للحزب، وأن غورباتشوف ماجاهر بآرائه إلا بعد أن انتهت مراسم دفن تشيرنينكو، وتولى هو منصب الأمين العام. أو يكون الهروب إلى أجواء أكثر حرية هو الحل وهو ما اعتمده المنشقون بكل اتجاهاتهم.

لقد كانت المسيرة التي قطعتها التجربة الشيوعية منذ لحظة استلام لينين السلطة إلى مرحلة اكتمال ملامح النظام الشمولي الستاليني، مع مارافقها من نمو سرطاني في الأجهزة البيروقراطية، وبروز ظواهر سلبية كاللامبالاة والمحسوبية والتهرب، إحدى الثغرات الرئيسة للتجربة الشيوعية السوفياتية التي أدت في نهاية المطاف إلى إنهيار هذا النظام لأنه في الوقت الذي كان فيه المجتمع السوفياتي، بحاجة إلى أي فكرة تسهم في تخفيف معاناة الإنسان السوفياتي وإلى كل جهد يسهم في تطوير الحياة داخله، وفي الوقت الذي كان فيه هذا المجتمع، بحاجة إلى حيوية فوارة تمكنه من مواجهة تحديات تنمو وتتعاظم، فإن النظام الشمولي الشيوعي بجموده القاتل، أصابه مايشبه تصلب الشرايين التي تسببت في انهياره وموته الحتمي، وهو الموت الذي لم تنقذه منه محاولة خرشوف في إدانة الستالينية لأنها أدانت الشخص وبرأت النظام.

٣- بناء الأسس المادية للمجتمع الشيوعي وتصنيع وكهربة الاتحاد السوفياتي:

تأسست دعاية الشيوعيين الفكريةوالسياسية قبل استلامهم الحكم، على القول بأن تشكيل المجتمع وفق المواصفات الماركسية، هو السبيل الوحيد لتجاوز مشكلة التخلف الاقتصادي والاجتماعي، وحل مشكلة الفقر والعوز، وتحقيق العدالة الاجتماعية، بعيداً عن كل أشكال الاستغلال. وبعد استلامهم السلطة فإن قناعتهم كانت راسخة، بأن استقرار النظام الشيوعي وديمومته وقدرته على تجاوز كل المشاكل الاجتماعية والقومية، ودحض كل الاعتراضات عليه والمعارضة له، يكمن في نجاحهم في الوفاء بما أغدقوه من وعود برخاء قادم في ظل الإجراءات الشيوعية. ولذلك وضع لينين فور استلامه الحكم موضع التنفيذ العملي، كل مانصت عليه الماركسية من إجراءات لبناء النظام الشيوعي. ففي ٨ تشرين الثاني ١٩١٧م صودرت كل الملكيات الزراعية الكبيرة، وآلت ملكيتها إلى مجالس الفلاحين، وفي ١٤ تشرين الثاني أخضعت كل المؤسسات الصناعية والتجارية للإشراف الفعلي المباشر للعمال، ثم تلا ذلك تأميم البنوك والتجارة الداخلية، وتقرر أن يسلم فائض الإنتاج للدولة. وهكذا قضي على الإقطاع والرأسمالية، وتملكت البروليتارية وسائل الإنتاج. وخلال أربع سنوات من وضع هذه الإجراءات موضع التطبيق، انخفض الإنتاج الزراعي إلى النصف، وكاد الإنتاج الصناعي يتوقف، ووصلت روسيا إلى حافة المجاعة والإفلاس.



لم يكن في كتابات ماركس مايسعف لينين في مواجهة تلك الكارثة، لأن ماركس اكتفى بالتشديد على مبدأ إلغاء الملكية الفردية لوسائل الإنتاج «وانتقالها إلى البروليتاريا»، كسمة أساسية للمجتمع الشيوعي، ولم يدخل في التفاصيل، خوفاً من أن يطرح مقولات غير علمية، كما فسر ذلك أوسكار لانجه في مابعد، فعمد لينين إلى التراجع عن كثير مما اتخذه من إجراءات. ففي ٢٩ آذار ١٩٢١ ألغى قرار الاستيلاء على فائض الإنتاج عيناً، وفي ١٧ أيار أباح لصغار المنتجين أن يبيعوا إنتاجهم لحسابهم، وفي ٧ تموز ألغى تأميم كل المؤسسات الصناعية التي لايزيد عدد عمالها عن عشرين عاملاً، وفي ١٠ تموز أباح للأفراد والشركات إقامة مصانع مملوكة لها ملكية خاصة. وأطلق على كل تلك الإجراءات اسم السياسة الاقتصادية الجديدة» (النيب).

لم تمر كل هذه الإجراءات التي أعاد فيها لينين الملكية الفردية ولو على نطاق ضيق، وأعاد فيها الاعتبار للمبادرة الفردية، بدون ضجة داخل الحزب الشيوعي وتساؤلات عند عبدة النصوص. وحينما احتج بعض الحزبيين على تلك الإجراءات بالقول بأنها عودة إلى شكل من أشكال الرأسمالية، لم ينف لينين ذلك، وإنما برره بقوله إن الرأسمالية سيئة بالمقارنة مع الشيوعية، ولكنها حسنة بالمقارنة مع الطور الاقطاعي، الذي كانت فيه روسيا. وبغض النظر عن أية تبريرات كان الواقع يضغط عليه بغير رحمة. وكان عليه أن يتصرف لينقذ روسيا من المجاعة والإفلاس، مدركاً أنه يواجه أعقد مشكلة نظرية تعرضت لها الماركسية.

لم يعش لينين طويلاً بعد تلك المرحلة ليحل تلك المعضلة التي واجهت الماركسية، فيوفق مابين نصوصها وضرورات الواقع، وإنما جاء حلها في عهد خليفته ستالين الذي كان منحازاً إلى فكرة إخضاع كل نواحي الحياة في المجتمع لتحكم الدولة. اعتبر ستالين أن تطبيق الماركسية في المجال الاقتصادي يستلزم ملكية الدولة لكل وسائل الإنتاج وتوجيهها وإدارتها بخطة اقتصادية مركزية شاملة، وتطبيقاً لذلك استرد الأرض من الفلاحين وقمع معارضتهم بقسوة راح ضحيتها زهاء ثلاثمائة ألف فلاح، وأعاد تأميم كل وسائل الإنتاج الصناعي والشركات. وفي عام ١٩٢٥م وضعت أول خطة لتنظيم الإنتاج الصناعي، وبعد نجاحها عممت التجربة بالتخطيط الشامل منذ عام ١٩٢٨.

شكل التنظيم الشيوعي للاقتصاد، كما اكتملت ملامحه في عهد ستالين، والقائم على سيطرة الدولة الكاملة على النشاط الاقتصادي من خلال ملكيتها لوسائل الإنتاج وإدارتها بتخطيط مركزي شامل، نقيضاً نظرياً للفكر الرأسمالي المرتكز على حرية المبادرة الفردية وتقديس الملكية الخاصة والحرص على ابتعاد

الدولة عن أي دور في المجال الاقتصادي واعتماد قوانين السوق في العرض والطلب كمنظم له.

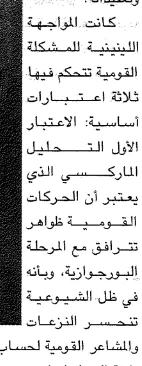
ولقد كان من المصادفات التاريخية أن انطلاقة هذا التنظيم في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات، تزامنت مع فترة مرت فيها النظم الرأسمالية بأخطر وأعمق أزماتها وهي التي تعرف بأزمة عام ١٩٢٩م، مما جعل كثيرين داخل الاتحاد السوفياتي وخارجه يعتبرون أن هذا التنظيم للاقتصاد تجربة تستحق أن تعطى فرصتها كاملة وأن تتابع وتدرس. ثم جاءت النتائج العملية لتثبت أن في هذا الشكل من التنظيم الاقتصادي ايجابيات لايمكن تجاهلها. فالتقدم الصناعي الذي حققه الاتحاد السوفياتي في مرحلة ماقبل الحرب العالمية الثانية، ثم قدرته خلال سنوات الحرب الشرسة على الوفاء بمستلزمات الصمود والقتال والتحرير، كانت كلها نقاط إيجابية لصالح مبدأ أن يكون للدولة دور قيادي في تنظيم الاقتصاد. وهذه هي بالتحديد النقاط التي ركزت عليها آلة الدعاية الشيوعية منذ ذلك الحين لتسويق رؤيتها الاقتصادية وتسويقها بين الناس. غير أنه في مقابل هذه الإيجابيات كانت هناك ثغرات أبرزها، فشل التنظيم الاقتصادي الشيوعي في إيجاد حل للمشكلة الزراعية في روسيا. فسياسة تأميم الأرض لم تحظ برضى الفلاحين، وإنما فرضت عليهم بمجازر وحشية، فعجزت عن رفع مستوى الإنتاج الزراعي الروسي في الكم والنوع.

وطوال عقود ظلت المشكلة الزراعية مشكلة تقض مضاجع أسياد الكرملين وتطيح برؤوس بعضهم، ومن جانب آخر فإن إعطاء التخطيط الاقتصادي الشيوعي الأولوية للتصنيع الثقيل على حساب ضرورة توفير حد أدنى مقبول من السلع الحياتية التي يتطلبها المواطن كان موضع تذمر المواطن السوفياتي. وفي السنوات الأولى من التجربة كان ممكناً إقناع هذا المواطن بضرورات شد الأحزمة والقبول بحصص متواضعة من الخبز والزبدة والسلع الحياتية، ولكن بعد أن طالت مدة التقشف تعاظمت الحاجة إلى أن تقترن القدرة على الإقناع بالقدرة على الإسكات، وكانت تلك مشكلة تفاقمت حينما تمت التضحية بأكثر من جيل من أجل أجيال لم تولد بعد.

٤- الماركسية وبناء الاتحاد السوفياتي

عندما استلم لينين والشيوعيون الحكم في روسيا، كان من أعقد المعضلات التي ورثوها عن الحكم القيصري مشكلة حكم الامبراطورية الروسية الشاسعة، التي ضمت موزاييكاً من الشعوب والقوميات والأديان بلغ عددها مئة مجموعة بشرية مختلفة.

والامبراطورية الروسية القيصرية تكوين مختلف في نشأته وسماته عن بقية الامبراطوريات الاستعمارية التي أسستها الدول الأوروبية في القرن التاسع عشر. فالامبراطوريات الأوروبية تكونت من مركز استعماري أوروبي، ومستعمرات تقع ماوراء البحار تستعمر وتستغل لصالح المركز، ولذلك لم تكن تواجه القوى الاستعمارية الأوروبية مشكلة كبيرة في التخلي عن مستعمراتها عندما تلمس أن حساب التكاليف والخسائر بات يفوق حساب الأرباح. أما النموذج الروسي فكان حالة مغايرة تماماً لأنه كان توسيعاً لحدود الوطن الأم بغية توفير مقومات استراتيجية هو بأمس الحاجة لها. فمسألة الوصول إلى المياه الدافئة مثلاً كان المحرك الأول لحركة الاستعمار الروسي، وكان كل نجاح يتحقق على هذه الطريق يقابله عبء ثقيل يلقى على المركز، لأن استيلاء الامبراطورية الروسية على أوطان شعوب وأمم أخرى، وإلحاقها بالوطن الروسي، لم يكن يمر من دون مقاومة تستمر أجيالاً. ولم يكن أمام المركز الروسي إزاء تلك المقاومة إلا استخدام أقسى العنف لقهرها وإنهائها واعتماد سياسة القهر القومي والتذويب منهجاً في التعامل مع كل مايترتب على ذلك من أعباء مرهقة. أما التفكير - مجرد التفكير - بالتخلي عن أي شبر من الأرض الملحقة بالامبراطورية فلم يكن وارداً، وهذا مادفع ماركس لأن يسمي الامبراطورية الروسية سجن الأمم. وصحيح أن قضبان السجن القيصري الروسي كانت سميكة وأسواره عالية وجلاديه على قدر عال من القساوة والوحشية، إلا أن ذلك لم يحل دون تمسك المسجونين بحلم الحرية. وعندما انهار الحكم القيصري كبرت الأحلام والآمال، وكان على لينين



مواجهة هذا الواقع بكل تناقضاته وتعقيداته.

كانت المواجهة اللينينية للمشكلة القومية تتحكم فيها ثلاثة اعتبارات أساسية: الاعتبار الأول التحليل الماركسي الذي يعتبر أن الحركات القومية ظواهر تترافق مع المرحلة البورجوازية، وبأنه في ظل الشيوعية تنحسر النزعات والمشاعر القومية لحساب علاقات أممية أساسها وحدة طبقة البروليتاريا.

والاعتبار الثاني أن لينين كان صاحب تحليل للواقع الرأسمالي، خلاصته أن استعمار الشعوب ونهبها الذي مارسته الدول الرأسمالية أطال من عمر الرأسمالية، وبأن الإسراع في تهيئة الظروف العالمية لثورات شيوعية تنقل العالم إلى طور أكثر تقدماً يستلزم تحرير المستعمرات، ولذلك رفع شعار حق الأمم في تقرير المصير.

والاعتبار الثالث أن الضرورات الاستراتيجية لروسيا وأمن وسلامة النظام الشيوعي، يستلزمان التمسك بكل أراضي الامبراطورية، ولذلك اتجه تفكير لينين إلى اعتماد حل للمسألة القومية في الحكم الشيوعي أساسه تحويل الامبراطورية الروسية إلى اتحاد لجمهوريات اشتراكية شيوعية، والاعتراف النظري بحق الشعوب في تقرير المصير والانفصال، واحتواؤها عملياً ضمن إطار الدولة السوفياتية عن طريق إغرائها بالازدهار الاقتصادي والاجتماعي القادم وبوعود بناء العلاقات داخل الاتحاد على قاعدة العدالة.

كان الحل اللينيني للمسألة القومية يعتمد في نجاحه على تنازل الشعوب والقوميات داخل الامبراطورية الروسية عن مطلبها في الاستقلال القومي، وقبولها بإعادة تشكيل حياتها بما يتناسب مع مقولات الماركسية اللينينية ومواصفاتها، وعندما مات لينين بعد سنوات قليلة قضاها في السلطة، كان الحل اللينيني للمسألة القومية يواجه عثرات. فرغم كل الجهود التي بذلها الشيوعيون، إلا أنهم لم يتمكنوا من استئصال النزعة القومية من النفوس، والقضاء على مطلب الاستقلال القومي، كما عجزوا عن إقناع كل الشعوب والقوميات بالتخلي عن سماتها القومية المتميزة، وموروثاتها الحضارية وأهمها الإيمان الديني، واعتماد الماركسية مرجعاً يبنون على أساسه حياتهم داخل الاتحاد السوفياتي.

ثم استلم ستالين السلطة واعتمد سياسة القمع على أوسع نطاق للمشاعر والتطلعات القومية، وشدد الحرب ضد الإيمان الديني وصادر كل الحقوق القومية، ولم يبق لشعوب وقوميات الاتحاد السوفياتي إلا حق تشكيل فرق للرقص والغناء الفولكلوري.

كانت الصورة الخارجية للاتحاد السوفياتي منذ عصر ستالين تعطي انطباعاً بأن النظام الشيوعي حل

مشكلة التنافر القومي، ولكن الرؤية المدققة كانت قادرة على اكتشاف أن القمع الستاليني المشهود له بالقساوة والعنف لم يستطع استئصال المشاعر والتطلعات القومية، حتى لدى كثير من الشيوعيين أنفسهم، كما أن كل دعاوى الأممية لم تخف حقيقة أن القومية الروسية اتخذت موقعاً مميزاً بين كل قوميات الاتحاد السوفياتي، وأن سياسات الاختلاط القسري التي مارسها ستالين وسياسات الضم القسري لقوميات وأعراق مختلفة إلى بعض الجمهوريات الصغيرة لم تؤد إلى الانصهار، وإنما حافظت كل مجموعة بشرية على تميزها وذاتيتها التي راحت تتطور إلى مشاعر عنصرية تتفجر كلما أتاحت لها الظروف ذلك.

وكانت الحرب العالمية الثانية هي إحدى هذه الظروف، حيث بلغت مشاعر القلق والتململ لدى بعض الأقوام والشعوب في الاتحاد السوفياتي حداً دفعها للتعاطف مع النازيين، كألمان الفولغا وتتار القرم، أملاً ورغبة في الخلاص مما كانوا يشعرونه نسخة جديدة من الاستعمار الروسي القديم.

وإذا كان تصعيد حدة القمع واقتلاع شعوب من أراضيها ونفيها كان رد ستالين على ما أبدته بعض المجموعات من تعاطف مع النازي، ولكن القمع والاقتلاع لم يتمكنا من حل المسألة القومية التي ظلت قنبلة قابلة للإنفجار.

التجربة الشيوعية وامتحان الحرب العالمية الثانية

منذ أن انتصر الحكم الشيوعي على حروب التدخل العسكري الأجنبي ضد ثورة اكتوبر، والقيادة السوفياتية تدرك أن الصدام مع القوى الرأسمالية قادم لا محالة، ولكنها تتهيّبه خاصة بعد صعود نجم الفاشية والنازية في أوروبا. ولقد كان حلم القيادة السوفياتية أن يستنزف الصراع مابين قطبي الرأسمالية العالمية الفاشية والليبرالية قوى الطرفين، فترثهما الحركة الشيوعية العالمية. ولفترة بدا هذا الحلم قابلاً للتحقيق حينما انفجرت الحرب بين ألمانيا من جهة وفرنسا وانكلترة من جهة أخرى، ولكنه انهار بعد أن تحول هتلر شرقاً ليغزو الاتحاد السوفياتي في حزيران ١٩٤١م.

عند بدء الغزو النازي لروسيا ساد خوف حقيقي من أن تنهار التجربة الشيوعية والنظام الشيوعي تحت وطأة الغزو، حتى شاعت روايات أن ستالين أصيب بحالة اكتئاب شديد عند تلقيه نبأ الغزو، وعكف لأيام يشرب الخمر ويردد أمام رفاقه أن الدولة التي بناها لينين انهارت، حتى وصلت إلى مسامعه أخبار المقاومة البطولية التي قابل بها الجنود السوفيات قوى الغزو النازي فبدأ باستعادة رباطة جأشه.

ولقد كان لهذا الخوف أسبابه القوية، فمن جهة لم تكن قوة الاتحاد السوفياتي العسكرية والصناعية توازي قوة ألمانيا النازية(١).

ومن جهة ثانية فإن ثقة ستالين والقيادة الشيوعية بالشعوب السوفياتية كانت ضعيفة، فبعد أكثر من عشرين عاماً من حكم استخدم مزيجاً من الدعاية المكثفة والقمع القاسي لفرض إعادة تشكيل الحياة في الاتحاد السوفياتي وفق المقولات الماركسية اللينينة الستالينية، لم تكن الدلائل كافية على أن شعوب الاتحاد السوفياتي اقتنعت بما يفرض عليها بإرهاب الدولة، وكان الخوف أن يتكرر في ١٩٤١م ماجرى عام ١٩١٧م، أي أن تتحول الهزائم العسكرية على الجبهة إلى مفجر للنقمة والثورة على نظام الحكم في العاصمة.

غير أن العنصرية النازية، التي كانت تستبطن حقداً على العنصر السلافي الذي تتكون منه غالبية شعوب الاتحاد السوفياتي، وتستهدف توسيع المجال الحيوي الألماني على حساب هذه الشعوب، استفزت كل المشاعر القومية لدى هذه الشعوب واستنفرت كل طاقات المقاومة لديها وزجت بها في الصراع ضد النازية، بغض النظر عن رأيها في نظام الحكم وممارساته. وكانت تلك هي الفرصة التي التقطها ستالين وأمسك بها ليخوض الحرب ضد النازية بالاعتماد على عامل القومية ومهادناً الدين. فمنذ بدء الغزو توقفت الحملات الداعية للإلحاد والمعادية للدين، وأعيد فتح الكنائس وأرجعت الأيقونات وتماثيل العذراء والسيد المسيح إلى أماكنها واستدعي الكهنة ليقيموا القداديس ابتهالاً إلى الله لنصرة «روسيا المقدسة». ومن جهة أخرى أعيد الاعتبار لأبطال التاريخ



القومي الروسي، وتوقفت الدعاية المعادية للمشاعر القومية لتتركز على المبررات القومية «لخوض الحرب الوطنية الكبرى». ومن ناحية ثالثة تراجعت القبضة القمعية للنظام وتقلصت الهيمنة الحزبية لحساب مزيد من الحرية أمام المواطنين، الذين انطلقوا يقاومون الغزو في كل المجالات بمبادرات تجاوزت الدولة والحزب في بعض الأحيان. ولقد كان من نتائج انتعاش المشاعر القومية وتأججها في مواجهة العدوان النازي واقترانها بتنامي مشاعر الإيمان الديني وتراخي القبضة القمعية للنظام، أن تولدت في الاتحاد السوفياتي مناخات استنهضت كل قوى المقاومة فتجند للقتال ملايين الجنود، وانطلقت قوى الإنتاج توفر للحرب مستلزماتها المادية وتزيد الإنتاج السوفياتي خلال سنوات الحرب بمعدلات باهرة، كما استطاعت هذه المناخات أن تعزز قدرة الشعوب السوفياتية على احتمال أعباء حرب التهمت حياة عشرين مليوناً من أبنائها، ودمار شامل وصل حتى تخوم الأورال حتى تحقق الانتصار الساحق على النازية.

عندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها كانت المناخات داخل الاتحاد السوفياتي ملائمة لإجراء وقفة تقويمية للتجربة الشيوعية السوفياتية، تستخلص من نجاحات وإخفاقات الماضي الدروس والعبر وتوظفها في مواجهة مشكلات الحاضر وتحديات المستقبل.

فالاتحاد السوفياتي تحمل العبء الأساسي وقام بالجهد الرئيسي داخل معسكر الحلفاء في هزيمة النازي وسحقه، وهذا ما أهّله لكي يحتل موقعاً على القمة الدولية، لم يتوفر لروسيا في تاريخها من قبل. وكان ذلك موضع اعتزاز وفخر قوّى الشعور بالانتماء إلى الاتحاد السوفياتي والاعتزاز بإيجابيات تجربته ورغبة في تطويرها، كما امتص كثيراً من مشاعر النقمة على السلبيات وعلى تجاوزات التجربة، وإن لم يلغ التحفظات عليها، ولعل هذا هو المناخ الأمثل لإجراء تقويم موضوعي لأي تجربة.

ومن جهة ثانية فقد نما خلال سنوات الحرب وفي لهيب معاركها اتجاه نحو التوحد، توحد مابين المواطن والسلطة ومابين الشعب والجيش والحزب، ومابين القوميات والشعوب داخل الاتحاد السوفياتي. وعندما تحقق النصر بفضل تضافر كل الجهود والتضحيات التي قدمها كل مواطني الاتحاد السوفياتي وشعوبه وقومياته، فإن الاعتراف المتبادل بجهود وتضحيات كل الفئات في صناعة النصر قوّى هذا الاتجاه الذي كان يمكن له أن يشكل قاعدة انطلاق لعملية مراجعة وتطوير شاملة تعطي لكل ذي حق حقه، وتحقق تكاملاً بين كل قوى وفئات المجتمع السوفياتي.

وكانت المراجعة الشاملة مطلوبة لسببين هامين: أولهما: أن التضحيات تقدمها الشعوب في الحروب

والصراعات الكبرى بغية بناء مستقبل أفضل لأجيالها، وحينما يتحقق النصر في هذه الحروب والصراعات فإن الشعور بأن آفاق المستقبل باتت مفتوحة، يولد الإحساس بضرورة جني ثمار التضحيات التي قدمت، والنصر الذي تحقق، وفي حالة الاتحاد السوفياتي فإن جني ثمار النصر كان يعني مزيداً من الحرية ومزيداً من الخبز، الأمر الذي كان يستلزم فتح ملف الحرية بكل جوانبه، الحرية الفردية والحريات العامة، وحريات شعوب الاتحاد السوفياتي وقومياته، ومراجعة شاملة للحكم الشمولي ولمخاطرة. كان يستلزم فتح ملف الانتقال بالمجتمع السوفياتي من مجتمع التقشف إلى مجتمع الكفاية، ومن ثم إلى مجتمع الوفرة، مع مايقتضيه ذلك من مراجعة شاملة للتجربة في المجال الاقتصادي والاجتماعي بغية تثبيت ايجابياتها وسد ثغراتها.

وثانيهما: أن الأوضاع التي نتجت عن الحرب العالمية الثانية فرضت أنماطاً جديدة من التحديات على الاتحاد السوفياتي. فهناك تحدي إعادة الإعمار الشامل لكل مادمرته الحرب، وهناك تحدي المساهمة في إعادة إعمار الأقطار الأوروبية التي ألحقت بمنطقة نفوذه في أوروبا الشرقية، والتي حولت إلى دول شيوعية، وهناك تحدي سياسات التطويق والحصار الأمريكية والأطلسية بالأحلاف المعادية، وهناك تحدي سباق التسلح الذي أطلقه الأمريكيون لإرهاقه اقتصادياً، والذي لم يكن هناك مفر من خوض المنافسة فيه حماية لأمنه القومي.

كانت كل هذه التحديات تفرض نفسها على التجربة السوفياتية، وتستلزم لمواجهتها جهداً إنسانياً جباراً، تتجند له كل طاقة فكرية أو عملية قادرة على العطاء والإبداع. ولقد كانت الدلائل عديدة والمؤشرات كثيرة على أن هذا الجهد لايمكن اطلاقه في ظل نظام شمولي، تدار فيه الحياة الإنسانية لملايين البشر من قوميات وأعراق وأديان مختلفة بالأوامر. ولم تكن تلك الدلائل والمؤشرات افتراضات أو آراء نظرية، بقدر ماكانت خلاصات مستخرجة من التجربة السوفياتية نفسها. فعلى سبيل المثال كانت أبرز النجاحات التي حققتها التجربة السوفياتية هي في المجالات التي انخرطت فيها القوى الشعبية عن قناعة لتشارك في صناعة تلك النجاحات. فلولا الرفض الشعبي الحاسم لعودة القيصرية لما تجندت طاقات شعبية هائلة ساندت الحكم في مواجهة حروب التدخل الأجنبي، ولولا القناعة الشعبية بأن تطوير الصناعة هو ركيزة الإزدهار المنشود لما نجحت الخطط الاقتصادية، ولولا القناعة الشعبية بضرورة هزيمة النازي في جو سادت فيه سياسات هادنت الدين وتوقفت عن محاربته واستعانت بالمشاعر القومية وواكبتها، ورفعت القبضة القمعية نسبياً عن المواطنين، لما تحقق النصر الكبير في «الحرب الوطنية الكبرى».

وفي المجال الاقتصادي فإن كل القرارات الحزبية، وإجراءات القمع البوليسية لم تمكن ستالين ولاخلفاءه من حل المشكلة الزراعية، لأن سياسة تأميم الارض رفضها الفلاح السوفياتي، في حين أن تجربة لينين في «السياسة الاقتصادية الجديدة» أنقذت البلاد من المجاعة، وحركت عجلة الاقتصاد حينما ترك للمبادرة الفردية حرية النشاط في إطار التوجيه العام للاقتصاد متجاوزاً «قوانين» الماركسية ونصوصها.

وإذا كان لينين، حينما اضطرته بعض الظروف أن يختار بين الالتزام بالنصوص الماركسية وبين التصرف وفق مقتضيات الواقع، اختار بشجاعة وجرأة أن يتصرف وفق مقتضيات الواقع، إلا أن عقلية الجمود العقائدي عند خلفائه وخاصة ستالين وتشبثهم بإيديولوجية الحكم الشمولي، لم يمنعا قيام مراجعة نقدية للتجربة الشيوعية في وقت كانت فيه هذه المراجعة مطلوبة وظروفها مهيأة فحسب، وإنما دفعتهم فور انتهاء الحرب إلى إعادة الأمور إلى ماكانت عليه قبل الحرب، من تشديد الحرب على الدين والقومية، واستعادة أجواء القمع وكبت الحريات، واعتبار أن كل ماجرى كان دليلاً على صحة الماركسية وصوابية التطبيق وحكمة القائد وعصمته عن الأخطاء، وكانت تلك هي المرحلة التي تكرست فيها طقوس عبادة الفرد ستالين ولمع فيها نجم وزير داخليته الرهيب لافرينتي بيريا.

التجربة السوفياتية في عصر الحرب الباردة

دخلت التجربة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي



عصر الحرب الباردة وهي مثقلة بمشكلات ماقبل الحرب ومعضلات الحرب لتضاف إليها أزمات مابعد الحرب. كانت أولى هذه المشكلات مشكلة النظام الشمولي الذي لاحت في سنوات الحرب آمال بالحد من سطوته وجبروته لحساب مزيد من الحرية للأفراد والمجموعات. ثم تبخرت تلك الآمال وتحولت إلى سراب لتعود الأمور إلى سيرتها الأولى، مما أدى إلى تنامي السلبية واللامبالاة لدى المواطن السوفياتي، والتي عبرت عنها ظواهر مثل ارتفاع نسبة الغياب عن العمل في كافة المواقع، وضعف الانتاجية وتزايد جرائم الإهمال.. الخ. وكانت تلك معضلة أضيفت إلى مشكلة. وعندما حاولت السلطة معالجة تلك المعضلة بتكثيف «الأوامر» للمواطنين بالعمل والإنتاج على شكل قوانين وقرارات توضيحية للقوانين واللوائح التنظيمية، تحول هذا الكم الهائل من القوانين والقرارات واللوائح إلى تربة خصبة لنمو طبقة بيروقراطية داخل أجهزة الدولة والحزب، تتحكم في حياة ملايين البشر من خلال إسناد أي موقف تمليه عليها أهواؤها أو مصالحها الشخصية، إلى قانون أو قرار أو لائحة. وهكذا أضيفت إلى المعضلة أزمة، وكانت محصلة ذلك أن أصيبت طاقة إنسانية ضخمة بالشلل في وقت كانت فيه التحديات تتطلب أعلى درجات النشاط والحيوية.

وكان ثاني هذه المشاكل، أن استعادة أجواء الحرب على الدين والعداء للقومية بددت مناخات التوحد التي شهدتها سنوات الحرب. وأعادت البلاد إلى التوترات القومية، حيث كانت مشاعر النقمة على سياسات القمع القومي والديني تولد ردود فعل تختلط فيها العقائد السياسية مع العقائد الدينية، لتتحول إلى نزعات تصل إلى حدود العنصرية والعداء للآخرين.

ومما زاد الطين بلة أن تركز السلطة بين قيادات تنتمي إلى القومية الروسية، وتمركز جهود إعادة الإعمار والتطوير على المناطق الروسية، أهدرا كل دعاوي الأممية، وولدا قناعة وشعوراً بأن التهميش السياسي والاقتصادي والاجتماعي والظلم الناتج عنه هو نسخة جديدة منقحة عن سياسات القهر القومي القيصرية بعد أن ألبست رداء الماركسية.

وعندما وسع الاتحاد السوفياتي حدوده غرباً بعد نهاية الحرب، ووسع نفوذه حتى منتصف ألمانيا، اتسع نطاق المشكلة، وأضيفت إلى صفوف المتململين أعداد جديدة ممن كانوا يشعرون بالقهر القومي. وكانت تلك المشاعر تتفاعل على مر السنين وتتفجر في بعض الأحيان الانتفاضات، كما حدث في المجر عام ١٩٥٦م وفي تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨م وفي بولندا في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، وكانت الظاهرة القومية أزمة لم تستطع القيادة السوفياتية أن تتصور لها حلاً



خارج نهج القمع والإسكات، ولم يكن ذلك حلاً وإنما بات عبئاً.

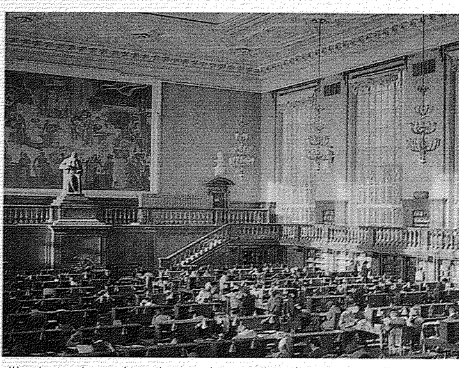
وكان ثالث هذه المشاكل، أن الوعود التي أغدقتها القيادة الشيوعية في الاتحاد السوفياتي وخارجه برخاء قادم، كانت تتطلب تحقيق نجاحات في خطط إعادة الإعمار الاقتصادي والاجتماعي لمجتمع دمرته الحرب، ولمجتمعات ألحقت به بعد الحرب، يتلمسها المواطن ويحس بها في حياته. غير أن هذه الخطط منذ لحظة وضعها موضع التطبيق في فترة مابعد الحرب أعاق انطلاقتها قيدان ثقيلان.

كان القيد الأول هو التنظيم الشيوعي للاقتصاد نفسه القائم على ملكية الدولة لكل وسائل الإنتاج، وإدارتها مركزياً بتخطيط شامل، حيث دلت تجربة سنوات ماقبل الحرب أن الإلغاء الكامل للملكية الفردية في كل المجالات والتقييد الكامل للمبادرة الفردية، يضعفا المبادرة على العمل والإنتاج، وكانت المشكلة الزراعية في الاتحاد السوفياتي هي المثال الصارخ على ذلك.

ومن جهة ثانية فإن اخضاع كل النشاط الاقتصادي للإدارة المركزية الصارمة للدولة تخطيطاً وتنفيذاً، كان عبئاً يفوق الطاقة، وإذا كانت أبعاد هذا العبء لم تتكشف كلها في السنوات الأولى من تطبيق النظام الاقتصادي الشيوعي نظراً لصغر حجم النشاط الاقتصادي آنذاك، ولكن بعد اتساع حجم الاقتصاد السوفياتي، فإن هذا العبء راح يضغط بقسوة، خاصة وأنه ترافق مع النمو السرطاني لظاهرة البيروقراطية التي شلت هذا القطاع الضخم وأبطأت تطوره لدرجة التوقف، وسلبته القدرة على مواكبة متغيرات مابعد الحرب، والتي كان أبرزها على الصعيد الاقتصادي، انتقال العالم من عصر الثورة الصناعية الثانية «عصر الكهرباء والتصنيع الثقيل» إلى عصر الثورة الصناعية الثالثة «عصر الالكترونيات والمعلوماتية»، فتراجعت الصناعة الروسية في الكم والنوع وتخلفت عن احتياجات العصر ومقاييسه.

وكان القيد الثاني هو الأولوية المتقدمة التي احتلتها اعتبارات الأمن القومي في عصر الحرب الباردة، فعند نهاية الحرب العالمية الثانية كان في حسابات القيادة السوفياتية أن ترصد سبعين بالمئة من موارد الدولة السوفياتية لإعادة البناء والتطوير، وعشرين بالمئة لمساعدة الدول الشيوعية، وعشرة بالمئة للدفاع والأمن القومي، لكن التحديات التي واجهها الاتحاد السوفياتي من سياسات الحصار والتطويق الأميركي وسباق التسلح، فرضت عليه أن يقلب أولوياته رأساً على عقب، فأصبحت لاحتياجات الأمن القومي الأولوية المطلقة على ماعداها. وراح سباق التسلح يضغط على السوفيات، وراحت برامجه تلتهم موارد الدولة على قلتها بنهم، ثم كانت حاجة الاتحاد السوفياتي إلى كسر حلقات الأحلاف التي يسعى الغرب لتطويقه بها، فاندفع إلى تأييد حركات التحرر القومي في العالم الثالث، وراحت أقطار وبلدان العالم الثالث، تطالبه بمساعدات تسليحية واقتصادية واجتماعية تمكنها من الوقوف أمام تحديات الاستعمار القديم والحديث، وفرضت عليه احتياجات أمنه القومي أن يلبي كثيراً من هذه الطلبات. ثم جاءت مقتضيات التنافس السوفياتي مع الأميركيين على القمة لتحفز السوفيات إلى اجتذاب بعض اقطار العالم الثالث إلى الماركسية فكراً وتطبيقاً، وكان كل نجاح يحققه السوفيات في المضمار يقابله عبء جديد يضاف إلى أعباء سابقة.

وإذا كان صحيحاً أن الصناعات العسكرية السوفياتية، بما في ذلك مجالي الفضاء والذرة، استطاعت أن تواكب تكنولوجيا التقدم الغربي، وخاصة في أميركا، سيما وأن التقدم التكنولوجي في الغرب الرأسمالي اعتمد أساساً على استخدام نتاج الأبحاث العلمية في المجال العسكري لتطوير الصناعات المدنية، غير أن النظام الشمولي المغلق في الاتحاد السوفياتي حال دون الاستفادة من تلك التجربة لتطوير اقتصاده، لأن من سمات النظام الشمولي أنه يعتبر أن المعارف والمعلومات هي مصدر قوة لمن يملكها، وبدعاوى الأمن القومي وأمن الدولة وسرية الأبحاث العسكرية، فإن تداول المعلومات والمعارف يعتبر جريمة. وعندما احتكرت المعلومات والمعارف وقيّد الفكر فإن التطور التكنولوجي السوفياتي ظل محصوراً في مجالات لايتعداها، بل



تحـول إلى عبء على المواطن السوفياتي، الذي كان يقتطع من قوته لتمويله ثم تعذر عليه أن يستفيد من ثماره، وكان من نتيجة ذلك كله أن الوعود الشيوعية بالرخاء في ظل الشيوعية تحولت بدورها إلى سراب.

الانهيار

في مطلع الثمانينيات كان الاتحاد السوفياتي أشبه بعملاق ضخم يقف على قدمين من فخار تنوءان بالأثقال. وعندما مات بريجنيف، وهو رمز الجمود العقائدي الماركسي، راح خليفته أندروبوف يحاول أن يكسر قيود الجمود، يحفزه على ذلك عاملان: الأول، أن مشاكل ومعضلات وأزمات الاتحاد السوفياتي تفاقمت لدرجة مقلقة وباتت تهدد بالإنفجار. والثاني أن الأمريكيين أطلقوا مشروعاً لعسكرة الفضاء. وعسكرة الفضاء، أو حرب النجوم، هو استمرار لنهج الحرب الباردة، ولأسلوب التفكير الذي سادها، والقاضي بالسعي لامتلاك سلاح يمكن من إحراز التفوق العسكري المطلق على الخصم، غير أن ميزة هذا المشروع أنه كان باهظ التكاليف جداً «حوالي ثلاثة آلاف بليون دولار». وإذا كانت أصوات كثيرة قد ارتفعت في أميركا تناقش جدوى هذا المشروع، وتتساءل عما إذا كان الاقتصاد الأميركي قادراً على تحمل أعبائه، فإن انعكاسات طرح المشروع داخل الاتحاد السوفياتي والمعسكر الشرقي كانت أبعد أثراً وأعمق غوراً، اذ أدركت بعض القيادات أن مواجهة التحدي الجديد بالأسلوب القديم باتت مستحيلة. فالاقتصاد السوفياتي بمشاكله العديدة، عاجز عن تمويل مشروع مضاد للمشروع الأمريكي، والتكنولوجيا السوفياتية مشكوك في قدرتها على إنتاج أسلحة توازي الأسلحة الأمريكية لمشروع عسكرة الفضاء، والبنية الاجتماعية داخل الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية لم تعد قادرة على تحمل حرمان طال عهده.

وكان السؤال ما العمل؟

لم يتح لأندروبوف أن يأتي بجواب على هذا السؤال لأن الأشهر القليلة التي قضاها في السلطة لم تمكنه أكثر من فتح بعض الأبواب أمام قيادات شابة دخلت الكرملين لتمسك بالسلطة بعد موت تشرنينكو، وأبرزها غورباتشوف ويالتسين.

كان استلام غورباتشوف للسلطة تسوية بين ثلاثة تيارات تجاذبت القيادة السوفياتية، التيار الأول تيار «محافظ» يبحث عن حلول لمشاكل الاتحاد السوفياتي ضمن إطار الماركسية اللينينية، ويعارض تقديم تنازلات للغرب الأطلسي، وكان عماد هذا التيار قيادات القوات المسلحة السوفياتية والأجهزة الأمنية التي تحركها المخاوف على الأمن القومي السوفياتي، بالإضافة إلى بعض القيادات الحزبية المتمسكة بالأيديولوجية الماركسية.

وكان التيار الثاني «راديكالي» ورمزه الأول بوريس يالتسين الذي اعتبر أن تبني الليبرالية والانقلاب الكامل على الماركسية وتقديم كل التنازلات المطلوبة للغرب هو الطريقة لاستجلاب مساعدات تخرج الاتحاد السوفياتي

من مازقه.

وكان غورباتشوف يحاول أن يوازن مابين التيارين، وكان تفكيره يتجه إلى أن تقديم تنازلات محدودة للغرب في الخارج مقابل مساعدات مادية تقدم له لإنقاذ الاقتصاد، وإطلاق الحريات في الداخل يشكلان معاً مدخلاً إلى الحل.

وطوال السنوات التي قضاها غورباتشوف في الكرملين حاول تطبيق سياساته، فقدم العديد من التنازلات للغرب، كان أغربها مساهمة أجهزة الاستخبارات السوفياتية في الإطاحة بالأنظمة الشيوعية في شرق أوروبا، والتوقف عن مناكفة السياسات الغربية في العالم - وخاصة في المنطقة العربية - أملاً بأن تنفذ الدول الغربية بعض وعودها له بمد يد العون الاقتصادي، غير أن حساب الحقل لم ينطبق على حساب البيدر، لأن القوى الغربية - وخاصة أميركا - كانت تعتبر أن الانفراد بالقمة العالمية يستلزم التقويض النهائي للاتحاد السوفياتي. ولذلك بقيت المساعدات الغربية محجوبة بانتظار المزيد من التنازلات، في وقت كانت فيه شعارات البيروسترويكا - اعادة البناء - والغلاسنوست - المجاهرة - قد أطلقت كل المكبوتات. فالسخط الشعبي يتعاظم، ومشاكل القوميات المقموعة تتفاقم، بعضها يطالب بالإنفصال عن الاتحاد كجمهوريات البلطيق، وبعضها يطالب بالمساواة الاقتصادية والاجتماعية كجمهوريات وسط آسيا الإسلامية، وبعضها يطالب بالعودة إلى أحضان الوطن الأم كإقليم ناغورني - كاراباخ، وبعضها يطالب بعودة السكان للأرض التي تم إجلاؤهم عنها كتتار القرم وألمان الفولغا.

وصل غورباتشوف إلى نهاية الطريق المسدودة، يوم راح يستجدي المساعدات فيواجه بمزيد من الشروط، عندها تحرك أقطاب المؤسسة العسكرية الروسية وجهاز أمن الدولة، رافضين الاستمرار بسياسة تقديم التنازلات للغرب، فنظموا انقلاباً ضد غورباتشوف. غير أن الخوف الشعبي السوفياتي من عودة النظام الشمولي القديم بقمعه وجموده أحبط الانقلاب، وكان ذلك هو الجسر الذي مشى عليه بوريس يالتسين ليمسك بالسلطة، وليعلن سقوط التجربة الشيوعية، وتفكك الاتحاد السوفياتي ولتدخل روسيا في عهده في مرحلة قيل فيها أنها تشابه وضع يالتسين الصحي: جسد حي ولكن تفتك به الأمراض وتكاد تشله عن الحركة.

خلاصات تجربة

عندما رفع غورباتشوف شعاره البيريسترويكا - إعادة البناء - انطوى هذا الشعار على تسليم بأن ماكان قائماً لم يعد يصلح للبقاء. وماكان قائماً هو نظام سياسي واقتصادي واجتماعي ظن القيمون عليه أنهم يملكون الحقيقة المطلقة، وأنهم قادرون على إعادة تشكيل حياة ملايين البشر بكل جوانبها الفكرية والمادية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وفق مقولات عقائدية آمنت بها قلة ورفضتها الكثرة، بواسطة قوة الدولة وبطش أجهزتها.

وحينما سقط هذا النظام، فإن دلالات سقوطه كانت عديدة أبرزها:

١- إن استقرار أي مجتمع ونجاحه في مواجهة التحديات التي يتعرض لها مرهون بأوسع مشاركة شعبية في صنع القرار الوطني وفي تنفيذه، وهذا لايتحقق إلا في مجتمعات تحترم حقوق الإنسان وحرياته وتصونها ،وتكون الدولة بأجهزتها أداة تنفيذية للإرادة العامة الشعبية خاضعة لها ولرقابتها، وليست سلطة تتحكم بالإرادة العامة أو تفرض سطوتها عليها.

٢- إن الحرية لاتتجزأ، إذ لاتوجد حرية سياسية بغير حرية اقتصادية واجتماعية، كما لاتكتمل حرية الوطن إلا بحرية المواطن. وسقط المنطق الذي يزعم أن اكتساب جانب من جوانب الحرية يستلزم تقييد الجوانب الأخرى أو التفريط بها، والتجربة الشيوعية خير دليل على أن التفريط بالحريات الفردية والعامة بحجة تحقيق الحرية الاجتماعية، أضاع الحرية الاجتماعية والحرية السياسية والحريات العامة معاً.

٣- إن الإيمان الديني والانتماء والقومي شكلا ومازالا محركاً أساسياً لكل التفاعلات في التاريخ، وحينما توهمت التجربة الشيوعية أنها قادرة على إلغاء دورهما وتهميش تأثيرهما كان ذلك عاملاً أساسياً في



انهيارها. لقد عرف التاريخ دولاً عدة ضمت قوميات متعددة، وكان نجاح هذه الدول المتعددة القوميات مرهوناً بصيغ تجعل من الإطار المشترك إغناء لتجربة كل قومية مشاركة فيه، كما كان انهيار هذه الدول يصبح حتمياً حينما تشعر هذه القوميات بأن الإطار المشترك بات عبئاً عليها، أو سبيلاً لتتحكم فيه قومية بسائر القوميات.

٤- لقد كانت التجربة الشيوعية سباقة في صياغة تجربة اقتصادية يكون للدولة دور قيادي في تخطيط وإدارة النشاط الاقتصادي والاجتماعي فيها، ولكن العثرات التي واجهت تلك التجربة تمثلت في أنها عجزت عن التوفيق مابين مستلزمات توجيه النشاط الاقتصادي، بما يحقق النمو والعدالة الاجتماعية لكل فئات المجتمع، ومابين ترك حيز للمبادرة الفردية لكي تنشط وتتحرك.

إن سقوط التجربة الشيوعية ليس سقوطاً لفكرة اضطلاع الدولة بدور قيادي في المجال الاقتصادي، كما يسعى إلى ترويج ذلك الفكر السياسي الأمريكي، ولكنه سقوط لفكرة احتكار الدولة للنشاط الاقتصادي، وتسليم مقاليده لبيروقراطية فاسدة بعيداً عن رقابة المؤسسات الشعبية ومحاسبتها.

٥-إن سقوط التجربة الشيوعية السوفياتية هو سقوط لفكرة المجتمع المغلق الذي يقيد فيه حق المعرفة وحرية الفكر. والبديل عن المجتمع المغلق ليس بالقطع المجتمع المستباح، الذي تروج له فكرة العولمة والذي نشهد نموذجاً عنه في روسيا، اليوم، بل إن البديل الحقيقي للمجتمع المغلق هو المجتمع المفتوح الذي يدير حواراً مع العالم وقواه وتياراته، استناداً إلى مقومات شخصيته القومية، وقيمها ومفاهيمها واستناداً إلى قوته الذاتية.

ويبقى الدرس الأهم من سقوط التجربة الشيوعية هو أن الاقتداء بها، ولو تحت رايات مختلفة ونظريات أخرى، سوف يواجه نفس المصير لأنه يمكث في الأرض فقط ماينفع الناس ■

هوامش:

(١) قبل الحرب تعرض الجيش الأحمر إلى حملة تصفية واسعة سلبته كثيراً من ضباطه وكوادره، ففي عام ١٩٣٧م شك ستالين بأن قيادة الجيش السوفياتي تحيك مؤامرة لقلب نظام الحكم. ووفق النهج الستاليني نظمت حملة تصفيات شملت ٣٠ الف ضابط من مختلف الرتب منهم ثلاثة برتبة ماريشال أبرزهم الماريشال توخاتشيفسكي أحد ألمع القيادات العسكرية الروسية الذي أعدم مع زوجته واثنان من أشقائه بالإضافة إلى إعدام ثلاثة عشر ضابطاً برتبة فريق أول وسبعة وخمسين ضابطاً برتبة فريق، ومئة وعشرة ضباط برتبة لواء، ومئتين وعشرين ضابطاً برتبة عميد أي مايوازي ٩٠٪ من قيادة الجيش الأحمر، كما قتل أو نفي ٨٠٪ ممن هم برتبة عقيد. ولقد كان من نتيجة حملة التصفيات هذه أن عجز الجيش الأحمر في بدايات الغزو عن الصمود أمام الغزو النازي، وتكبّد خسائر فادحة.



احترام الآخرين



عبدالعزيز الثنيان

أمضيت زهرة العمر في خدمة التعليم، فقد تدرجت في العمل التعليمي بدءاً بالتدريس في متوسطة ابن خلدون بمدينة الرياض، ثم في جهاز الوزارة مابين العمل الإداري ثم العمل التربوي، وبعد ذلك مارست القيادة الإدارية التربوية.

وقد تعلمت أشياء كثيرة وعرفت أموراً متنوعة. ومن أهم ماتعلمته احترام المرؤوسين والمراجعين والصدق معهم، إن هذا من أهم الأمور التي تعلمتها في وزارة المعارف. فالموظفين مهما كانت درجاتهم يكمل بعضهم بعضاً، ولايمكن للمركبة أن تنطلق بدون انسجام ووئام بين مختلف العاملين.

إن تقدير الموظفين واحترامهم والإشادة بانجازاتهم تجعلهم يتفانون في العمل وتدفعهم للمزيد من البذل والعطاء، إنهم بحاجة للبسمة ولنظرة الود والتقدير.

وكم دفعت كلمات إطراء موجزة، العمل وضاعفت الأداء وأسهرت الموظفين للإنجاز والمتابعة، وجعلت هذا وذاك يبادلك الآراء ويصدقك القول.

وكم عطل العمل وأخر المعاملات ناسخ آلة وجد من مرؤوسيه الإعراض والصدود، وكم أربك المسؤولين وأحرج القياديين مسؤول الملفات وموظف الاتصالات، حين رأهم يتجاهلونه ويزدرونه، إن هؤلاء أركان مهمة في كل وزارة، وأساس في كل دائرة فلهم الحظ من الرعاية والعناية، وإن الاعتراف بالخطأ والاعتذار من هذا الموظف وذاك المراجع من الأمور التي يجب أن يتصف بها المسؤول فهي الشجاعة، وهي عنوان قوة الشخصية.

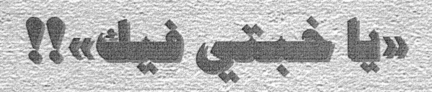
وإن احترام وتقدير الجمهور الذي يراجعك وينشد قضاء مصلحته أمر ضروري حتى ولو لم تستجب لمراده، فرضى الناس غاية لاتدرك، لكن المهم رضا الغالبية، والأمور تقاس بالأغلب الأعم. ويدعوني هذا الأمر أن أذكر موقفاً نشرته صحيفة الشرق الأوسط الأسبوع الأول من شهر ربيع الآخر ١٤٢١هـ عن رئيس وزراء بريطانيا توني بلير، الذي اعتذر من الشعب البريطاني فزاد تقديره وخرج من الإحراج بتعاطف من الجمهور، فقد نادى وخطب وأعلن أن مسؤولية البيت جسيمة وأن الآباء والأمهات يتحملون الوزر في ترك أبنائهم يمرحون ويسرحون ويتجاوزون ويشذون ويحتسون الخمرة بنَهم، ويفقدون عقلوهم فتصدر منهم التجاوزات والإساءة وبعدً هذا الخطاب فوجئ المجتمع البريطاني بابن رئيس الوزراء توني بلير يخرج مخموراً يترنح، وتمسك به الشرطة، ويتصلون بوالده، فقد كان الفتى عمره ستة عشر عاماً، ويصاب الأب بالحرج فقبل يومين كان يطل على شاشة التلفاز يعظ وينصح واليوم يصاب بولده فهل ياترى سيخفي الأمر ويتصل بالشرطة، وتُحَوَّر المحاضر. وكيف يتأتى له ذلك والإعلام يترقب ويراقب وكان الرهان والتكهنات، ولكن الرجل احترم الأمة واحترم رجال الأمن واحترم أعوانه ومساعديه وخرج على الملأ يُقر ويعترف ويعتذر عن قصوره وتجاوزاته فزادت شعبيته وعظم في عيون الناس.

وهكذا فالحياة مدرسة والاعتراف بالخطأ شجاعة واحترام الآخرين منهج يجب اتباعه. ■



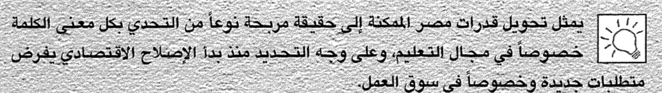
- ١٥٪ من دخل العائلة المصرية ينفق على الدروس الخصوصية.
- النظام التعليمي يقع تحت مؤثرات لا تمت لسوق العمل بصلة!
- في منتصف التسعينيات بدأت الحكومة تفكر في تكييف التعليم لاحتياجات الاقتصاد.
- ١٣٪ من الأطفال لا يدخلون المدرسة!!

فيما تحاول الحكومة إصلاح الأوضاع.. التعليم في مصر:



«يا خبتي فيك»!!

المصدر: صحيفة فايننشيال تايمز
١٠ مايو ٢٠٠٠
الكاتب : مارك هباند
ترجمة وتحرير: المعرفة



يمثل تحويل قدرات مصر الممكنة إلى حقيقة مربحة نوعاً من التحدي بكل معنى الكلمة خصوصاً في مجال التعليم، وعلى وجه التحديد منذ بدأ الإصلاح الاقتصادي يفرض متطلبات جديدة وخصوصاً في سوق العمل.

وعلى الرغم من إنفاق الحكومة المصرية عشرة بلايين جنيه مصري، أي ما يوازي ٢,٩ بليون دولار أمريكي، على بناء عشرة آلاف مدرسة جديدة منذ عام ١٩٨٦م، ومضاعفة رواتب المدرسين ليصبح راتب أحدهم نحو خمسمائة جنيه شهرياً (أي ما يوازي ١٤٧ دولاراً أمريكياً) - وهو مبلغ هزيل رغم ذلك - خلال السنوات الست الماضية، إلا أن الإسهام الملموس الذي حققته هذه التحسينات مازال أبعد من أن يدرك، بل يصعب الشعور به ورؤيته.

وقد أوضحت مجموعة من الدراسات أن النمو في إجمالي الناتج المحلي يجب أن يزداد كنتيجة مباشرة لزيادة طول الفترة الزمنية التي يقضيها المصريون في المدرسة، وذلك على عكس ما يحدث مع اقتصاديات مشابهة في أنحاء العالم.

ويرى محمود الفاضل - أستاذ الاقتصاد بجامعة القاهرة - أنه مازالت هناك حلقات مفقودة في الترابط القائم داخل الاقتصاد والمجتمع المصري بوجه عام.

والواقع أنه لا يوجد اتصال حقيقي فعلي بين النظام التعليمي من جهة، والقطاع التجاري والصناعي من جهة أخرى، خصوصاً فيما يتعلق بالبحث والتطوير.

أما بالنسبة للحكومة، فالاهتمام بالتعليم برز نتيجة إدراكها في التسعينيات أن النظام التعليمي كان واقعاً تحت مؤثرات لاتمت لسوق العمل بصلة.

ومنذ شرعت الحكومة في إجراء إصلاح اقتصادي صريح ومباشر في منتصف التسعينيات بدأت تفكر في كيفية تكييف التعليم وفق احتياجات الاقتصاد، الذي يتغير ببطء.

يقول د. حسين كمال بهاء الدين - وزير التعليم المصري المتفائل - إن «القطاع الخاص مطالب بأن يخبرني باحتياجاته، فالقطاع الخاص هو المستخدم النهائي لبضاعتي وأعني بها الخريجين، ويتوجب على المنتج أن يستمع لمستهلكيه».

وفي ظل التحول إلى السوق الحر يجب أن يقتفي النظام التعليمي أثر هذا المجال ويتحمل مسؤولياته الملقاة على عاتقه في هذه المرحلة».

ويضيف دكتور بهاء الدين أنه «لو قدر أن يكون للحكومة وظيفة أو مهمة واحدة فقط في القرن الواحد والعشرين، فستكون متمثلة في التعليم. فنحن نتجه صوب إقامة مجتمع أساسه المعرفة. لكن أدنى متطلبات هذا الموضوع تتمثل في توفير تعليم ولو من الدرجة الثالثة».

وقد كان برنامج بناء المدارس أحد ثمار هذا الإدراك، حيث شن الوزير حملة تدعو شركات القطاع الخاص «لتبني مدرسة»، بحيث تصبح كل شركة مسؤولة عن تقديم المنح التي توفر مورداً مادياً للمدرسة.

وقد تم تبني ثلاثين مدرسة حتى الآن بهذه الطريقة. في الوقت نفسه يذكر الوزير بهاء الدين أن ٩١,٥٪ من المدارس الآن لديها أجهزة الحاسب الآلي (الكمبيوتر)، وأن ٥١٦ ألف طالب تم تدريبهم على وسائل المعرفة المتعددة (الملتيميديا) منذ عام ١٩٩٦.

وعلى الرغم من كل هذه الجهود، أظهر أحدث تقرير للتنمية البشرية في مصر - الذي نشر في عام ١٩٩٨- أن ١٠٪ من الأطفال ممن في سن تتراوح ما بين السادسة والحادية عشرة غير ملتحقين بالمدرسة، بينما ترتفع هذه النسبة في المناطق الريفية إلى ١٧٪ من مجموع الأطفال في سن المدرسة.

ويلقي الآباء وأولياء الأمور بالسبب على ارتفاع تكلفة التعليم التي تعتبر السبب الرئيس لانتشار الاقتراض بين الأسر الفقيرة، حسبما جاء في دراسة نشرت العام الماضي.

وفي الوقت الذي لا يشكو النظام التعليمي نقصاً مميزاً في الموارد قياساً على دول مناظرة، تظهر الدراسات الأكاديمية نقصاً في التفكير الاستراتيجي الهادف إلى مخاطبة القضايا ذات العلاقة الملحة، كقضايا الفقر والأمية والسخط الاجتماعي الناجم عن سنوات من الحرمان.

وتظهر دراسة أعدها منتدى البحث الاقتصادي، الذي

• الفقراء يتلقون سنوات تعليم أقل من الموسرين.

• متوسط الإنفاق على الطالب الجامعي يصل إلى ١٦ ضعف ما ينفق على التعليم العام!

• التعليم المصري يعتمد على الحفظ والاستظهار دون فهم!



- **هناك شعور بخيبة الأمل لرداءة نوعية التعليم.**
- **معدل التسرب من التعليم مرتفع بين جميع الطبقات الاجتماعية.**

يتخذ القاهرة مقراً له، أن الفقراء يتلقون سنوات تعليم أقل من الموسرين أو الأغنياء بنسبة ٢,٦٪ من مجموع السنوات.

وعلى الرغم من ارتفاع الإنفاق في قطاع التعليم، إلا أن هناك انخفاضاً بالمعنى الفعلي حدث في نصيب الطالب الدراسي بنسبة ٢٠٪ في الفترة ما بين عام ١٩٨١ إلى ١٩٩٥م، بينما ارتفع الإنفاق على طلاب الجامعة بنسبة ٧٠٪ في الفترة نفسها حسبما أظهرت دراسة المنتدى.

وتذكر هبة هندوسا – المدير العام لمنتدى البحث الاقتصادي – أن «المنطقة بأسرها تتميز بتدني الأداء في التعليم، وقد أدت مصر هذه المهمة على نحو متوسط أو معتدل، وذلك يعود على وجه الخصوص إلى ما لديها من إرث تراكمي ضخم من النساء الأميات. علاوة على ذلك يتوجب على مصر أن تعيد تدريب المعلمين ليواكبوا متغيرات العصر العلمي الحديث».

ويتركز الانتقاد على إهمال التعليم في مستوى التمهيدي والصغار إلى حد تهميش هذه المرحلة لصالح التعليم الجامعي حيث يستهلك الأخير نحو ٤٨٪ من ميزانية التعليم، بل أصبح متاحاً بشكل ظاهر للقادرين. وتذكر إحدى الدراسات المتخصصة أن متوسط الإنفاق على الطالب الجامعي يصل إلى ١٦ ضعف ما ينفق على طلاب المدرسة.

وفي الوقت نفسه، نلاحظ ارتفاع معدل التسرب من التعليم بين جميع الطبقات الاجتماعية، وذلك لتزايد الشعور بخيبة الأمل لتدني ورداءة نوعية التعليم، الذي يعتمد بشدة على الحفظ والاستظهار عن ظهر قلب دون فهم.

ويشارك الآباء أبناءهم في الشعور بخيبة الأمل، وقد أدى قلقهم بخصوص النظام ككل إلى استعار سوق الدروس الخصوصية غير المشروعة قانوناً.

وقد كشفت دراسة أجرتها مؤسسة كارنيجي اندومنت الأمريكية العام الماضي أن العائلة المتوسطة أو العادية تنفق ما يصل إلى ١٥٪ من دخلها على الدروس الخصوصية، وذلك لتعويض التدريس الرديء في المدارس.

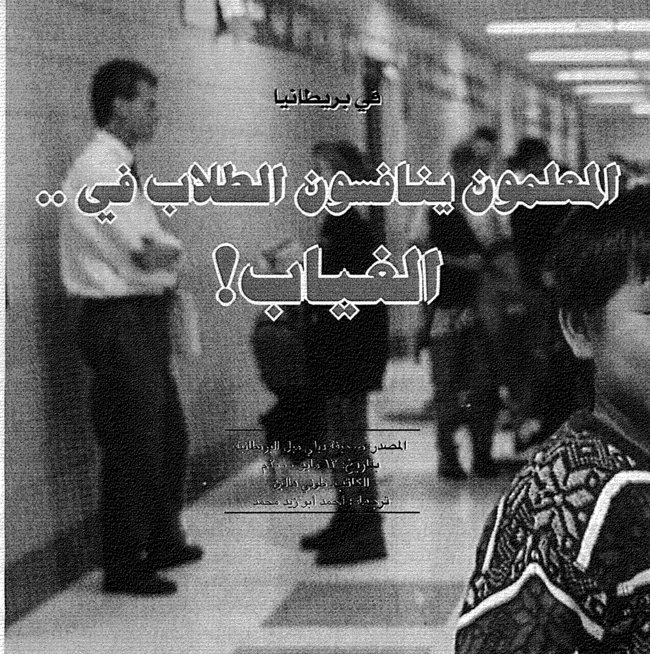
وعلى الرغم من هذا الإنفاق الضخم، مازال ٢٥٪ من الأطفال، الذين يتلقون دروساً خصوصية، يتسربون من المدرسة.

ويذكر الدكتور بهاء الدين أن «الدروس الخصوصية بدأت حينما فقد المجتمع الثقة في التعليم العام، ومهمتي الآن أن أستعيد هذه الثقة مرة أخرى». ■



- المدارس تنفق ٣٠٠ مليون جنيه استرليني لتعويض غياب المعلمين.
- الإجازات المرضية لموظفي الحكومة تكلف الدولة ٦ بليون جنيه استرليني سنوياً.
- الأمين العام لاتحاد المعلمين:

إجهاد المهنة يسبب المرض.



في بريطانيا

المعلمون ينافسون الطلاب في .. الغياب!

المصدر: صحيفة دايلي ميل البريطانية
بتاريخ: ١٢ مايو ٢٠٠٠م
الكاتب: طوني هالبن
ترجمة: أحمد أبو زيد محمد

شنت الحكومة البريطانية حملة لفرض إجراءات صارمة بشأن تفشي التغيب بين المعلمين، وذلك بعد أن تبين أن ستة معلمين من بين كل عشرة معلمين تغيبوا بداعي المرض العام الماضي.

وقد أرسل وزير التعليم البريطاني، ديفيد بلانكيت، خطابات لجميع المدارس يطالبهم بالحد من تغيب المعلمين والحد من هذا الأمر. وحدد الوزير للسلطات المحلية هدفاً يتمثل في خفض معدلات التغيب لأسباب مرضية بنسبة ٣٠٪ خلال العامين القادمين.

وكانت الأرقام الرسمية، التي تم نشرها يوم الجمعة ١٢ مايو، قد كشفت أن نحو ٢٦٥ ألف معلم تغيبوا عن الفصول العام الماضي لنحو أسبوعين تقريباً في المتوسط العام.

وقد أدى هذا إجمالاً إلى ضياع ما يوازي ٢,٥ مليون يوم من خلال تمتع المعلمين بإذن أو إجازة مرضية في عام ١٩٩٩م، وأدى ذلك بدوره إلى إنفاق المدارس ما يقدر بثلاثمائة مليون جنيه استرليني لتوفير البديل اللازم لتغطية فترة تغيب المدرسين.

جدير بالذكر أن نصف حالات تغيب المعلمين تقريباً كانت لفترة تزيد عن شهر، وهو ما شكل إجمالاً نحو ١,١ مليون يوم إجازة مرضية. وهذه هي المرة الأولى التي يتم فيها حصر عدد إجازات المعلمين المرضية بهذه الطريقة على مستوى الدولة.

وقد تم يوم الجمعة ١٢ مايو، إرسال الإرشادات أو التوجيهات الصحية المهنية الجديدة للنظار والسلطات المحلية، وذلك للاسترشاد بها في تقييم وتقدير مدى القدرة على ممارسة التدريس لدى طاقم المدرسين. وعلى الرغم من ذلك، أشار نيجل دي جروشي، الأمين العام للاتحاد القومي للمعلمين ونقابة المعلمات، إلى أن الأرقام المعلنة عن غياب المعلمين المرضى تعتبر دليلاً صارخاً على التوتر والضغط وعبء العمل الذي يعيش في ظله المعلمون.

وأضاف دي جروشي قائلاً: «على الحكومة بدلاً من أن تلوّح بالعصى الغليظة، أن تدرس المشكلات الخاصة بعبء العمل الزائد، والضغط الذي يعاني منه المدرسون في تعاملهم مع طلاب عنيفين ومزعجين وفوضويين».

ويشير دوج ماك أفوي، الأمين العام للنقابة القومية للمعلمين، إلى أن فترة المرض الطويلة التي بلغت ١,١ مليون يوم قد تم اعتمادها كلية بواسطة أطباء.

ويضيف ماك أفوي بأن «الطلاب يجلبون معهم إلى المدرسة قدراً كبيراً من الأمراض المختلفة، مما يجعل المعلمين عرضة للإصابة بهذه الأمراض. علاوة على ذلك، أصبحت مهنة التدريس مُجهدة بشكل متزايد، ويضيف الإرهاق في حد ذاته لسهولة تعرض المعلمين للمرض».

وصرح المتحدث الليبرالي الديمقراطي المختص بالتعليم، فيل وليس، بأن المعلمين في حاجة للمساندة لا اللوم بشأن المرض، وفي حاجة للتشجيع بدلاً من الانتقاد، وفي حاجة لتخليصهم من عبء تعبئة النماذج المدرسية التي لا تنتهي.

وتتفاقم مشكلة التغيب في جنوب غرب إنجلترا، حيث اعترف ٦٥٪ من المعلمين بأنهم حصلوا على إذن أو إجازة مرضية.

وتصل تلك النسبة إلى ٦٣٪ في لندن، و٦٢٪ في ميدلاندس الغربية.

وتتمتع المدارس في شمال البلاد بنسبة تغيب أقل، حيث تبلغ النسبة ٥٦٪ في الشمال الغربي، ٥٧٪ في الشمال الشرقي، لكن أكثر من نصف المدرسين الحاصلين على إجازات مرضية في الشمال الشرقي يمتد غيابهم لشهر على الأقل، وهي أعلى الفترات إجمالاً في البلاد.

وتصر مسؤولة المستويات التعليمية إستيل موريس، على أن نظار المدارس وأرباب الأعمال أو أصحاب المدارس يجب أن يبذلوا جهداً أكبر لخفض معدلات الإجازات المرضية بين أعضاء هيئة التدريس.

وتضيف إستيل موريس أن «صحة معلمي البلاد لها أثر مباشر على نوعية التعليم الذي يتلقاه أطفالنا، واعتلال الصحة خبر مؤسف للمعلمين الذين يمرضون، وخبر سيء لزملائهم الذين يضطرون لقضاء مزيد من الوقت ليعدوا الترتيبات اللازمة لتغطية الفصول والحصص الفارغة، وأخيراً أمر سيِّئ للغاية بالنسبة لتعليم الأطفال».

وأخيراً، أظهر البحث الرسمي، الذي تم إجراؤه حول قضية تغيب المرضى، أن الإجازات المرضية، التي يتمتع بها العاملون في القطاع الحكومي فقط تكلف الدولة ستة بلايين جنيه استرليني سنوياً. ■

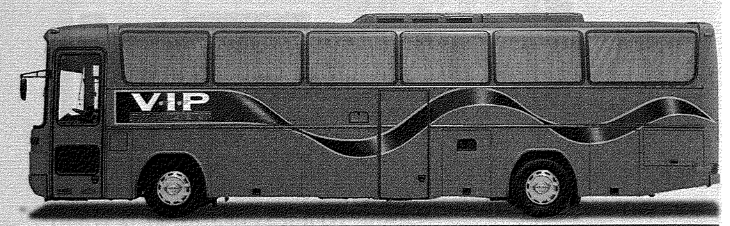
• ٢,٥ مليون يوم إجازات للمعلمين.

• دعوة بريطانية للحد من تمارض المعلمين.

• ٦٠٪ من المعلمين يتغيبون بداعي المرض.

الرياض البحرين

الرياض الخبر



تنعَّم بالرفاهية



مقاعد الدرجة الأولى
في متناول الجميع

- سافر معنا وتمتع بجو عائلي فريد.
- استعمل حاسبك الشخصي المحمول وهاتفك الجوال بلا قيود.
- استمتع خلال الرحلة بالوجبة والمرطبات والصحف اليومية لتشعر كأنك في بيتك.

للحجز المسبق من **الرياض**: فندق قصر العليا.
من **الخبر**: فندق المنتزه.
من **البحرين**: شركة النقل السعودية البحرينية

مع حافلات الخدمة المميزة الكل يحصل على خدمة الدرجة الأولى



احجز تذكرتك وانطلق من فندق
درجـة أولـى

الرحلة	اليـــوم	الـدرجـة	تذكرة اتجاه واحد	تذكرة ذهاب وعودة
الرياض-الخبر-الرياض	يومياً	الأولى	٩٠ريال	١٦٠ريال
الرياض-البحرين*	الأربعاء	الأولى	١٥٠ريال	٢٢٥ريال
البحرين-الرياض*	الجمعة	الأولى	١٥٠ريال	٢٢٥ريال

* عن طريق الخبر

- الأسعار والمواعيد قابلة للتغيير

فندق المنتزه
Park Hotel
الخبر ٨٩٥٠٠٠٥



فنـــدق قصر العليـــا
OLAYA PALACE HOTEL
الرياض ٤٦٢٥٠٠٠

النقل الجماعي SAPTCO

لمزيد من المعلومات اتصل مجاناً على الرقم ٨٠٠ - ١٢٤ ٩٩٩٩



شركة النقل السعودية البحرينية
Saudi Bahraini Transport Co.
الخبر: ٨٩٤٩٦٨٧
البحرين: ٢٦٣٢٤٤



101



رئيس التحرير

رأسمال الشيوعية

«أشباح موسكو»

ما إن دخلت مطار موسكو حتى انتابتني وحشة، لا أدري هل هي وحشة من أشباح الشيوعية التي كنت أتوهمها في كل زاوية ولبة باهتة في المطار، أم هي وحشة من الوجوه الروسية التي لم أكن أشعر تجاهها بأي ألفة بشرية؟

لا أدري.. ومازلت لا أدري هل كان خوفي في موسكو من الشيوعية نفسها، أم من البشر الروسيين الذين كان يصورهم لنا الإعلام الأمريكي في أفلامه، أيام الإعلام الحار للحرب البارده، على أنهم كائنات غير بشرية، خالية من العواطف والمشاعر التي يحملها الإنسان الأمريكي، وبالذات المحارب الأمريكي النبيل!

في الطريق من المطار إلى وسط موسكو كانت الوحشة تخفّ شيئاً فشيئاً، ليس لأني بدأت أستأنس الجنس الروسي، ولكن لأني كنت أرى بين شارع وآخر مطعماً من مطاعم ماكدونالدز أو بيتزاهت، فأشعر بألفة غريبة نحوها وكأنها مطاعم «مثلوثة»!

قال لي صاحبي: يجب أن تأخذ حذرك من المشي ليلاً لوحدك، فجرائم السرقات والقتل في موسكو تزداد كلما إزداد عدد فروع ماكدونالدز وبيتزاهت!

في أيام الشيوعية لم يكن ليجرؤ على السرقة أو القتل إلا عتاة المجرمين، أما الآن فالهواة أكثر من العتاة، ولم يكن يردعهم حينذاك وازع أخلاقي ولكن صرامة النظام والأحكام، فالإعدام للسارق أو القاتل كان أسهل من كتابة الحكم والنطق به!

ثم أشار صاحبي إلى مجموعة من الفتيات الواقفات على أحد الأرصفة، فقال: هؤلاء المومسات كان مصيرهن سيكون الإعدام لو أنهن زاولن مهنة البغاء أيام الشيوعية كما يزاولنه الآن.

في جامعة موسكو، كانت الشيوعية لم تخرج منها، كما أنه يبدو كأن لم تدخلها أصلاً، فالصرامة والعراقة والوفر المعلوماتي والكنز الوثائقي والعلماء المعلمون، كان كل ذلك يشي بإمبراطورية القياصرة. كانت الجامعة العريقة وعمرها أكثر من ثلاثة قرون - تبدو وكأنها لم تعلم بمجيء الشيوعية.. وذهابها!

إذا كان للشيوعيين أن يفخروا بشيء فليفخروا بهذا، فهذا هو رأسمال الشيوعية الحقيقي!

من بقايا الشيوعية التي لم تتآكل أن الدخول إلى ضريح لينين كان مجاناً، وكنت أظن أن الرأسمالية ستفعل فعلتها كما في الغرب، حيث يعمدون إلى الشجرة التي جلس تحتها يوماً من الأيام شكسبير وبصق بجانب جذعها ثم مضى في سبيله، فيضعون بجانبها «شباك تذاكر» ثم يدرجونها في الدليل السياحي!

* *

في اليوم التالي زال عني الكثير من الوحشة، ولكن أيضاً زال عني الكثير من الدهشة التي كنت أمنّي نفسي بها هناك، فموسكو توشك أن تكون امرأة غربية تعمل نهاراً كالرجل.. وتتعرى ليلاً للرجل.. وتلعن الرجل الذي سلبها بين الليل والنهار!

لكنني علمت أنهم لم يعمدوا إلى ذلك لأن هناك معاملة تدور حول إحراق جسد لينين الهالك، ووضع رماد جسده في زجاجة كما فُعل بجسد ستالين قبله.

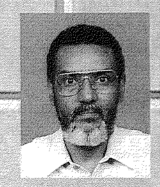
* *

في مطار موسكو جلس إلى جانبي رجل عربي مكتئب الوجه، شاحب، كان يبدو أنه من الذين تورطوا في الفردوس الشيوعي، وربما سيجرب حظه في الفردوس الرأسمالي!

قبل أن يقوم إلى طائرته المتجهة غرباً، كدت أن أقول له: إن لينين قد يُحرق قريباً، فلماذا لا يجرب حظه في أن يحترق معه؟! ■



ما هو العلم؟ ما هو الدين؟

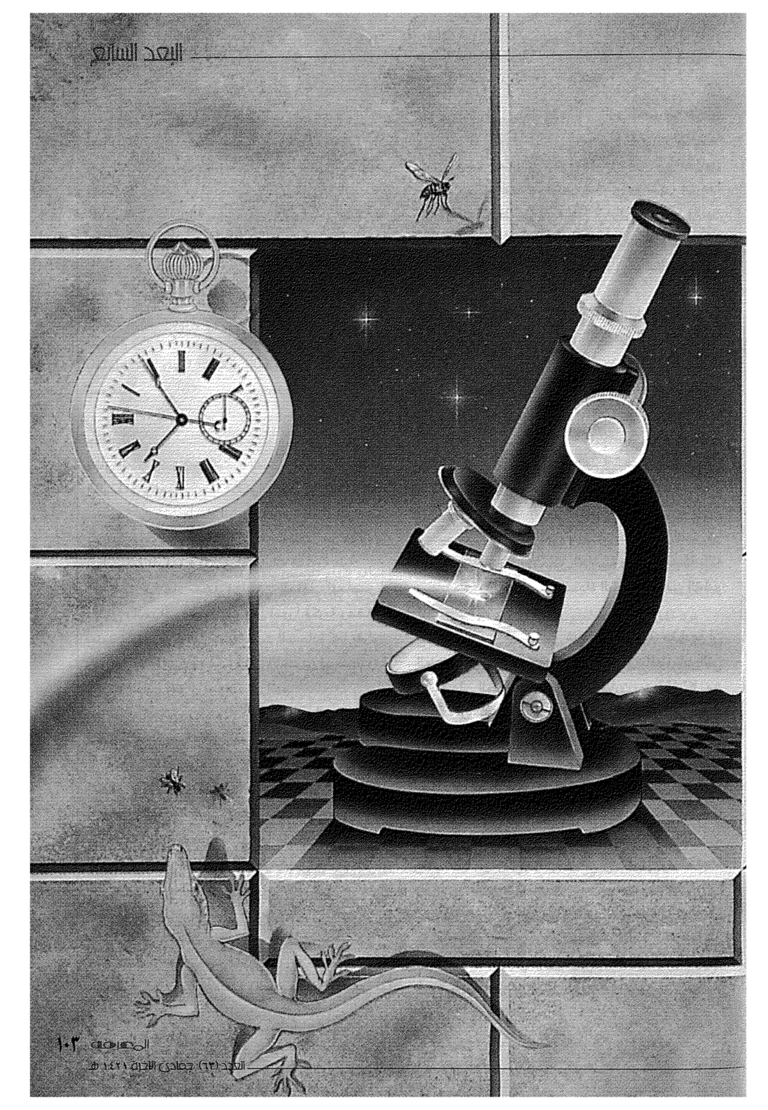


محجوب عبيد طه*
الرياض

تناقش هذه المقالة طبيعة كل من العلم والدين، وتبين الفهم السليم للعلاقة بينهما. وفي غضون ذلك تشير إلى عدد من المفاهيم الخاطئة فتصححها وإلى محاولات بعض الملاحدة للهجوم على الدين من منطلق العلم الطبيعي فتفندها.

---

* أستاذ الفيزياء بجامعة الملك سعود.



أبادر فأوضح أن ما أعنيه بالدين هو عقيدة الإيمان بوجود خالق مدبر وما يترتب عليها من نهج في الفكر وفي الحياة. وما أعنيه بالعلم هو العلم الطبيعي الأساسي، وهو معرفة حصّلها الإنسان من التجارب العملية ومن ملاحظة سلوك الموجودات وتأمل التأثيرات بينها.

ثم أشير إلى أن موضوع العلاقة بين العلم والدين أصبح من موضوعات الفكر المعاصر المهمة، يتناوله المحللون في الكتب والصحف ويناقشونه في وسائل الإعلام كافة. كثير من المثقفين يتابعون هذا الحوار باهتمام كبير. ولهذا الاهتمام بالعلاقة بين العلم والدين ما يسوغه.

أولاً: التطور الكبير الذي حدث في العلم الطبيعي جعله يقترب من قضايا كانت تعتبر إلى عهد قريب خارج نطاق العلم، وكان أهل البحث العلمي يتركونها لأصحاب الفلسفات والعقائد. هذا الاقتراب أدى إلى اهتمام عدد من المفكرين- من علماء الطبيعة ومن علماء الدراسات الدينية- بموضوع العلم والإيمان. وظهر بين هؤلاء من أدرك جدية الموضوع فقصر اهتماماته الفكرية عليه.

ثانياً: ما عاد ممكناً، في ظني، للمثقف المعاصر أن يكتفي بأنصاف الحلول، فيدس أموراً فكرية وعقائدية يعتمد عليها تحركه في الحياة تحت السجادة كما يقولون. وهو، إن يفعل، يقدم دعوة إلى الآخرين ليصقلوا له كينونته الذاتية وفق رؤاهم وتصوراتهم.

ثالثاً: الجمع بين معرفة كل من العلم والدين بقدر من العمق كاف للمساهمة في نقاش العلاقة بينهما لا يتيسر إلا لقلة من الناس. ولذلك فإن هذه القلة تؤثر على عامة المثقفين بأكثر من وزنها في أي من مجالي العلم والدين. أدى هذا الاعتبار إلى ولوج مفكرين آخرين للحلبة، ليدفعوا بمساهمات مختلفة ويقللوا من غلواء هذا التأثير، الذي كثيراً ما تكون خلفياته فلسفات وعقائد سابقة للكتابات والأطروحات المقدمة في وسائل الإعلام. بسبب هذا نجد المجال في اتساع من حيث الرغبة في الكتابة والمشاركة في النقاش.

ولاشك أن هناك مسوغات أخرى للاهتمام المعاصر بموضوع العلاقة بين العلم والدين. ولكني أكتفي بما ذكرت لأنتقل إلى مدخل هذه المقالة التي تستهدف الإجابة عن السؤالين المطروحين في العنوان. وقد رأيت أن أكتب حول موضوع ماهية العلم وماهية الدين، لما لمسته من سوء فهم عند عدد قليل ممن كتبوا وتحدثوا في هذا الشأن. في المدخل أحدد مفاهيم خاطئة عن العلم والدين تكاد تكون مشتركة بين المؤلفات التي وقفنا عليها.

- مفاهيم خاطئة:

وأصوغها بتقديم بعض الدعاوى الفاسدة والردود الخاطئة التي تتصدى لها (نرجو من القارئ مراعاة الأسلوب).

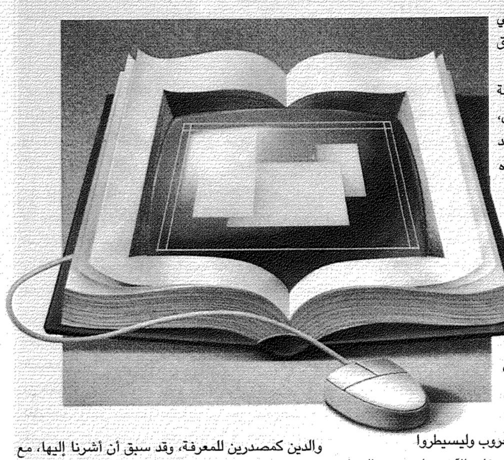
أ- «كل من العلم والدين يقدم لنا معلومات عن العالم الذي نعيش فيه. ما أفادنا به الدين قليل، ويغلب عليه الغموض، ولا يزداد بمرور القرون. أما المعلومات التي حصلناها من العلم فقد غيرت وجه الحياة على الأرض، وأحدثت ثورة في تصورنا للكون من حولنا، وعطاء العلم يزداد بمعدلات رهيبة بمرور السنوات».

يجيب بعض المؤمنين بأن ما تعلمناه من الدين هو التوحيد والمعاملات والأخلاق الفاضلة ومعرفة الصلة بالله ورعايتها، وهذا هو عصب الحياة الطيبة وأهم من التطور المادي.

هذا الحوار مبني على فرضية خاطئة، مفادها أن العلم والدين يتنافسان في إمداد الإنسان بالمعلومات التي تعينه على الحياة، وأن علينا أن نقارن بين عطاء كل من المصدرين فنصدر حكماً باتباع أهل العلم أو أهل الدين، وليس الأمر كذلك.

ب- «الإيمان بوجود الخالق مبني على التسليم بوجود ظواهر لا يفسرها العلم ولا بد لحدوثها من سبب. السبب عند المؤمنين هو أن الله أحدثها بإرادته المباشرة، ولذلك فإن رقعة الإيمان تتقلص كلما تطور العلم الطبيعي، ومتى اكتملت معرفتنا ففسرنا كل الظواهر التي نشاهدها ما عادت بنا حاجة لفرضية وجود الخالق».

يرد بعض المؤمنين بأن العلم لن يستطيع الإجابة عن كل الأسئلة، بصفة خاصة تلك التي تتعلق بالحكمة في وجود المخلوقات وفي تباين أحوالها. كما أن هناك حوادث فريدة خارقة ومعجزات لا تتكرر. وكل ظاهرة لا تتكرر، لا



يمكن السيطرة عليها في المعمل وتقع خارج نطاق العلم.

هذا رد يتجاهل العلاقة السليمة بين العلم والدين، ومعرفة هذه العلاقة لابد منها في التصدي لمثل هذه الدعاوى.

جـ- «لو أن للعالم خالقاً يراقبه ويدبر أمره لوجدنا خصائصه مختلفة عما هي عليه في الواقع. كنا نجد الخير والسعادة، ولا نجد الشر والبؤس. بل إن تاريخ العالم يزخر بالطغاة الذين استغلوا الدين ليثيروا الكراهية والحروب وليسيطروا على الآخرين بتخويفهم بعذاب الآخرة إن هم خالفوا الأوامر».

يرد المؤمنون بأن الأنبياء والرسل كانوا هداة حق ودعاة خير. ولكن الإنسان لا يخلو من ضعف في السلوك والأخلاق، حتى إن بعض أتباع الرسل حرفوا أساسيات الدين وغيروا أصول الرسالات.

وهذا رد لا بأس به ولكن يلزمه أن يصاغ في ظل تصور إيماني شامل لمكانة المخلوق من الخالق وعما إذا كان بمقدوره طرح أسئلة، سواء من الواقع الراهن أو التاريخ، تستهدف إنكار حكمة الخالق وحسن تدبيره.

د-«في العلم الطبيعي يمكن أن تتغير القوانين والنظريات إذا اكتشف لها تناقض مع التجارب أو الملاحظات. بهذه الكيفية تتطور المعرفة البشرية. ولكن الدين يقدم مقولاته على أنها مطلقة، فلا يتطور، ومع ذلك نجد أصحاب العقائد الدينية يعيدون تفسير الكثير من هذه النصوص المطلقة، بحيث تتسق مع تطور العلم البشري».

أقول إن هذه هي قصة التنافس المزعوم بين العلم والدين كمصدرين للمعرفة، وقد سبق أن أشرنا إليها، مع إضافة اتهام المؤمنين بالاستفادة من العلم البشري لترميم نصوص بائدة يدعون أنها إلهية. وسنأتي على ذكر هذه القضية في نطاق توضيح العلاقة الصحيحة بين العلم والدين في ختام هذه المقالة.

ولعلي أكتفي بهذا القدر من أمثلة المفاهيم الخاطئة في هذا الموضوع وأنتقل إلى صلب هذه المقالة فأتحدث عن طبيعة كل من العلم والدين.

- طبيعة العلم:

محتوى العلم البشري هو مجموعة النظريات والقوانين والحقائق التي استنتجت من التجارب العملية والمشاهدات ومن إعمال الذهن لاكتشاف أنماط سلوك الموجودات. موضوع العلم الأساسي هو دراسة البيئة التي يجد الإنسان نفسه محصوراً فيها، وهي- في أوسع نطاق لها- كل العالم المشاهد. الموجودات في العالم هي مادة العلم المعطاه ومهمته دراسة صفات هذه الموجودات وتحليلها واكتشاف تفاعلاتها والروابط بينها.

عبر القرون أدت وسائل العلم التجريبي إلى تقدم

هائل في فهم تفاعلات المادة على المستوى النووي وعلى المستوى الذري وعلى مستوى الأرض ثم المجموعة الشمسية والمجرات. كما حدث تقدم باهر في جانب علوم الحياة، بصفة خاصة في مجال المورثات، وفي تقنية المعلومات. ولقد قاد هذا التقدم العلمي إلى تطبيقات واسعة النطاق يسرت مشاق الحياة وغيرت أنماط النشاط الإنساني.

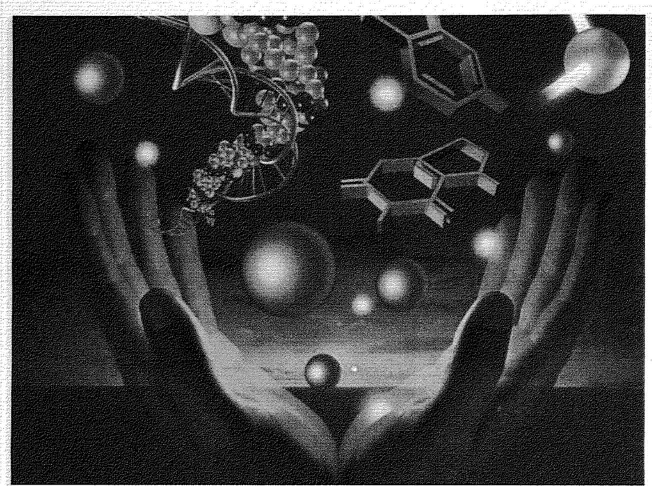
ولقد كان الإنسان، منذ بداية مسيرة العلم، يعي أن ما يحصله من المعارف بوسائل العلم التجريبي يخضع للمراجعة المستمرة وللتصحيح كلما دعا لذلك داع. وليس هذا بغريب في أي مجهود بشري. ولكن الذي يهمنا الآن هو شرح خاصية المحدودية في العلم الطبيعي. فلقد ذكرنا أن مهمته دراسة صفات الموجودات في العالم المشاهد. كل القوانين والتعميمات والنظريات تستهدف حصر هذه الصفات واستنباط الصلات والروابط بينها. وهذا يعني أن العلم البشري لا يستطيع أن ينفذ إلى خارج العالم المشاهد، وليس بمقدوره تقرير أي شيء عن أصل هذا العالم، أو عما إذا كان المشاهد هو كل الوجود أو عن طبيعة القوانين خارج العالم المشاهد.

هذه المحدودية أساسية، وللأسف يجهلها الكثيرون ممن يعملون في مجالات العلوم التجريبية، وبعض هؤلاء يستنكر القول بأن القوانين الطبيعية هي تقرير لصفات الموجودات، لظنه أن هذه القوانين تعلو وتهيمن على صفات المادة وقد يعتقد أنها تشرحها وتسوغها. والواقع أن وجود القوانين نفسه حقيقة تجريبية، أي صفة من صفات المادة. إذ ليس هنالك سبب لما نراه من انتظار في سلوك المادة عبر الزمان والمكان. بل ولا يوجد مسوغ لتوقع استمرارية هذا الانتظام سوى أنه كان موجوداً في الماضي. لذا فإن انتظام السلوك خاصية ظرفية جعلت العلم الطبيعي ممكناً، وتوقع استمراريته فرضية تجعل التنبؤ العلمي ممكناً. هذه الفرضية مما جبل عليه الأحياء، نجدها عند الحيوانات التي تتجنب مواقع الأذى، بعد التجربة، بسبب توقع استمرارية الصفات.

سقت هذا الحديث بهدف توضيح أن العلم الطبيعي لا يقوم فقط على التجربة والملاحظة، وإنما أيضاً على فرضيات ضرورية خارج نطاق التجارب. من هذه مثلاً فرضية أن القانون الذي اتفق مع التجارب التي أجريت في معامل معينة في أوقات معينة، سيظل يتفق مع كل تجربة مماثلة يمكن أن تجرى في أي مكان وزمان. هذه فرضية بأن القوانين المكتشفة في معاملنا على ظهر الأرض، تظل صحيحة على مستوى العالم المشاهد من أقصاه إلى أقصاه. رغم قوة هذه الفرضية وضرورتها للعمل العلمي إلا أنه يستحيل التأكد من صحتها تجريبياً.

هذه الفرضيات، مع إعمال الذهن البشري لتقديم تعريفات محددة للمقيسات من خواص المادة، هي التي تمكن من التعميم والتنظير والصياغة الرياضية. والتنظير لا غنى عنه، إذ هو في الحقيقة روح العمل العلمي وعليه تبنى التأملات الفكرية كما تبنى التطبيقات التقنية. غير أن بعض هذه التأملات يشطح فيخرج عن مجال العلم الطبيعي وهو العالم المشاهد. من ذلك مثلاً محاولات عدد من الفيزيائيين تطبيق القوانين الطبيعية لاستنتاج كيف ظهر العالم من العدم! وهذا أمر مستحيل لأنه يعني أن خصائص الكائنات كانت موجودة قبل وجود هذه الكائنات. فالقوانين الطبيعية ليست إلا صياغة لهذه الخصائص، كما أنه يعني أن العلم يستطيع أن يصف العدم بمعادلات وقوانين، ونحن لا نعلم للعدم متغيرات ولا نعلم قانوناً يحوله إلى وجود، ويستحيل أن يشمل العلم البشري شيئاً من ذلك في أي يوم من الأيام. في هذا المنزلق وقع للأسف عدد من كبار الفيزيائيين. خلاصة القول أن القانون يصف سلوك الكائنات وأن شمولية التنظير، مهما اتسعت، محصورة في هذا العالم ولا تعطي الفكر البشري هيمنة على الوجود.

ولعلي أضرب مثلاً بما تفضل به الفيزيائي المشهور بول ديفيز عن نشأة الكون، قال: إما أن تكون ظاهرة انبثاق الكون خارقة، وإما طبيعية. في الحالة الثانية تفسر القوانين الفيزيائية هذا الحدث، ولكن هذا يقود إلى إمكانية ظهور عدد لا نهائي من الأكوان بذات الطريقة، إذن خيارنا حدث خارق أو عدد لا نهائي من الأكوان. انتهى قوله. ورغم أن بعضنا قد يستبشر بأن سخف فكرة الأكوان لا نهائية العدد فيه تأييد لكون حدث الانبثاق خارقاً، إلا أننا نرفض أن يطبق العلم الطبيعي حيث لا يمكن تطبيقه، فنحن، كما ذكرنا، لا نستطيع معرفة نشأة الكون من



دراسة مكوناته وتطبيق نتيجة الدراسة على العدم، كما أننا لا نعلم شيئاً عن الظواهر الخارقة التي قد تكون حدثت قبل وجود العالم.

وبول ديفيز من الذين يقحمون مبدأ اللاتحددية، في النظرية الكمية، في نقاش إمكانية انبثاق الكون من العدم. وأنا أستغرب أن يذكر مبدأ اللاتحددية في هذا الشأن. مبدأ اللاتحددية يتعلق بمقدار تبعثر القيم المقيسة لمتغير حول القيمة المتوسطة، بعد تكرار القياس عدداً كبيراً من المرات في ذات الحالة الفيزيائية. يقرر مبدأ اللاتحددية بأن مضروب مقداري التبعثر لمتغيرين، في ذات الحالة، يكون أكبر من مقدار محدد، إذا حقق المتغيران شرطاً معيناً. وهذا تقرير تجريبي إحصائي، لا يحفل به المرء إلا إذا كان بصدد تحليل نتائج تجارب من هذا القليل. كيف يمكن أن يكون لهذا التقرير التجريبي شأن بتصور الكيفية التي ظهر بها الكون من العدم؟

والذين يتحدثون عن عدد لا نهائي من الأكوان كثر. وهم لا يتحدثون علماً . ذلك أن برهان وجودها مستحيل، بسبب فرضية عدم تأثيرها في عالمنا، وإلا لكانت جزءاً منه، وأخذ بعضهم بفكرة الأكوان المتعددة لأن فيها مسوغاً لمجموعة القوانين المعينة التي نجدها. يقول هؤلاء إن لكل كون قوانينه المختلفة. ولقد صادف أن العالم الذي نعيش فيه محكوم بهذه المجموعة من القوانين. والسؤال عن القوانين ليس علمياً، إذ إنه يكافئ السؤال:«لماذا نجد هذه المادة بالذات في العالم؟»، ومن الواضح أن العلم لا يستطيع الإجابة عن هذا السؤال.

خلاصة القول أن معنى العلم الطبيعي يتضمن معرفة الأسس التي بني عليها التقرير العلمي، ومعرفة حدود وظرفية تطبيقه، والتأكد من إمكانية إخضاعه للتمحيص التجريبي، الذي هو عمدة القبول في المقاولات العلمية.

- طبيعة الدين:

عبر التاريخ، وبغض النظر عن وجود العلم الطبيعي أو وجود تأثير له في حياة الناس، كانت المجتمعات البشرية مسرحاً لظهور الأفكار والفلسفات والعقائد

المختلفة. ولايزال الأمر كذلك في العصر الحالي، ذلك أن المعرفة المعاصرة لا تمنع اعتناق العقائد ولا تستطيع أن تبرهن على فسادها. وبالطبع فإن هذه العقائد متباينة، يجمع بينها أنها لا تحصر نفسها في العالم المشاهد. وأنا أستخدم كلمة الدين بمعنى الدين السماوي، بصفة عامة، وبمعنى الإسلام، إذا كنت بحاجة إلى التخصيص. أقول، وبالله التوفيق، إن أهم ما يميز الدين عن العلم أمران:

الأمر الأول: الإيمان بوجود خالق للكون، خلقه بتدبيره وإرادته لحكمة يعلمها، هذا الخالق هو الله الذي لا يسأل عما يفعل، وقدرته وكافة صفاته مطلقة.

الأمر الثاني: الإيمان بأن أهم مصدر للمعرفة هو الوحي السماوي، أي ما أوحاه الله لرسله ليبلغوه للناس، والوحي هو المصدر الوحيد للمعرفة اليقينية وللمعرفة بعالم الغيب، وهو الوجود غير المشاهد.

في الدين أن الله خلق العالم المشاهد، كائناته وسنن سلوكها وتفاعلاتها، وأن الله ميز الإنسان عن سائر المخلوقات بالعقل والتكليف وبقليل من العلم مكنه من السيطرة على الأرض، وأن الله أمر بتحصيل العلم وبالسير في الأرض والنظر في كيفية بداية الخلق وبالتأمل في خلق السماوات والأرض وجعل كل ذلك عبادة له متى ما اشتغل به المؤمن استجابة لأمر الله.

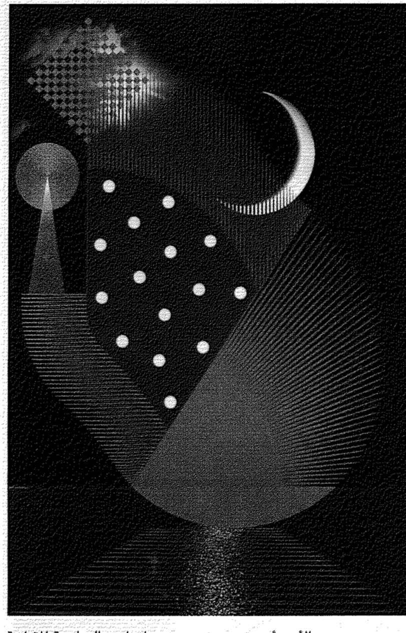
والدين يربط هذه الدنيا بالآخرة، فالدنيا دار ابتلاء واختبار، والآخر دار جزاء وقرار. وللمؤمنين في حياتهم التزامات محددة يلزمهم بها الدين، لا نتحدث عنها كما لم نتحدث عن شروط الطريقة التجريبية.

الذي يلزمنا تقريره بوضوح هو أن الدين يشمل العالم المشاهد والعالم الغيبي. لذلك، فإن الدين يقبل العلم الطبيعي كله، ويزيد عليه بالإيمان بوجود عالم غيبي لا يمكن بلوغه عن طريق العلم الطبيعي ولا يخضع للتمحيص التجريبي. والمؤمنون يعتبرون القوانين الطبيعية الجزء اليسير من سنن الله الذي اقتضت مشيئته أن تجري به الظواهر الرتيبة المتكررة في العالم المشاهد، وقد من الله علينا بمعرفته بعد بذل الجهد في البحث والتأمل. أما سنن الله التي تتحقق بها إرادته في كل الوجود، فهي أعظم ما يسعه العقل البشري المحدود.

النص الأساسي في الدين كتاب سماوي يهتدي به المؤمنون في كل شؤون الحياة. بعض آيات هذا الكتاب تتعلق بمجالات العلم الطبيعي، ويلزم تحري الأمر من الجانبين بهدف تحقيق التطابق بين العلم الصحيح والفهم الصحيح لكتاب الله. وهذا محك اختبار. وإذ إن المعرفة اليقينية عند المؤمنين هي كتاب الله، فإنهم في حال الاختلاف يعتبرون العلم يقدم تقريراً مرحلياً بما يبدو عليه الأمر حالياً، ويتوقعون أن مزيداً من التطور والنضج العلمي سيقود إلى الاتفاق بما جاء في كتاب الله. من ذلك مثلاً ظن أهل العلم في مرحلة سابقة بأن الشمس ساكنة والله يقول إنها تجري لمستقر لها. ثم علم الفلكيون في القرن العشرين أنها تجري في مدار لها في المجرة. ومما لا يكتشفه العلم الطبيعي حتى الآن الحقيقة اليقينية بأن السماوات سبع كما جاء في كتاب الله.

مسوغ الإيمان هو في الأصل تصديق الرسول ثم تثبيت ذلك بالعبادة وبالتأمل في الحياة وفي المخلوقات وفي مقاصد الوجود. يقود هذا إلى اتساق الإيمان مع الحياة بحيث يصبح يقيناً لاشك فيه. ولا يستطيع غير المؤمن أن ينكر على المؤمن شيئاً من دينه، ذلك أن الدين يشمل كل العلم الطبيعي ويضيف عليه معرفة عن الوجود يستحيل أن يقرر العلم الطبيعي بشأنها شيئاً. لو أن أصحاب فكرة الأكوان المتعددة قالوا إن هذه هي عقيدتنا وتصورنا لعالم الغيب، ما استطعنا أن نجادلهم، وإنما كان ادعاء اعتمادهم على العلم الطبيعي هو المفروض.

بقيت مسألة في غاية الأهمية تتعلق بالجهود التي يبذلها بعض ملاحدة العلماء الطبيعيين من أمثال أتكنز ودوكنز لمهاجمة الدين من موقع العلم الطبيعي. هؤلاء يجهلون أساس الدين ولا يفهمون معنى الإيمان بالخالق. عند المؤمنين أن الله خلق الكون، ولا يضيرهم أن يكون ذلك من العدم أو لا يكون، بقانون مما نعرفه من القوانين أو بكيفية أخرى نجهلها. كل ذلك لا يؤثر في الإيمان بوجود الله خالق الوجود. مثل ذلك يقال في موضوع نشأة الحياة، ويقع في نطاق العلم الطبيعي، متى ما استقر رأي أصحاب الاختصاص على قانون ظهور الحياة وتطور أنواعها، قبله المؤمنون كما قبلوا قوانين الميكانيكا



والكهرومغناطيسية؛ يجمع بينها أنها من سنن الله التي تحقق بها إرادته في خلقه، إن الاعتماد على مفاهيم ساذجة عن الدين هو سبب تخبط هؤلاء، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً.

- خاتمة:

تحدثت في الفقرتين السابقتين عن العلم والدين وشمل الحديث توضيح العلاقة بينهما . في هذه الخاتمة أعلق باختصار على ما ذكرته في الفقرة الأولى عن بعض المفاهيم الخاطئة بهدف تصحيحها في ظل الفهم السليم لعلاقة العلم بالدين.

أ- العلم الطبيعي جزء من الدين وليس منافساً له، وفي الدين إضافة إلى العلم، معرفة يقينية عن الحقائق الكبرى في الوجود، من لم يفتح لها عقله وقلبه ضل ضلالاً مبيناً.

ب- ليس صحيحاً أن الإيمان بالله مبني على الجهل بتفسير بعض الظواهر الطبيعية. تفسير الظواهر وقوف على الكيفية التي تتحقق بها إرادة الله في بعض ما نشاهده. المؤمنون يعرفون كيف ينزل المطر وفق القوانين الطبيعية ومع ذلك يشكرون الله عليه كلما هطل.

جـ- يقتضي الإيمان بالله أنه لا يسأل عن مشيئته وتدبيره، ولا يقضى عليه في شأن من شؤونه. وليس للإنسان علم إلا ما علمه الله، وهو عاجز عن الإحاطة بما لم يظهره الله عليه. ادعاء الندية جهل بتفرد الله ووحدانيته ويناقض عقيدة الإيمان.

د- يسعد المؤمنون بتطور العلم التجريبي ويشاركون فيه. وقد يعينهم على فهم بعض آيات كتاب الله التي لم يحسنوا فهمها. من ذلك مثلاً اجتهاد بعضهم بأن آية ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾، تشير إلى ظاهرة التمدد الكوني الذي اكتشف في القرن العشرين. فليس الأمر أمر ترميم نصوص. وإنما هو الدراسة المقارنة المستمرة بين كتاب الله وخلق الله، طلباً لمزيد الفهم وتثبيتاً للإيمان.

وأختم هذه المقالة بتقرير أن كل زيادة على العلم الطبيعي عقيدة. أكثر هذه العقائد شراذم من تصورات لأمور لا يحفل بها الناس ولا تمس حياتهم. الدين عقيدة شاملة للوجود وتصور واضح للحقائق الكبرى فيه. والتجربة الدينية في حياة المؤمن عميقة ومؤثرة وتمس كل جوانب الحياة. والذي يعيش تجربة الإيمان يعجب لمن يعيش بدونها قال تعالى ﴿...ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور﴾. ■



العادات العشر للشخصية الناجحة
(الحلقة الثانية عشرة)

هل تديره أم يديرك؟

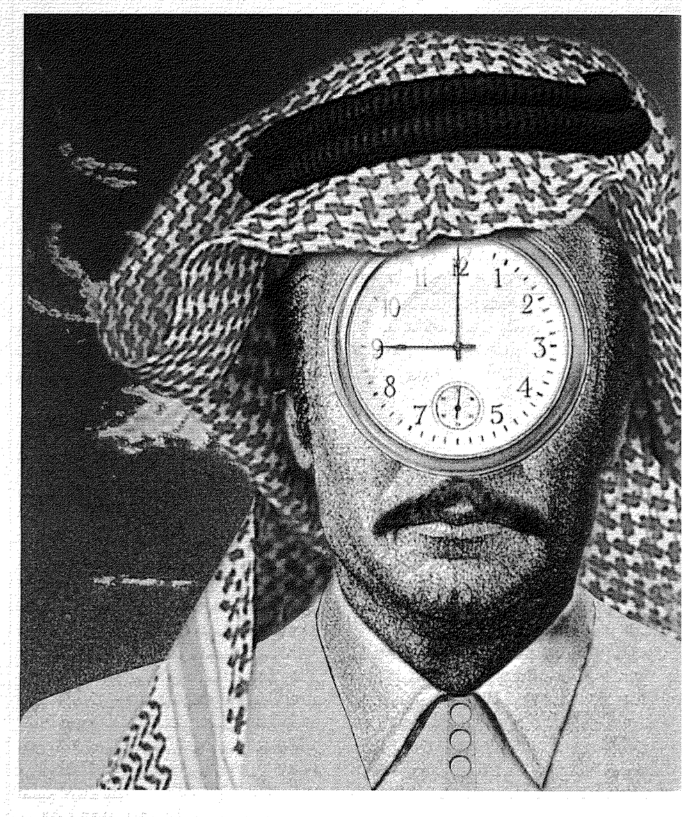
وقتك ... حياتك



إبراهيم القعيد *
الرياض

إدارة الوقت هي عملية الاستفادة من الوقت المتاح في حياتنا، ومن مواهبنا الشخصية لتحقيق الأهداف المهمة التي نسعى إليها، مع المحافظة على تحقيق التوازن بين متطلبات العمل والحياة الخاصة وبين حاجات الجسد والروح والعقل. إدارة الوقت إذا هي:

*استاذ اللغة الإنجليزية والترجمة بجامعة الملك سعود، سابقاً.



عملية: لأنها مستمرة ودائمة ولابد من ممارستها بشكل يومي.

الوقت المتاح: لأن هناك أوقاتاً في حياة الإنسان لايمكن تنظيمها ومن ثم لابد أن نعرف أن الوقت نوعان:

نوع يمكن تنظيمه ونوع لايمكن تنظيمه. والنوع الذي يمكن تنظيمه أيضاً نوعان: نوع وأنت في كامل نشاطك وحضورك الذهني، ونوع وأنت في أقل حالات التركيز. فإذا أردت أن تنظم وقتك ابحث عن الوقت الذي يمكن

تنظيمه وتَعرُّفْ على الجزء الذي تكون فيه في كامل نشاطك فهذا أفضل أوقات العطاء.

مواهبنا الشخصية: لأن استغلال الوقت يعتمد على مالدينا من إمكانات فكلما كانت إمكاناتك جيدة ومطورة وفاعلة أمكنك الاستفادة من الوقت أكثر من غيرك.

الأهداف المهمة: وذلك لأن استغلال الوقت «وهو قليل ونادر» لابد أن يكون في الأمور المهمة في حياتنا وليست الأهداف التافهة أو الصغيرة.

تحقيق التوازن: لأن الأهداف والمهام والأعمال لابد أن تتوزع بالتساوي بين عملك وحياتك الخاصة ولايطغى أحدهما على الآخر.

الحاجات: أي أن هناك حاجات أساسية لابد أن يستفاد من الوقت في إشباعها، وهي تنصب على بناء التوازن الشخصي في حياة الإنسان من متطلبات الروح إلى متطلبات العقل إلى متطلبات الجسد.

أنواع الوقت:

الوقت في حياتنا نوعان:

النوع الأول: وقت يصعب تنظيمه أو إدارته أو الاستفادة منه في غير ماخصص له. وهو الوقت الذي نقضيه في حاجاتنا الأساسية مثل النوم والأكل والراحة والعلاقات الأسرية والاجتماعية المهمة. وهو وقت لايمكن أن نستفيد منه كثيراً في غير ماخصص له. ولاشك أن مثل هذا الوقت على درجة من الأهمية لحفظ توازننا في الحياة، فبدون هذا الوقت لا يمكن أن نواجه تكاليف الحياة الأخرى ونباشر السعي للكسب ونحقق أهدافنا. ولكن هذا الوقت يجب أن يكون في حدوده المعقولة، فليس من الحكمة المبالغة في أوقات النوم أو الأكل أو الراحة أو تضييع الأوقات بينها.

النوع الثاني: وقت يمكن تنظيمه وإدارته. ونجد جزءاً من هذا الوقت في الفترة المخصصة للعمل ونجد بعضه الآخر في حياتنا الخاصة. وفي هذا النوع بالذات من الوقت يكمن التحدي الكبير الذي يواجهنا. هل نستطيع الاستفادة من هذا الوقت؟ هل نستطيع استغلاله الاستغلال الأمثل؟ لاحظ أن هذا الوقت على الرغم من قدرتنا على تنظيمه وإدارته يكون من نوعين. النوع الأول: تكون فيه في ذروة نشاطك وحيويتك مثل الساعات الأولى من بداية الدوام أو العمل وساعات النشاط الأمثل في اليوم والليلة. والنوع الثاني تكون فيه قلة نشاطك وحيويتك مثل الساعات الأخيرة من بداية الدوام أو العمل وساعات قلة النشاط والحيوية الأخرى في اليوم والليلة.

حاول التعرف على نفسك. ماهي أوقات الذروة لديك في اليوم والليلة؟
حدد في الخانة المناسبة أوقات الذروة:

الفترة الصباحية ٧ ـ ١٢	فترة مابعد الظهر ١٢ ـ ٥	الفترة المسائية ٥ ـ ١٠

كل واحد منا لديه أوقات ذروة تختلف عن غيرها، حاول التعرف على نفسك؟ هل أوقات الذروة هذه يتم توظيفها والاستفادة منها؟ هل هناك هدر في أوقات الذروة؟ كيف يمكن الاستفادة من هذه الأوقات بطريقة أفضل؟

إذا تمكنت من تحديد أوقات الذروة لديك في اليوم والليلة فهذه خطوة كبيرة. يمكنك الاستفادة المثلى من أوقات الذروة فتضع فيها الأمور التي تحتاج إلى تركيز مثل الأولويات والأمور الصعبة والأشياء الثقيلة على النفس فعند مواجهة هذه الأمور في مثل هذا الوقت سيكون لديك وقت كثير للأمور السهلة والشيقة والخفيفة على النفس. ولكن إذا بدأت بالأشياء السهلة والشيقة فإنها قد تستهلك أفضل أوقاتك ثم لايكون لديك الميل والرغبة ـ بسبب قلة النشاط وبسبب الملل ـ في عمل الأشياء المهمة والثقيلة على النفس. وفي أوقات قلة النشاط يمكنك وضع الأهداف أو الأعمال الخفيفة والشائقة والأمور التي تستمتع بعملها، فإن كونها خفيفة وممتعة يساعد على إنجازها في هذا الوقت. وينطبق هذا الأمر على المكتب والحياة الخاصة حيث يمكننا أن نحدد

أوقات الذروة ونضع فيها ماتستحق من أعمال ونحدد أوقات قلة النشاط ونضع فيها مايناسبها من أهداف أو أعمال.

مضيعات الوقت:

ذكرنا أن الوقت نوعان: نوع يصعب تنظيمه ووقت يمكن تنظيمه والاستفادة منه. وعندما نحلل الوقت الذي يصعب تنظيمه سنكتشف بأن فيه الكثير من الأوقات المهدورة. مثلاً كم يأخذ منك وقت الوجبات وخاصة الغداء والعشاء؟ وماذا تفعل بالأوقات قبل وبعد الوجبات؟ كم لديك من وقت للنوم في اليوم والليلة؟ وكيف تقضي الأوقات قبل وبعد النوم؟ وماذا تفعل بالوقت الذي يكون لديك بعد مجيئك من العمل في المساء حتى تنام؟ الواقع أن الواحد منا إذا بدأ يفكر في حياته والطريقة التي يعيش بها سيكتشف أن هناك الكثير من الأوقات التي لايستفيد منها. هل قمت بحساب هذه الأوقات؟ كم ساعة يمكن أن تأخذ من هذا الوقت في اليوم والليلة؟ وإذا أخذت هذا الوقت ماذا ستفعل به؟

حاول قدر المستطاع أن تستقطع من النوع الأول من الوقت، الذي يصعب تنظيمة وتضعه في خانة النوع الثاني من الوقت الذي يمكن تنظيمه.

الآن ماذا عن الوقت الذي يمكنك تنظيمه. كم ساعة في اليوم والليلة؟ وكم ساعة يمكنك إضافتها إليه من النوع الأول. هل فكرت يوماً من الأيام بالأشياء التي تضيع وقتك. إنها كثيرة بالتأكيد بعضها شخصي أي أنت المتسبب فيه وبعضها خارجي أي يتسبب فيه الناس والأحداث والاعتبارات من حولك.

حاول التفكير في التمرين التالي:

حدد مضيعات الوقت في العمل

	المضيعات الشخصية	المضيعات الخارجية
١	....	....
٢	....	....
٣	....	....
٤	....	....
٥	....	....
٦	....	....
٧	....	....
٨	....	....
٩	....	....
١٠	....	....

حدد مضيعات الوقت في حياتك الخاصة

	المضيعات الشخصية	المضيعات الخارجية
١	....	....
٢	....	....
٣	....	....
٤	....	....
٥	....	....
٦	....	....
٧	....	....
٨	....	....
٩	....	....
١٠	....	....

الآن بعد أن حددت المضيعات الشخصية والخارجية، في عملك وفي حياتك الخاصة. حدد أهم ثلاثة مضيعات من القائمة تأخذ الكثير من وقتك وتهدر الكثير من جهودك وطاقاتك.

١-.................................

٢-.................................

٣-.................................

هل تستطيع أن تفعل شيئاً إزاء هذه المضيعات؟

في المضيع الأول أستطيع أن أفعل الآتي:

١-.................................

٢-.................................

٣-.................................

في المضيع الثاني أستطيع أن أفعل الآتي:

١-.................................

٢-.................................

٣-.................................

في المضيع الثالث أستطيع أن أفعل الآتي:

١-.................................

٢-.................................

٣-.................................

تمرين للتفكير والتأمل:

أ- هذه بعض الوسائل للاستفادة من وقتي:

١-.................................

٢-.................................

٣-.................................

٤-.................................

٥-.................................

تمرين في إدارة الوقت

في مكتبك

أجب على العبارات التالية:

العبارة	نعم	لا
١- أحدد أهدافاً واضحة ومكتوبة وأحدد مواعيد لإنجازها حسب أولوياتها.	☐	☐
٢- أراجع عملي وأفوض المهام التي يمكن أن يقوم بها غيري.	☐	☐
٣- أُنجز غالبية الأعمال اليومية قبل انتهاء موعد الدوام.	☐	☐
٤- أتخذ إجراء مباشراً حيال كل ورقة تمر عليَّ من المرة الأولى.	☐	☐
٥- أقوم بجهد فعال لأمنع مقاطعات الزوار «من داخل المنظمة أو خارجها» خلال العمل.	☐	☐
٦- أقوم بتنظيم مكالماتي الهاتفية بطريقة لاتعيق إنجازي لعملي.	☐	☐
٧- لا تأخذ الحالات الطارئة والأمور المستعجلة جزءاً كبيراً من وقتي.	☐	☐
٨- لا أبحث عن الأعذار لتأجيل الأعمال الموكلة إليّ.	☐	☐
٩- ألتزم بإنهاء الأعمال الموكلة إليَّ قبل البدء بأي أعمال جديدة.	☐	☐
١٠- أشعر بالضيق والانزعاج من ضغط الوقت.	☐	☐
١١- أعمل جاهداً على إتمام الاجتماعات في الوقت المحدد لها بحيث لاتستغرق وقتاً إضافياً على حساب إنجاز المهام الأخرى.	☐	☐

ب ـ أهم المعوقات التي لاتجعلني أستفيد من وقتي:

١-..............................
٢-..............................
٣-..............................
٤-..............................
٥-..............................

ج ـ لو كان عندي خمس ساعات زيادة في الأسبوع لاستعملتها في:ـ

١-..............................
٢-..............................
٣-..............................
٤-..............................
٥-..............................

د ـ الأنشطة التالية تأخذ الكثير من وقتي، ولكنها لاتسهم في خدمة أهدافي أو حياتي الخاصة:ـ

١-..............................
٢-..............................
٣-..............................
٤-..............................
٥-..............................



عندما يذهبون إلى المدرسة أول مرة:

لماذا يخافون؟

أريج السماري
الرياض

الانخراط في موجة- متوسطة أو طويلة- من البكاء هي التعبير «الأفضل» لدى عدد كبير من الأطفال الذين يذهبون إلى المدرسة للمرة الأولى.

وبعضهم يبدو أكثر شجاعة ويتمالك نفسه فلا تبدو عليه مظاهر «الخوف» ولكنه يبكي من الداخل!

إنها المرة الأولى التي يفارق فيها «ماما» ويغادر البيت دونها، وهاهو نقطة صغيرة في بحر هؤلاء الأولاد الذين لا يعرفهم!

لماذا يخافون المدرسة، ولماذا البكاء؟

الغراس الأولى في شخصية الطفل منذ ولادته لها أهمية كبرى، كما يبدو أثرها في تكوين شخصيته الإنسانية من خلال نموه الجسدي والنفسي والاجتماعي.

والمنزل ذو تأثير بليغ في تلك الشخصية، لأن المولود يفتح عينيه- أول ما يفتحهما- على مجتمع العائلة المحيط به، وعند بلوغه سناً معينة- السادسة غالباً- يطلب من الطفل الالتحاق بالمدرسة، وانتقال الطفل من محيط أسرته الذي ألفه إلى محيط جديد لم يألفه من قبل هو بالنسبة له نوع من المجهول لا يستطيع الإحاطة بكنهه، ومن هنا تنشأ الرهبة ويتولد الخوف في نفس الطفل من المدرسة.

أسباب المشكلة

من المعلوم بداهة أن معرفة أسباب كل مشكلة هو المفتاح السليم لحلها.

ومشكلة (خوف الطفل من المدرسة) ليست مشكلة مستعصية، وإنما هي مشكلة عادية يمكن حلها بتعاون الأطراف المعنية، بعد حصر أسبابها وعلاجها.

ومن أهم أسباب مشكلة (خوف الطفل من المدرسة) ما يأتي:

أسباب عائدة إلى المنزل

أعني بالمنزل من فيه من الآباء والأمهات والإخوان والأخوات والأقارب، ممن يتأثر الطفل أو الطفلة بهم قبل ذهابه إلى المدرسة، ومن أهم أسباب المشكلة العائدة للمنزل:

–في بعض البيوت يلجأ الآباء والأمهات إلى تخويف أطفالهم –بنين وبنات– الذين يدرسون في المدارس، وتهديدهم عند أية مخالفة بسيطة بأنهم سيطلبون من المعلم أو المعلمة ضرب الطفل المخطئ أو الطفلة المخطئة، وأحياناً يرهبونهم بأشكال مختلفة من أنواع العقاب البدني المخيف كالحرق وكسر الأيدي والأرجل ...إلخ.

ومن هنا يتولد لدى الطفل الذي لم يلتحق بالمدرسة بعد عقدة الخوف من المدرسة وكراهيتها ومن فيها، فإذا حان موعد التحاقه بها زاد الخوف وظهرت آثاره.

– في بعض المنازل يقوم الإخوة الكبار والأخوات الكبيرات بتخويف الطفل من المدرسة عند سماعه تذمرهم وشكواهم من الواجبات وغيرها.

– تعويد الطفل في المنزل على الاتكالية وعدم الاعتماد على النفس في أداء أي عمل، فيخاف من المدرسة لأنه يعرف أنه لن يحصل على حماية الوالدين والأسرة، وسيضطر إلى الاعتماد على نفسه، وكذلك يخاف من القيام ببعض الواجبات والتكاليف التي يرى أنها تطلب من إخوته الدارسين وأخواته الدارسات.

والاعتماد على النفس لم يتأصل في نفس الطفل المستجد، لذا فهو يخاف من التجربة الجديدة ويخشى نتائجها السلبية ولاسيما خوفه من إخفاقه في التعلم بدون مساعدة ذويه (وفي بداية مرحلة الدراسة يتأرجح الطفل بين الميل للاستقلال الاجتماعي وبقايا الاعتماد على الآخرين، وتكثر المشاحنات بين أبناء هذه المرحلة، وهنا يأتي دور المربي في حسن حلها). (١)

أسباب عائدة إلى الطفل نفسه

الطفل–ابناً أو بنتاً– ركن من أركان العملية التعليمية والتربوية، لذا يجب الاهتمام الجاد بإعداده بدنياً وذهنياً للتعلم قبل دخوله المدرسة وفي أثناء ممارسته للعملية التعليمية، وكذلك يجب إطلاع المعلم أو المعلمة وإدارة المدرسة على خصائصه البدنية والنفسية والأسلوب الأمثل للتعامل معه، والتقصير في هذا الجانب يسبب مشكلة (خوف الطفل من المدرسة) وعلى هذا يمكن القول: أن من أسباب مشكلة الخوف من المدرسة العائدة للطفل:

– عدم تأقلم جسم الطفل أو الطفلة على الجلوس الطويل على وتيرة واحدة في الفصل وفق نظام صارم، فيخاف من استمرار هذا الوضع ونتائجه.

ففي بداية التحاق الطفل أو الطفلة بالمدرسة (تصل عضلاته الكبرى إلى مستوى مناسب من النضج مما يساعده على ممارسة الحركات الكلية مثل: الجري والقفز والتسلق، أما عضلاته الصغيرة والدقيقة، فإنها تنمو بشكل أقل في هذه المرحلة المبكرة، لذا فإنه ينبغي ملاحظة أنه قد يبدو من الطلاب في هذه المرحلة التململ والضوضاء في أثناء جلوسهم فترة طويلة على وتيرة واحدة في الفصل). (٢)

– قد يعاني الطفل من الغيرة من إخوانه وأخواته الصغار، فيخاف أن يفقد مكانته عند والديه إذا ذهب إلى المدرسة، فيتولد عنده شكل من أشكال الخوف من المدرسة. فعلى الأم أن تشعر الطفل بحبها له ومكانته عندها إذا ذهب إلى المدرسة، فبذلك تعمل على تهدئة مخاوف ابنها من المدرسة.

قالت لي إحدى الأمهات إن ابنتها الصغيرة تبكي عند ذهابها إلى المدرسة، وذلك لغيرتها من أختها الصغيرة التي تجلس في المنزل.

– قد يكون لدى الطفل أو الطفلة مشكلات مرضية مزمنة كالربو أو صعوبة النطق أو الإعاقات الحركية البسيطة، أو مشكلات نفسية كالخجل الشديد، فهذا الطفل يسعى بكل طاقته إلى إخفاء مشكلاته عن الغير، فيخاف من المدرسة لأنه يدرك أن مشكلته ستفتضح هناك.

ولذا يجب الحرص على اكتشاف الحالات التي تحتاج إلى عناية خاصة مبكراً ومعرفة التوصيات حول نوع الرعاية المطلوبة لها.

أسباب عائدة إلى المدرسة

هناك عدة أسباب لخوف الطفل عائدة إلى المدرسة، ومن أهمها:

– عندما يلتحق الطفل أو الطفلة بالمدرسة فإنه ينتقل



من محيطه المعتاد إلى محيط غريب عنه، ويستبدل مناخاً يعرفه بمناخ لا يعرفه، لذا فإن من المهم أن تكون المدرسة مساعدة له على تقبل المحيط الجديد والمناخ الجديد.

– قد تكون المدرسة كئيبة المنظر صارمة التعامل معه في نظامها العام في بداية التحاقه بها فيتسرب الخوف إلى قلبه ويستبد به الهلع بروحه وتغشاه الرهبة من المدرسة ويكرهها وقد تصيبه العقد النفسية.

(لذا يحرص التربويون على التكامل والتوازن والتناسق بين عناصر النظام التعليمي ويعد البناء المدرسي وما يتبعه من مرافق وتسهيلات تربوية من المدخلات الهامة في النظام التربوي).(٣)

– قد يكون المعلم أو المعلمة قاسياً في تعامله مع الطفل المستجد فيزرع الخوف في نفسه من المدرسة ومن فيها، لأنه يخشى ألا يكون في مستوى تطلع المعلم أو المعلمة.

أسباب عائدة إلى البيئة الاجتماعية

لاريب أن البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الطفل لها تأثير في سلوكه النفسي (سيكولوجيته) فالطفل في المجتمع الغني تتاح له غالباً التهيئة العلمية كالالتحاق بالروضة والتمهيدي، فيصبح مجتمع المدرسة الابتدائية قريباً من محيطة المعتاد ولا يحتاج إلا إلى تعامل بسيط من المدرسة ليعتاد أجواءها. والعكس من ذلك الطفل في المجتمع الفقير الذي لا تتاح له غالباً التهيئة العلمية في الروضة والتمهيدي فيصبح مجتمع المدرسة الابتدائية محيطاً غريباً عليه ويصعب تأقلمه معه فيخاف منه.

أشكال الخوف عند التلاميذ

الخوف شعور نفسي داخلي يتأثر بطبيعة الشخص وبالبيئة الخارجية التي يعيش فيها، ولا يمكن حصر أشكال محددة للخوف الذي يعاني منه التلميذ الجديد أو التلميذة الجديدة عند بداية دخول المدرسة، غير أنه يمكن تصنيف أشكال الخوف إلى ما يلي:

– خوف طبيعي نتيجة الانتقال إلى محيط جديد لم يألفه الطفل، وهذا الشكل من أشكال الخوف أمره يسير، وهو يتلاشى مع مرور الوقت، ولاسيما إذا كانت هناك تهيئة مناسبة للطفل قبل دخوله المدرسة.

– خوف غير طبيعي، وهو الخوف الذي يكون ناشئاً عن مرض نفسي أو عضوي، وهذا الشكل من الخوف لابد من العمل على علاجه من اللحظة الأولى لدخول الطالب في المدرسة، ومن خلاله يمكن التأكيد على أهمية استكمال الطالب المستجد أو الطالبة المستجدة للبطاقة الصحية بدقة وعناية من الأسرة ومن الجهاز الطبي.

يمكن أن يكون شكل الخوف من المدرسة عند الطفل ضعيفاً فيحتاج إلى عناية بسيطة لنزعه من نفس الطفل،ويمكن أن يكون شكل الخوف عند الطفل قوياً يصل إلى حد الإضرار بنفسه أو بمن حوله فهذا يجب أن يحظى بمزيد عناية واهتمام وهكذا.

موقف المعلم /المعلمة أو المدير وإدارة التعليم

العملية التعليمية والتربوية عملية مشتركة، لها أركان ثابتة، منها المعلم أو المعلمة والتلميذ أو التلميذة والإدارة

فلابد من تعاون هذه الأركان لضمان النجاح.

- موقف المعلم / المعلمة

على المعلم/ المعلمة النظر إلى الطفل الجديد في المدرسة على أنه ابن له فالمعلم كالأب للطالب المستجد، فلابد من معاملته برفق وحنان لترغيبه في مجتمع المدرسة الذي هو مجتمع جديد عليه، ويتم ذلك عن طريق اللطف معه في الحديث وتشجيعه.

- على المعلم البحث عن أفضل السبل التربوية لتخليص الطفل من العدوانية على الآخرين وعدم الانضباط، وأن يكون ذلك بما لا يخيفه من المدرسة وبما يحفظ النظام العام للمدرسة في الوقت نفسه.

تشير إحدى الزميلات عند مناقشتي لها عن تجربتها مع الطالبات المستجدات إلى كثرة حركتهن وميل بعضهن إلى الاعتداء على الأخريات، ونقلهن للبيت صورة غير حقيقية عن معاملة المعلمة لهن في المدرسة ظناً منهن أن ذلك كفيل بالتخلص من الذهاب للمدرسة، وقد استطاعت عن طريق لطف المعاملة أن تطرد الخوف من قلوبهن.

- على المعلم/ المعلمة التركيز في بداية الأسبوع الأول للطالب في المدرسة على تعريفه بالنشاطات التي ترعاها المدرسة وكل ما يجذب اهتمامه ويرضي تطلعاته كالألعاب والهدايا ليفرض حب المدرسة في نفسه.

وعندما قابلت زميلة أخرى بادرتني بالقول أن الطالبة المستجدة تصاب بالإحباط والخوف إذا كان يومها الدراسي علمياً جافاً، وسرعان ما يتبدد الخوف والإحباط عندما ترى طالبات صغيرات مثلها من المستجدات ومن طالبات الصف الثاني يمارسن اللعب ويتبادلن النكات، والمعلمات يقدمن لهن الحلوى والهدايا.

- على المعلم/ المعلمة أن يكون قدوة صالحة في حسن التعامل قولاً وعملاً لأنه محط الأنظار ومرمى التطلعات. لذا فالمعلم سيواجه إحراجات شديدة من طلبته الصغار الذين يحاولون تقليده في أقواله وأفعاله ويسألونه عن كل شيء.

- على المعلم/المعلمة القيام بالتنسيق مع المنزل لرفع معنويات الطفل المستجد وانتزاع الخوف من المدرسة من قلبه.

موقف المدير/ المديرة

مدير المدرسة هو المسؤول عن حفظ النظام في المدرسة، وهو الذي يدير شؤونها ولذا لا غرابة في أن الطفل يشعر بالخوف والرهبة من حجرة الإدارة لأنه يعرف أنها مصدر العقاب، ولذا فمن المهم جداً أن يترك المدير في نفس الطفل انطباعاً حسناً عن المدرسة، فيتبدد خوفه منها.

ومن المهم جداً ألا تظهر إدارة المدرسة الصرامة أمام الطفل المستجد لأن ذلك سينمي خوفه ويزيد عقدته، وبالعكس فإن الاستقبال الحنون، والهدايا التشجيعية، والحنان واللطف، كل ذلك ينسي الطفل مشاعر الخوف التي ترسبت في نفسه قبل المجيء للمدرسة.

موقف إدارة التعليم

إدارة التعليم هي المركز الرئيس لسير العملية التعليمية ومراقبة حركتها، وهي التي تصدر التعليمات والأنظمة التي تسير في ضوئها المدرسة ويلتزم بها الجميع، لذا فإن من المهم جداً أن تكون هذه التعليمات والأنظمة مراعية ظروف الطالب المستجد وضرورة إعدادها الإعداد الملائم لمجتمع المدرسة، ولابد في هذا الصدد من الاهتمام ببرنامج التوجيه والإرشاد النفسي (لأنه يسعى إلى تحقيق الذات، وتحقيق التوافق والصحة النفسية وتحسين العملية التربوية) (٤).

وفي المملكة تقوم المدارس بتنفيذ أسبوع للطلبة المستجدين والطالبات المستجدات وفق تنظيم تربوي محدد من إدارات التعليم، ولاريب أن المدارس تختلف في طريقة تنفيذ هذا الأسبوع ، ونوعية الهدايا المقدمة والأساليب المستخدمة، إلا أن التنفيذ في مجمله يعطي انطباعاً بأهمية معاملة الطفل المستجد وتهيئته نفسياً لعملية التربية والتعليم. ■

الهوامش:

(١) خصائص الطلاب المستجدين في الدراسة، جريدة الجزيرة العدد ٩١٠٩ السبت ١٤١٨/٥/٥هـ ص٨.

(٢) نشرة تربوية عن (كيفية تعامل المعلم مع الطلاب في الأسبوع الأول للدراسة) صادرة عن إدارة تعليم الرياض بوزارة المعارف.

(٣) التجهيزات المدرسية- بحث- أ.د عبدالرحمن الشاعر لندوة اقتصاديات التعليم ص٤.

(٤) التوجيه والإرشاد النفسي، د. حامد زهران. نشر عالم الكتب بالقاهرة ص ٣٤ وما بعدها.



بيئة خطرة

مهمة الفكر أن يدلنا على الطرق المسدودة والمفتوحة، وأن يدلنا على أفضل الأساليب والأدوات التي تحقق أفضل النتائج، لكنه يظل عاجزاً عن تشكيل البيئة الثقافية والاجتماعية التي تنمو، وننمي فيها أطفالنا وطلابنا، فذاك من نصيب مجمل القوى التي تحدث التغيرات في أساليب العيش، وتوازن المصالح، وفي أسس العلاقات الداخلية والدولية... وتلك البيئة هي التي توجه التفكير، وتنظم ردود الأفعال، وتحدد خيارات الحركة. وأعتقد أنه لن يكون هناك أهم من التفكير في طبيعة هذه البيئة والخيوط التي تشكل نسيجها، وماذا ينبغي عمله من أجل جعلها أكثر ملاءمة للحياة الطيبة النقية المنتجة.

الإنسان لا يحيا إلا من خلال توازنات: توازنات بين العقل والخُلُق وبين الحاضر والمستقبل، والذات والآخر.. ولأن المعطيات المتوفرة لدينا حول كل ذلك مشوبة بالنقص دائماً، فإن توازناتنا تناهز الكمال، ولا تبلغه. وحين يكتشف الإنسان خللاً في أحد توازناته، فإن أمامه فرصة للتصحيح والتراجع، بسبب بطء التغيرات التي تنتاب أحواله الشخصية وبيئته العامة. ومهما يكن الأمر، فإن الخطأ في أي توازن، لم يكن يؤدي إلى كوارث كبرى بسبب ضعف الإنسان ومحدودية وسائله، وضيق مجاله الحيوي. وهكذا فقد ظل الإنسان قادراً على الاستمرار بسبب قصوره الذاتي، وظل ضعفه نعمة عليه.

اليوم تنكسر كل التوازنات البيئية، وتختل كل التركيبات الأخلاقية والاجتماعية حيث تطرأ تطورات خطيرة على المعادلات التي تتشكل منها النظم والأنساق المتعلقة بالناس، والمتعلقة بالأوساط التي يحيون فيها، بسبب التواصل العالمي الهائل الذي وضع الناس فيما يشبه الخلاطة الكبيرة؛ وعلى شدة التنافر بين تلك الأشياء المختلطة صار التمييز بينها عسيراً.

أكبر مشكلة في هذا الاختلاط الكوني أنه لم يقم على أسس إنسانية، كما أنه لم يكن بسبب دوافع نبيلة أو شريفة؛ فالعقلية الكامنة وراء هذا الحراك الواسع للقادرين والمتفوقين، تقوم على مبدأ أنه ليس في هذه الأرض ما يكفي الجميع، وبات على كل واحد أن يبحث عن خلاصه الشخصي، حيث لا خيار، فإما أن تكون آكلاً أو مأكولاً، غازياً أو مغزواً. وهذا فتح أبواب التنافس الرهيب على كل ما هو لا عقلاني ولا إنساني!

إن الأدبيات والمفاهيم والأنماط التي يبثها أكثر من خمسمائة قمر صناعي تدور حول الأرض، تعمل مجتمعة على إضعاف أخلاق الناس وإرادتهم، وكشف الغطاء الثقافي عنهم، وجعلهم يشعرون بالتفاهة والاغتراب، حيث يوحى إليهم أنه لا بديل عن الاستسلام لما تأتي به موجات التحديث وحتميات التطور العلمي والتجاري.

وإذا أردنا أن نرصد أهم المفاهيم والآليات التي أحدثت الخلل في الجانب الإنساني، فسنجد التالي:

- انتشار حالة من القلق والاضطراب بسبب ما يجري من تحطيم منتظم لكل الأنساق والنظريات الثقافية الكبرى التي كانت سائدة والتي كانت -بقطع النظر عن صوابها- تؤمّن للوعي بعض الأسس والتأطيرات التي تساعده على التعامل مع ماهيات الوجود. وليس أدل على ذلك من ولوجنا في عصر (المابعديات)؛ فالحديث اليوم منصب على شرح (ما بعد الحداثة) و(ما بعد الصناعة) و(ما بعد الماركسية) و(ما بعد الرأسمالية) و(ما بعد الدولة)... وذلك كله ينذر بانفتاح تام على الغامض والمجهول، مع أن البشر ظلوا على مدار التاريخ يكافحون من أجل الخروج من مآزق (العماء) و(اللاتكون). والأدوات المستخدمة في كل هذا عبارة عن مفاهيم يجري ترميزها من جديد، وذلك من نحو الخصوصية والنسبية والتعددية والانفتاح والتسامح والحق في الاختلاف، وعجز الناس عن إدراك الحقيقة المطلقة. وهي مفاهيم نقية في ظاهرها، مغشوشة في تفاصيلها.



عبد الكريم بكار
أبها

- تهميش تام ومتتابع لكل ما كان يشكل مصدراً لكبح الرغبات المجنونة، والخوف من الله -جل وعلا- من كل ما هو من قبيل العقدي والروحي والتراثي والتقليدي والمحلي، وشن حملات منظمة على كل ما يعد (مقدساً) حتى الموت الذي كان مصدر رهبة وخضوع للبارئ -جل وعلا- صار اليوم موضع تساؤل -لدى بعض الطامحين- من خلال تجميد الأجنة والحيوانات المنوية، وما يؤمل من وراء الفتوحات التي يمكن أن يأتي بها الاستنساخ الحيوي! وحل محل كل ذلك ما هو ملموس من المكتسبات الحضارية الراهنة بوصفه إطاراً مرجعياً للمعايير والتنظيمات المختلفة؛ مع أن الذي تثبته الشواهد اليومية أن كل ما أنجزه الإنسان من ارتقاء مدني ونعومة في التصرفات وأناقة في العلاقات لا يعدو أن يكون في الحساب النهائي أكثر من قشرة رقيقة، خلفها وحش ينتظر، وما أن تسنح الفرصة حتى ينطلق الوحش، وتظهر بدائية إنسانية كالبدائية السابقة، لكنها مزودة هذه المرة بأسلحة أشد فتكاً ومضاءً.

- إلى جانب كل هذا هناك ممارسة ممنهجة لخلع المرء من أسرته، والأسرة من مجتمعها، والمجتمع من أمته الكبرى؛ مما جعل الوعي الإنساني يشعر باليتم، وأشاع حالة من الذعر والخوف مما تأتي به الأيام.

- ضمور سلطة الدولة، وانحسار الهامش الذي كانت تقيم من خلاله التوازنات بين الفئات الاجتماعية المختلفة، وتآكل المؤسسات الوسيطة، وما كان يسمى بـ(الطبقة الوسطى) وصار لزاماً على الحمل الوديع أن يجد طريقه للعيش مع الذئب في حظيرة واحدة، وأنى له ذلك؟!

كل هذا يجري في ظل تنامي إمكانات الإنسان، وتقدم التقنية على نحو مذهل، ومع ذلك التقدم تحدث إمكانات كبيرة للغش في الأطعمة والأدوية والآلات، مع ازدياد فرص الإفلات من الملاحقة القانونية؛ حيث إن أدوات ملاحظة الغش، تظل متخلفة عن أدوات ممارسته.

والخطير حقاً الآن ما يتم في حقل (التقانة الحيوية) حيث تفتح كل يوم آفاق جديدة في اتجاه الاستنساخ وجراحة الجينات بغية تبديل الإمكانات الوراثية للكائن الحي. وبتنا نسمع الآن عما يسمى بـ(القنبلة العنصرية) التي تستهدف شعباً، يحمل خصائص جينية معينة. ودعونا نتخيل توصل دولة ما إلى استنساخ بدون مشكلات، فماذا يمكن أن يحدث؟ إنها سوف تسعى إلى أن تستنسخ بكثافة من العباقرة والأصحاء في مجتمعها؛ مما يعني أن (البيولوجيا المستقبلية) ستخرج علينا بجنس بشري من طراز جديد، تجتمع له الإمكانات لسحق ما تبقى من الجنس البشري الحالي، بوصفه من مخلفات الماضي البالية! مسكين هذا الإنسان فهو لا يعرف هل سيفنى بسبب المعرفة التي حصّل، أم بسبب المعرفة التي لم يحصل عليها!

إن البشرية أضحت اليوم بمنزلة هيكل له محرك طائرة وكوابح دراجة، وصار ما يمكن حدوثه من الانهيارات أمراً مخيفاً ومرعباً.

قد آن أوان الفزع، وبات علينا أن نتعلم كيف نناصر العقل في مواجهة الذكاء، والحكمة في مواجهة القوة، والخُلق في مواجهة الهيمنة، والروحي في مواجهة المادي، وإلا فإن علينا أن نتساءل عن نوع البيئة الثقافية والاجتماعية التي سنتركها للجيل القادم؟

ولله الأمر من قبل ومن بعد ■



باعثة الأمل الهاربة

شعر: زينب السعود

كان في فكري نار خمدت ... فأثارت عزمها فاتقدت
وأنارت خافقي مشعلة ... أمنيات قد خبت واندثرت
ومضت تسكب في قلبي رؤىً ... باسمات عطرت فائتلقت
ثم ولت وتولى أملي ... واستحال الضوء ظلماء جثت
ليتها إذا علمت قرب النوى ... وانعدام المكث فينا اقتصدت

مر ذاك العهد حلماً مشرقاً ... زاهر الأيام عبقاً وشذى
ضاحكاً طلق المحيا لبقاً ... عامر الذكرى ببراق السنا
ومضت ترمقني في شزر ... غير الدهر وتصغي بخفا
وأتاني وحيها أن قد مضى ... زمن الخصب وعز المبتغى
فأعدّي للجفا -ويح الجفا- ... أدمعاً ساخنة كي تهرقا

* * *

لائمي -حسناك بي- لاتلم- ... حين ولى من يدي ذو الحلم
لست أبكي كلمات نسجت ... بخيوط الوجد سقط الكلم
لست أبكي جسداً فارقني ... أو عيوناً شفنيها ألمي
إنما أبكي حداءً هزني ... وحباني نهضة في قلمي
ومضى يسكب في محبرتي ... عزة الماضي لضامي نغمي
لم يزل يمنحني من حثه ... ويثير العزم يذكي هممي
كلما ساءلته أخبرني ... أنه حق على من يرم
عزة في أمة مغلوبة ... فقدت جاهاً أمام الأمم
ذهبت ريح لها فامتهنت ... تمنح الغاصب دور الحكم
دينها حرز لها لو علمت ... علم ملدوغ حصيف فهم

* * *

رحلت فانساب في القلب أسى ... نسي العهد به وانتكسا
صرخت نفسي به يا جاهلاً ... هل تفدي بالإله الأنفسا
أنت رهن الحق مهما دار في ... فلك درت به مقتبسا
لا تبالي مكثوا أم ظعنوا ... سرك الدهر زماناً أم قسى
فيراع المرء مسراه إلى ... قمم المجد إذا ما احتبسا

الطفلة الموءودة

شعر: إبراهيم عسيري
القنفذة

هيفاء طفلة صغيرة في الثامنة من عمرها..

تذهب إلى مدرستها كل يوم في الصباح الباكر من منزلها القريب من المدرسة.. وفي يوم من الأيام تتأخر هيفاء.. وتقلق أمها عليها كثيراً.. وتكاد تجن.. ثم تأتيها الصاعقة.. لقد ذهبت ابنتك ضحية لأحد السائقين المتهورين..

حُزني عليك بنيتي أرداني ... سأظل أحيا في لظى الحرمان
عصفت بقلبي من فراقك لوعة ... من ذا يسكّن لوعة الوجدان
واهاً عليك بنيتي.. وصغيرتي ... واهاً عليك على مدى الأزمان
واهاً عليك حبيبتي.. وحشاشتي ... قدري أعيش أسيرة الأحزان
هيفاء يا نغماً تردد في الدنا ... يحكي البراءة في بني الإنسان
هيفاء يا رمزاً لكل طفولة ... عصفت بها أيدي العدو الجاني
هيفاء يا سلوى حرمت حديثها ... كانت تردد أعذب الألحان
أنا لست أدري كيف أروي قصتي؟ ... أم كيف ينطق بالحديث لساني
خرجت تروم ذرا المعالي تبتغي ... علماً ينير بصيرة الحيران
خرجت كأجمل وردة فواحة ... تسبي العقول برقة وحنان
ووقفت في قلق أقلب ساعتي ... حان الرجوع وساعتي ثنتان
سأجن يا قومي.. أريد بنيتي ... هيا ابحثوا عنها بكل مكان
هيفاء.. عمري.. أين أنت بنيتي؟ ... طال انتظاري.. جُمّدت أركاني
هيفاء.. وانطفأت حياتي بعدها ... أنا لن أعيش بحسرة وهوان
ضاعت حياتك في تهور سائق ... باع الحياة بباخس الأثمان
هل ذاك إنسان؟ أجيبوا إخوتي ... ما ذاك إلا صورة الشيطان
أين النظام؟ أليس ثمة عاقل ... يزن الأمور.. يقود في إتقان
ما ذنب أطفال تضيع حياتهم ... ظلماً.. فيا لقساوة الإنسان!
مالي عزاء غير جودك خالقي ... فامنن عليَّ بواسع الغفران

غير قابل للتغيير

ناريمان العالم
الرياض

قصة قصيرة

تسارعت نبضات قلبه، وأحس بالعرق يندي جبينه فأخذ يمسحه بارتباك، ثم نظر إلى ساعته وتمتم قائلاً:

- اللهم رحمتك.

فما تبقى إلا بضع ثوان ويعلو صوت الجرس وتبدأ حصة الأستاذ «خليل» أو «خليلوز» كما يسميه التلاميذ بسبب أذنيه الصغيرتين الشبيهتين باللوز. قال الذي بجواره:

- هل حفظت الدرس السابق جيداً؟

أجابه بانكسار:

- نعم.

- ودرس اليوم؟ هل قرأته؟

تنهد وقال:

- بل حفظته.

فوضع صاحبه يده على كتفه يشجعه قائلاً:

- إذاً لا تخف.

لقد مر شهران وهو يجتهد في هذه المادة ويحاول أن يحسن صورته أمام الأستاذ، ولكن لا فائدة ترجى، فما زالت علاماته ضعيفة دون سبب مقنع!

دخل الأستاذ «خليلوز» الفصل بجسمه الضخم وقسماته المنفرة، وألقى التحية بصوته الأجش، فرد التلاميذ تحيته، ثم أخذ يسترجع الدرس الماضي ويختار بعض التلاميذ ليسألهم ويدون الدرجة التي يستحقونها أو بالأصح، الدرجة التي تعجبه.

أما هو، فقد كان يأمل أن يختاره الأستاذ ويسأله، فتأهب وأخذ يسترجع الدرس في ذهنه. وانقضت المدة المخصصة للأسئلة والأستاذ «خليلوز» لم يعره اهتماماً ولم يختره، فأحس بالإحباط، ولكنه واسى نفسه قائلاً:

- هناك فرصة في الدرس الجديد.

كتب الأستاذ «خليلوز» عنوان الدرس على اللوحة ثم بدأ بشرحه، وكان يلقي بعض الأسئلة من حين لآخر ويختار تلاميذ للإجابة إلا هو، فلم يكن يحظى بأي اهتمام.

وفي نهاية الحصة، أمسك الأستاذ بدفتر الدرجات وأخذ يدون فيه أسماء التلاميذ الذين شاركوا معه ومن بينهم اسم التلميذ الحائز على الترتيب الأول مع أنه لم يشارك، فأحس بالقهر والظلم، وقرر أن يكلم الأستاذ «خليلوز» ويتفاهم معه.

وفي اليوم التالي، ذهب إلى غرفة المدرسين ودخل يقصد الأستاذ، وما أن رآه «خليلوز» حتى عبس وقال بضيق:

- ماذا تريد؟

شعر بالإحراج وارتبك، فما توقع تلك المقابلة، ولكنه استجمع شجاعته وقال:

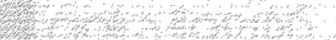
- كنت أريد يا أستاذ...

وكاد أن يقول «خليلوز» لولا أنه أمسك لسانه في الوقت المناسب وأكمل:

- لا يخفى عليك يا أستاذ اجتهادي في مادتك طوال المدة الماضية، وسوف أظل على اجتهادي هذا بإذن الله.

سكت برهة ينتظر إجابة من الأستاذ، ولكن الأستاذ ظل في عبوسه، فأكمل قائلاً:

- ولكنك يا أستاذ مازلت تسجل لي علامات منخفضة



ولا أعرف سبب ذلك.

ازداد الأستاذ في عبوسه وقال بصوته الأجش:

– هل تتهمني بالظلم؟

هز رأسه نفياً وقال بسرعة:

– لا يا أستاذ أنا لم أقل هذا. كل ما في الأمر هو أني متعجب من درجاتي المنخفضة وأريد أن أعرف السبب.

– السبب هو أنك تلميذ كسول لا تشارك معي.

قال مندهشاً:

– بلى يا أستاذ، أنا دائم المشاركة معك ولكنك لا تختارني للإجابة.

صرخ الأستاذ في وجهه قائلاً:

– هل تتهمني بالكذب؟

أجاب متلعثماً:

– أقصد إن هذا كان في بداية الفصل الدراسي، أما الآن، فأنا أبذل قصارى جهدي.

نظر إليه الأستاذ «خليلوز» بسخرية وقال:

– أصدق بأن البحر قد تغير لونه إلى الأصفر، وتغير لون الشمس إلى الأزرق، ولا أصدق بأنك تغيرت.

– لماذا يا أستاذ؟

– لأنك غير قابل للتغيير.

خرج من الغرفة بعد سماعه لتلك الكلمات خاسئاً حسيراً، ثم دخل فصله وقعد على كرسيه يفكر.

وفي اليوم التالي، وقبل بدء حصة الأستاذ «خليلوز» سأله الذي بجواره:

– هل حفظت الدرس السابق؟

رد بغير مبالاة:

–لا.

– ودرس اليوم؟

– لا.

فاندهش صاحبه وقال:

– ماذا دهاك؟ أنسيت «خليلوز»؟! أنسيت درجاتك؟! ألا تريد أن تصبح مجتهداً؟!

نظر إليه ملياً ثم قال:

– البحر سيصبح أصفر، والشمس ستصبح زرقاء، أما أنا فلن أصبح شيئاً، لأني غير قابل للتغيير. ■

اليوم الدراسي الأول
الحب من أول حصة

شعر:علي عبدالله العيسى
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن

ذات يومٍ كنت في العمر الصغير ... أدخلوني الصف من بعد الصفير
فولجت الفصل قلبي وَجِلٌ ... أقعدوني فوق كرسيٍّ كبير
فبقيت واجماً مضطرباً ... زلزل الأعضاء خوفي والمصير
وصراخ قد تعالى في الصفوف ... بعد أن قالوا لنا الباب يحير
حارت الأبصار.. إذ ذا لا حراك ... لم تزحزحه أيادي المدير
لم أكن أعلم عن شيء جرى ... ما الذي أصبح من حولي يصير
كلّ ما أذكر أني خائفٌ ... دبّ ذعرٌ وبدأنا نستجير
قلت يا رحمن من فينا عدا ... خطأً أو جنى الذنب الخطير
من ترى المقصود فينا يا ترى ... هل أنا أم ذلك الطفل الصغير
كنت لا أدرك تفسير الأمور ... كنت لا أقدر وحدي أن أسير
بينما نحن جميعاً في ذهول ... إذا أتتنا رحمة المولى القدير
فانبرى بابٌ وخفّت رجفة ... فُكَّ قيدٍ لسجين وأسير
فكتمت الخوف من قلبي وما ... زال في الصدر اضطراب وسعير
إثرها قالوا أتى وقت الخروج ... فتعالت صرخات وصفير
لم تسعني الأرض بالعدو الحثيث ... نحو أمي فلها القلب الكبير
فوعدت النفس إني لا أعود ... لمكان كالسجن العسير
فلزمت البيت عاماً كاملاً ... بعدها عقلي نما الشيء اليسير
ولقد عدت لدرسي راغباً ... فنهلت العلم والخير الكثير

كلمة الوداع

شعر: الطالب / محمد هنيدي
المدينة المنورة

أمعلميّ الخير طاب صباحكم ... وتكللت أعمالكم بنجاح
وتعطرت أيامكم وتطيبت ... بالورد والريحان كل صباح
وتجملت أيامكم وتزينت ... بالخير والأرزاق والأفراح
وتحققت آمالكم في نسلكم ... وتميزت أبناؤكم بفلاح
قد كنتم القدواتِ في تعليمنا ... فحملتم الأعباء في الإصلاح
وصقلتم الأخلاق يوم تعاقبت ... دعوات شر تحتمي بسلاح
فبذلتم الأرواح في إبعادها ... ورفضتم الإفساد في إلحاح
كنتم لنا نوراً يضيء طريقنا ... بالنصح والإرشاد والإيضاح
كنتم لنا دوماً دعاة فضيلة ... كنتم ومازلتم ، وتلك نواحي
لولاكمُ بعد الإله لشابنا ... جهل وكنا دونما أرواح
أمعلمِيَّ الخير هأنا ذاهب ... نحو الحياة فيا لعمق جراحي
مازلت أبكي من لظى فرقاكم ... في الليل والإشراق والإصباح
مالي سبيل غير قولي عنكمُ ... أنتم رجال العلم دون مزاحِ
دامت سعادتكم ودام بقاؤكم ... والله يرعاكم لكل صلاح

إن الفجر يقترب

شعر: درويش الأسيوطي

من أي فجٍ..
ترى تغتابنا النوب
وكيف نصبر والأهوال تضطرب
وكيف صرنا بلا حول
تمرُّ بنا
مصارع الأهل
لا نغلي ولا نثب
كأن سيف عدوي
حين تشطرنا
غمام صيفٍ من الأضلاع ينسحب
فأي جرحٍ
بصدر الروح يؤلمنا
أم يطلق الآه منا
العجز.. والغضب
كل المراقد أشواك.. تقلّبنا
فأي جنب تراك عليه ينقلب؟!
نبيت نشرب دمعاً
عز مسكبه
من أي عين تراه الدمع ينكسب

كأنها لم تكن
-ملء عين الدهر- رايتنا
خفاقة، يزدهيها الفخر.. والعجب..
فأين (موسى) وخيل الله ضابحة
وأين (خالد)....
«واليرموك» ينتحب
وأين بات (المثنى)
حين داهمنا
ليل الفجيعة
والأعراب ترتعب
يا راية الله
لا تستبدلي وطناً
بهذه الأرض
إن الفجر يقترب..
وفي غد سوف تشرق
شمس عزتنا
ويعلن الفجر مولده..
ويقترب

لـبن الصـافي منزوع الـدسـم

كامل القيمة الغذائية وبدون دسم

للصحة والنشاط والقوام المتناسق والمظهر الحيوي.

لبن الصافي منزوع الدسم متوفر حالياً في الأسواق.

خالٍ تماماً من الدهون، مع احتفاظه بكل مواصفات

لبن الصافي الأصيلة. لبن الصافي منزوع الدسم...

رفيق دائم لمن يبحثون عن الصحة المتوازنة.

صالح لغاية
تاريخ الإنتاج
الصافي
AL SAFI
لبن طازج منزوع الدسم
منزوع الدسم
الصافي
AL SAFI
جديد
لبن
طازج

صالح لغاية
تاريخ الإنتاج
الصافي
AL SAFI
لبن طازج منزوع الدسم
منزوع الدسم
١٠٠٪ طازج
يومياً من مزارعنا
جديد
لبن
طازج



هكذا يكون اللبن منزوع الدسم



ساعة أم أحمد

رقية الهويريني
الرياض

الاختصاصية الاجتماعية في المجتمع إنسانة، تحمل في جوانحها طموحات كبيرة.. قد تتحقق فتطير جذلاً!
وقد لا تتحقق فتتكور ألماً! وما تلبث أن تتمدد.. إلا أنها أبداً لا تملك من مصباح علاء الدين إلا أحقية إضاءته للتائهين في طرقات الألم.. بداية الطريق فقط!
وتترك لهم فرصة إضاءة بقية الطريق.

قررت السيدة «منال» أن تأوي إلى سريرها قبل موعد النوم -المعتاد- بساعة واحدة.. جاء ذلك بعد أن تسلمت عملها الجديد.. أطفأت الأنوار وجلست مع نفسها في محاولة لاسترجاع أحداث يومها.. ست عشرة ساعة مضت منذ استيقظت صباح اليوم وحتى هذا الوقت.. حيث طلبت منها ابنتها في الصباح أن تصلح من هندامها وتقوم بعمل ضفيرة مناسبة كبقية الطالبات، إلا أنها نهرتها ووجهتها إلى الخادمة لكي تقوم بهذا العمل «التافه». يأتي ذلك متزامناً مع بكاء ابنها الصغير محتجاً على نوع الفطيرة فهو لا يريدها محشوة بالجبن كل يوم، فقد ملَّ من الجبن ويحاجة إلى جرعة من الشجاعة! أو المربى.. وكذلك زوجها كان يود استشارتها في موضوع هام يتعلق بعمله، ولكن لم يكن ثمة وقت لمناقشة أي موضوع فلم تلق له بالاً!

وخرجت للعمل، وهناك صادفت وجوهاً متعددة من الموظفات والمراجعات وأمامها مجموعة من المعاملات تحتاج لاطلاع وتوقيع ورد على الاستفسارات والبت في الإجازات المختلفة.. ولم ينقض وقت الدوام إلا وقد أصبحت كومة من التعب والتوتر، فعادت إلى منزلها محملة بهموم العمل لتجد الخادمات في المنزل وقد كسرن أطباقاً و«خرّبن» آلات كهربائية في المطبخ مروراً بتعطيل مكنسة أو غسالة، كما أن هذه طاولات لم تمسح وتحفاً لم تلمع، فتبدأ بإصدار أوامر لهذه الخادمة ومعاتبة لتلك على تقصيرها، وما أن يحضر أولادها من مدارسهم حتى تبدأ طلباتهم المدرسية والشخصية خلال فترة الغداء! التي تليها فترات مثقلة بالأعباء من تحقيق مطالب الأبناء وبعض مطالب العمل، كما أن هناك التزامات عائلية لابد من أدائها وزيارات يتحتم عليها الإعداد لها!!

ويدور دولاب أحداثها اليومي بفوضوية دون تركيز لدرجة أنها تؤدي صلاتها دون خشوع وتمضغ طعامها بلا استمراء!! وعندما تحين ساعة النوم ترتمي على سريرها وتستيقظ مراراً بين فزع ووجل، فلديها دوماً اجتماعات وقرارات هامة فهي أبداً يلوكها التعب ويلفظها النصب!!

في هذه اللحظات تذكرت منال «السيدة أم أحمد» البائعة في المقصف التابع لعملها حيث تبيع فطائر وحلويات وبعض المشروبات الباردة والساخنة، وحينما ينفض جمع مرتادات المقصف يتبقى لديها من الوقت الكثير ومن الحكمة أكثر! تذكرت هدوءها النفسي ونظراتها المريحة، وتعجبت من مقدرتها على إجابة جميع الطلبات في وقت قياسي ودون توتر!! بل وبطريقة أصبحت معها صديقة الجميع، فعلى رغم أنها من بلد عربي مجاور ولا تربطها بهؤلاء الموظفات رابطة قرابة إلا أن من يراها بينهن يحس وكأنها من النسيج نفسه لاسيما حين ترد على لسانها بعض الكلمات باللهجة المحلية تنطقها ممزوجة بلهجتها الأصلية فيشعر بذوبان الفوارق الوظيفية والعرقية في هذا المكان. ولما تتحدث عن بلدها تجزم أنك أمام فيلسوفة تحلل مجريات الأحداث بلغة الخبير، وحين تورد بعض الحكم والأمثال بأكثر من لغة تجد نفسك مبهوراً

لا يوقظك من هذا الشعور إلا عندما تتحدث عن ابنها أحمد ومشاكساته مع إخوانه وطرفه وحكاياته المألوفة لمثل سنه حتى ليخيل إليك أنها لم تتجاوز -مطلقاً- عتبة منزل والدها إلى منزل زوجها دون المرور على مدارس المناهج والحياة! إلا أنك حين تُطيل النظر في جبينها تجده يحكي لك تجارب أودعت بها الحكمة المسكونة في عقلها!

أم أحمد أصبحت إحدى رموز العمل فعندها يتخفف البعض من أحزانهم ويودعها آخرون أسرارهم. إضافة إلى أنها ذات حضور فهي صاحبة دعابة، كما أنها تشارك الموظفات أفراحهن، فتراها تثني على طبق الحلوى لزينب لولا أن نسبة الفانيلا أكثر مما ينبغي! ولا يفوتها أن تنتقد الفكرة الانسحابية في مقالة «بشرى» الكاتبة في المجلة الشهرية، وفي الوقت نفسه تراها منهمكة في زخرفة «الحنا» لبعض الفتيات، وكثيراً ما تعود الموظفات لمنازلهن وقد أودعن في حقائبهن «حلوى أم أحمد المشهورة» الخالية من الأصباغ والملونات الضارة هدية لأطفالهن.

أم أحمد لها فلسفة رائعة في الحياة حتى باتت من سماتها الشخصية وهي محاسبة الذات في آخر ساعة من كل يوم وتعزو أم أحمد نجاحها في عملها ومحافظتها على صداقاتها وإدارتها منزلها الصغير بعد توفيق الله إلى التزامها بهذه الساعة من يومها، فهي تسميها تارة ساعة التقويم، وتارة أخرى ساعة التهذيب، وثالثة ساعة اللوم والتقريع، لذا حرصت أن تقنع كل من حولها بالتزام هذه الساعة الذهبية من اليوم حتى أصبح النوم لا يغشى جفنيها إلا حين تدور عقارب الساعة دورتها الكاملة معلنة عن انقضاء ستين دقيقة فتخلد إلى نوم هادئ «وعند الصبح يحمد القوم السرى».

وبفعل العدوى أصبح هذا القانون الفلسفي مسلكاً يميز ذوات المبادئ السامية للموظفات في هذه الدائرة.

لذا قررت «منال» السير على نهج أم أحمد، فأخذت تراجع حساباتها وعندئذ أدركت أن «نبيل» ابنها قد ملَّ فعلاً من فطيرة الجبن التي تجهزها الخادمة بلا مبالاة، لذا قررت أن تقوم بهذا العمل بنفسها يومياً بحيث يكون إفطاره اليومي مفاجأة سارة، ولن تنهر ابنتها «مها» حين تطلب منها أن تربط ضفيرتها بل ستجلعها تبدو دائماً بمظهر لائق، وستناقش زوجها في موضوع الترشيح لمجلس الإدارة وستحفزه على ذلك وتشد من أزره فهو رجل مكافح يستحق أن يتسلم هذا المنصب. وقد شعرت بالخجل فعلاً عندما استرجعت ما حدث صباحاً من طلبه الاستماع لرأيها ومشاركته طموحه، ولكنها لم تفعل بل طلبت منه إرجاء الأمر! وعلى صعيد العمل هذه «منى» يا إلهي! كانت تريد إجازة استثنائية لرعاية مولودها الجديد ولحاجته للرضاعة الطبيعية، وقد انتهت إجازة الأمومة ولم تنته حاجته إلى رعايتها. حسناً غداً سأطلبها لاستكمال إجراءات الإجازة. كيف نسيت ذلك! لم أمنحها الوقت الكافي لشرح ظروفها وأغلقت باب النقاش معها!!

وكانت «منال» مسترخية فجلست في محاولة لتذكر الآيات التي قرأتها في صلاة العشاء، ولما لم تستطع وجدت أن لديها اختلالاً بين كسب عرض زائل وإهمال مواجهة خلود مقيم! نعم لقد أدت صلاتها على عجل لتلحق بالزيارات المتكررة لأخواتها تارة ولصديقاتها وزميلاتها تارات أخرى، لذا قررت تنظيمها لاسيما وأنها تلتهم جل الوقت فترجع متأخرة مما لا يمكنها من الإشراف على عشاء أبنائها ونومهم، وتذكرت بامتعاض ارتيادها الدائم للأسواق بلا هدف محدد، وقفزت على الفور في مخيلتها تلك الساعات المهدرة في المكالمات الهاتفية الطويلة بلا مبرر، لذا عزمت على عدم استخدام الهاتف إلا حسب الحاجة وألا يهدر الوقت فيها، وعزت ذلك كله إلى وجود الفراغ. ترى أي فراغ؟!

نعم، لديها خادمتان فلابد من الاستغناء عن واحدة لتتمكن من الإشراف على منزلها بنفسها، وليكن دافعاً لها للشروع في تنفيذ القرارات بجدية بعد الاستعداد لذلك.

أسندت رأسها المثقل بالآمال ليتحول إلى أحلام منامية حتى فوجئت برنين المنبه واستيقظت فزعة لتؤدي صلاتها وكأنها أحد أفراد سباق اختراق الضاحية وأسرعت لترتدي ملابسها و«نبيل» ابنها مازال محتجاً على الفطيرة. وابنتها «مها» ترفع يدها بالمشط تتوسل إليها لعمل الضفيرة وهي تنهرهما وتشير إلى الخادمة.. وزوجها الذي سيخبرها بقرارات مجلس الإدارة مساء البارحة واختياره رئيساً للمجلس آملاً منها التهنئة، إلا أنها لم تكترث بذلك، وهي تلقي أوامرها للخادمات بالاستعداد للعشاء الليلة حيث دعت زميلاتها لحفلة «مرام» زميلتهن التي تزوجت حديثاً.

وبعد عودتها من عملها تناولت سماعة الهاتف وراحت تدعو زميلاتها في عملها السابق لحضور الحفلة. وفور أن انتهت من المكالمات التي استغرقت وقتاً طويلاً توجهت للسوق لتشتري لها فستاناً يناسب ساعتها الثمينة التي كانت قد اشترتها في وقت سابق!

وما أن اجتمعت المدعوات حتى كان محور حديثهن الثناء على أناقة السيدة «منال» وملاءمة فستانها وعقدها وحذائها وربطة الشعر لساعة الألماس القيمة. عندها طلبت إحداهن الاطلاع عليها متسائلة عن نوع ماركتها فناولت «منال» زميلتها الساعة وأطلقت ضحكتها المجلجلة وكانت إجابتها المفاجئة أن اسمها «ساعة أم أحمد» وقد نسيت أن تغير بطاريتها كأغلب ساعاتها، فهي تشير أبداً إلى الساعة العاشرة وعشر دقائق، تماماً كابتسامة أم أحمد العذبة. ■



لا يوجد علاج شاف حتى الآن:

أطفال متلازمة داون



خالد التركاوي *
الرياض

تعتبر المنغولية أكثر أمراض الصبغيات «الكروموزومات» انتشاراً في الإنسان، إذ يصاب به واحد من كل ٧٠٠ مولود حي، وقد نشر ج.ل. داون **J.L.DOWN** أول وصف مفصل لهذا المرض عام ١٨٦٦، وبفضل مقالته تلك ارتبط اسمه بهذا الداء الذي أصبح معروفاً في الأوساط العلمية بمتلازمة داون «كلمة متلازمة هي المقابل بالعربي لكلمة **SYNDROME** والتي تعني مجموعة مظاهر مرضية تشاهد في سياق واحد، وهي أبلغ في الدلالة على المعنى من كلمة تناذر التي كانت تستخدم سابقاً» ومع هذا فلم يتم اكتشاف علاقة هذا المرض بالصبغي ٢١ حتى عام ١٩٥٩م.

* استشاري طب الأطفال مستشفى الحمادى - الرياض.

انقسام والتحام الصبغيات:

ليتسنى لنا فهم كيفية حدوث هذا المرض وطرق الوقاية منه إن أمكن، لابد لنا أن نلقي الضوء على بنية الصبغيات وآلية عملها، فالخلية كما نعلم هي وحدة البناء الأساسية في الجسم، وتختلف شكلاً ووظيفة باختلاف موقعها والعضو الذي تنتمي إليه، وتحتوي كل خلية في مركزها على مايعرف بالنواة «باستثناء الكريات الحمر التي تفقد نواها أثناء عملية تكونها» ويتوضع في النواة عدد محدد من الجسيمات التي ندعوها بالصبغيات «الكروموسومات» وهي مايميز كل كائن حي عما سواه بما تحويه من معلومات وراثية «الجينات GENES» مدونة بلغة كيميائية فائقة الروعة يحتاج الحديث عنها إلى مقال مطول.

ويختلف عدد الصبغيات في خلية كائن ما، عنه في خلية كائن من نوع آخر، لكنها دوماً ثابتة العدد في النوع الواحد «أربعون في الفأر، ٤٦ في الإنسان» وقد تم ترتيب صبغيات الخلية الإنسانية في ٢٣ زوجاً اعتماداً على خواصها الشكلية، وبينما يتشابه صبغياً كل زوج من الأزواج الإثنين والعشرين الأولى «رغم انحدار كل منهما من أحد الأبوين» يختلف صبغياً الزوج الأخير المسؤولان عن تحديد الجنس لذا سميا بالصبغيات الجنسية تمييزاً لهما عن باقي الصبغيات التي دعيت بالصبغيات الجسمية.

وحينما تتكاثر الخلايا سواء للنمو أو لتعويض النسج التالفة «كما يحدث عند اندمال الجروح مثلاً» تنقسم الخلايا المعنية بالأمر إلى خليتين، ولكي يحدث هذا لابد للخلية الأم من أن تستنسخ المعلومات الوراثية المدونة على صبغياتها، بحيث تحتوي كل خلية فتية على العدد نفسه في نواتها، وتتكرر هذه العملية المتقنة مرات ومرات حسب الحاجة، ويكون الناتج في كل مرة خلايا تشبه الخلية الأصلية من حيث الوظيفة والشكل والمخزون الوراثي.

وتختلف القصة عن هذا بعض الشيء حينما يتعلق الأمر بإنتاج النطف أو البويضات، إذ تنقسم الخلية الأم عبر سلسلة من الخطوات لتنتج خلايا فتية يحتوي كل منها نصف العدد الأصلي في الصبغيات «ومن هنا جاءت تسمية هذه العملية بالانقسام المنصف»، عندها تصبح النطفة أو البويضة حاملة لثلاثة وعشرين صبغياً، بدلاً من ستة وأربعين، وعندما تتحد النطفة بالبويضة يعود مجموع الصبغيات في نواة الخلية الجديدة «البويضة الملقحة» إلى ماكان عليه قبل الانقسام أي ست وأربعين، وبفضل هذا التعاقب المتكرر من الانقسام المنصف والتلقيح يتاح للكائنات الحية فرصة هائلة للتنوع والتميز مع كل جيل جديد.

الصبغي الضال:

تبدأ مأساة الطفل المنغولي غالباً عندما يحدث خلل في عملية الانقسام المنصف، فتنتج نطفة أو بويضة تحتوي نسخة زائدة من الصبغي الحادي والعشرين، مما يرفع عدد صبغياتها إلى أربعة وعشرين بدلاً من ثلاثة وعشرين كما هو مفترض، ولدى اتحاد هذه الخلية الشاذة مع نصفها الآخر ينتج لدينا بويضة ملقحة حاوية على سبعة وأربعين صبغياً، وبآلية لم تكتشف بعد، يعمل وجود هذه النسخة الزائدة من الصبغي ٢١ على إنتاج مظاهر المرض، بل يبدو أن وجود نسخة زائدة من جزء معين من هذا الصبغي «وليس كله» كاف لإطلاق العملية المرضية من عقالها.

ومن الأمور الجديرة بالتأمل ازدياد معدل حدوث المنغولية بازدياد عمر الأم الحامل، إذ تصل نسبة حدوثه لدى حامل بعد سن الأربعين ٢-٥٪ تقريباً، أما بالنسبة لأم شابة في العشرينات من عمرها فإن نسبة حدوث هذا المرض تقارب واحداً في كل ١٥٠٠ مولود حي، ولم تلاحظ أي علاقة مشابهة بين سن الأب ومعدل حدوث المرض ولايوجد أي تفسير مقنع لهذا التفاوت حتى الآن.

الشكل والمضمون:

اكتسب هذا الداء اسمه الشائع للتشابه الكبير بين سحنة المصاب وسحنة المنحدر من أصل منغولي، ويتشابه المرضى به فيما بينهم، حتى ليحسبهم الناظر أخوة توائم، ومن أبرز الصفات الشكلية التي تلحظها عندهم، صغر الرأس وتسطح القفا، وقصر الرقبة وتشوه الأذان مع ارتكازها بشكل واطئ وصغر الأنف مع انخفاض عند قاعدته ونعومة الشعر وخفته، بالإضافة إلى

تشوهات واسعة في الكفين والقدمين، ورخاوة في العضلات وليونة في المفاصل، وانفتاح شبه دائم للفم، مع تبارز اللسان وخشونة الصوت، ولايقتصر الأمر على التشوهات الظاهرة بل يتعداه إلى الأعضاء الداخلية كالقلب، كما لوحظ عند هؤلاء المرضى ميل زائد لاضطرابات الغدة الدرقية ولسرطان الدم، وعدم ثبات المفصل المحوري الأطلسي «وهي نقطة الاتصال بين قاعدة الجمجمة والعمود الفقري».

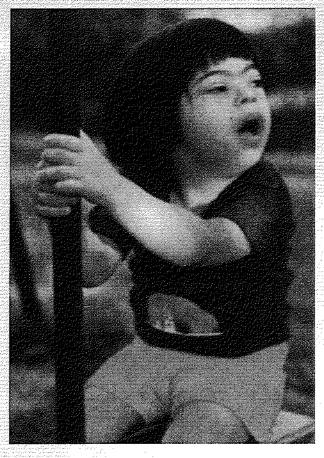
ولعل أسوأ ما في الداء هو التخلف العقلي المصاحب إذ يتراوح معدل الذكاء لديهم مابين ٢٥ ـ ٥٠٪ ونادراً مايرتفع عند البعض إلى قرب الحدود الطبيعية «أي ٨٠٪ وهو الحد الأدنى للذكاء العادي» وهؤلاء المرضى المحظوظون يعانون غالباً من شكل خاص من المنغولية حيث تكون خلايا أجسامهم منقسمة إلى خلايا سليمة «٤٦ صبغياً» وأخرى مريضة «٤٧ صبغياً» ورغم الإعاقة الذهنية التي ذكرنا، فإن الطفل المنغولي مرح وودود على الغالب، يستمتع بصحبة الآخرين ويشاركهم لعبهم.

النمو لدى مرضى المنغولية أبطأ منه عند الأصحاء، ويصل أحدهم إلى منتهى نموه في عمر الخامسة عشر تقريباً، وتتحسن الرخاوة العضلية مع مرور الزمن إلا أن القدرة على تنسيق الحركات تبقى ضعيفة.

نادراًماينضج الذكور جنسياً، والعقم هو القاعدة لديهم، أما في الإناث فالنضج أكمل وقد تحيض الفتاة وربما أصبحت قادرة على الإنجاب.

علاج أم وقاية:

لايوجد علاج شاف حتى الآن، والتحسن البسيط الذي يصاحب العلاج الفيزيائي في السنين الأولى من العمر كان مخيباً للآمال على المدى البعيد، وينصب العلاج أساساً على علاج الحالات المرافقة، كآفات القلب الخلقية وتصحيحها جراحياً، ومعالجة مشاكل الغدة الدرقية عند حصولها والوقاية من انضغاط الحبل الشوكي الذي قد ينجم عند تعرض المفصل المحوري الأطلسي إلى الخلع بسبب الرضوض المعتدلة الشدة، ويلعب التدريب المهني وفصول التثقيف الخاصة دوراً كبيراً في إغناء حياة هؤلاء الأطفال ومساعدتهم على



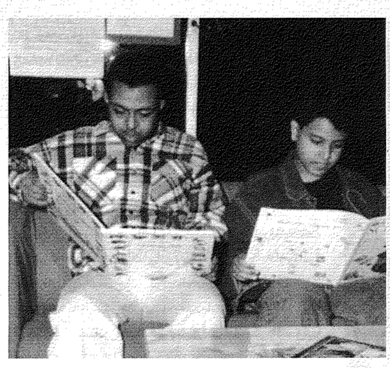
تحصيل أقصى مايستطيعون الحصول عليه.

وبسبب هذا الإخفاق في حقل العلاج، تركز الجهد على محاولة تشخيص المرض قبل الولادة، وإسداء المشورة الوراثية لمن يرزق بمولود مصاب.

يعتمد تشخيص المرض قبل ولادة الطفل على قياس عدة مركبات في دم الأم الحامل إذ يرتفع بعضها «HCG» وينخفض البعض الآخر «FREE ESTRIOL, ALFHA FP» وعلى الفحص بالأمواج الصوتية USS وغالباً ماتجري هذه الفحوص مجتمعة لتعطي قدراً أكبر من الثقة بصحة التشخيص.

أما الفحص الدامغ والمشخص للمرض فهو إجراء بزل السائل الأمنيوسي المحيط بالجنين وأخذ عينة من خلايا الأغشية المحيطة به، ومن ثم معرفة حالة الصبغيات في هذه الخلايا، وتقرير ما إذا كان الجنين مصاباً أم لا.

السؤال المقلق الذي يطرح نفسه هنا: ثم ماذا؟ ما العمل إذا لم يكن هناك من علاج؟ ما الفائدة من المعرفة المسبقة لمرض الجنين إذا لم يكن باستطاعتنا مساعدته؟ لاتوجد إجابة سهلة على تساؤلات كهذه لكن هذا يقودنا



إلى مانسميه بالمشورة الوراثية.

المشورة الوراثية:

حينما يولد طفل منغولي في عائلة ما يتساءل الأهل كيف حصل هذا؟ ولماذا نحن؟ وهل من وسيلة لمعرفة إذا ماكنا سنرزق مستقبلاً بأولاد أخر مصابين؟... ولإعطاء إجابة دقيقة على تساؤلات كهذه يجب علينا أولاً أن نحدد نوع الإصابة لدى هذا الطفل وهل نشأت فيه ابتداءً، أم أنها من النوع المورث الذي انتقل إليه عبر أحد والديه.

وكما أسلفنا فإن معظم هؤلاء الأطفال يولد حاملاً في خلاياه لسبعة وأربعين صبغياً منها ثلاثة نسخ من الصبغي الحادي والعشرين «لذا دعيت هذه الحالة بتثلث الصبغي ٢١» وقد أثبتت الدراسات أن نسبة ولادة طفل آخر مصاب بالمنغولية في عائلة كهذه لايختلف عنه لدى أية عائلة أخرى بدون مصابين وتقدر هذه النسبة بـ١٪.

أما الحالات القليلة المتبقية فهي ماينجم عن اضطراب صبغي يدعى انتقال المواقع الصبغية Translocation حيث يكون العدد الكلي للصبغيات في الخلية طبيعياً، أي ستاً وأربعين، لكن مع وجود قطعة زائدة من الصبغي الحادي والعشرين التحمت مع صبغي آخر «قد يكون الصبغي رقم ١٤ أو إحدى نسختي الصبغي ٢١ ذاته». وتنشأ نصف هذه الحالات تقريباً في الجنين ابتداءً، دون أن يكون موروثاً، أما النصف الآخر فيتم فيه انتقال الاضطراب الصبغي من أب أو أم حامل للمرض دون أن يكون مصاباً به، وهنا يلعب جنس الوالد الناقل للمرض وطبيعة الآفة الصبغية دوراً في تحديد نسبة الإصابة مستقبلاً. فإذا كان المرض ناجماً عن انتقال المواقع الصبغية «٢١ـ ١٤» ـ حيث تكون القطعة الزائغة من الصبغي ٢١ ملتحمة بالصبغي ١٤ ـ فإن نسبة ظهور المنغولية في مواليد الحمول التالية تبلغ ٥٪ إذا كان الأب هو مصدر الاضطراب الصبغي، ويكون ثلث المواليد ناقلين للمرض دون أن يصابوا به تماماً كما هي الحال عند والدهم. أما إن كانت الأم هي المصدر فإن نسبة المصابين بالمنغولية من أولادها قد تبلغ ١٠ ـ ١٥٪ كما أن نسبة الناقلين للمرض غير المصابين به قد تصل إلى النصف.

أما في حالة انتقال المواقع «٢١ ـ ٢١» فإن العيب يورث إلى أجنة الحمول اللاحقة كلهم بغض النظر عن المصدر «الأب أو الأم» ويكون المواليد جميعهم مصابين بالمنغولية.

وباختصار فإن ولادة طفل مصاب بالمنغولية يجب أن يكون بداية لبحث منظم يستهدف معرفة نوع الإصابة أولاً، «أهي تثلث أم انتقال مواقع»، فإذا وجد أنها نجمت عن انتقال للمواقع وجب عندها فحص صبغيات الوالدين لمعرفة إن كان أيٌ منهما قد وَرَّثَ الآفة للمولود ومن ثم إسداء النصيحة حسب الحال تاركين للوالدين حرية اتخاذ القرار بعد التأكد من أنهما قد فهما تماماً عاقبة ماسيقررا.

آفاق المستقبل

أسئلة ملأى بالمرارة وحيرة تعكس عجزاً عن كنه المجهول فضلاً عن رده، هذا هو واقع الحال بالنسبة لكثير من الأُسَر المبتلاة بطفل منغولي، لكن المستقبل يعد بالكثير فالبحث العلمي الجاد سيصل بإذن الله إلى إجابات أكثر وضوحاً عن الكثير من تساؤلاتنا، وحادينا في هذا الأمل قوله ﷺ «تداووا عباد الله فإن الله ما أنزل من داء إلا وأنزل معه دواء إلا الموت» والله أعلم. ■



حظي «صندوق التكافل الاجتماعي» بترحيب من أعضاء منسوبي وزارة المعارف الذي بدئ العمل به مؤخراً بوصفه أحد صور التعاون على البر والتقوى وأحد صور التكاتف والتعاضد بين المجتمع المؤمن.

ومن أجل هذا الهدف النبيل الذي يعد واحداً من مميزات ديننا الحنيف أقر وزير المعارف الدكتور محمد بن أحمد الرشيد العمل بهذا «الصندوق» لزرع روح المحبة والإخاء بين منسوبي الوزارة.

صندوق التكافل الاجتماعي بالوزارة

قروض وتبرعات للزواج والمواليد والتقاعد والوفاة

وفيما يلي نستعرض البنود التنظيمية لهذا الصندوق:

أهداف الصندوق :

يهدف الصندوق إلى تنمية العلاقات الإنسانية والاجتماعية بين منسوبي التعليم عن طريق توثيق الروابط الاجتماعية والإنسانية بين منسوبي الوزارة، وتقديم القروض للأعضاء، وتقديم المساعدات المالية للأعضاء، وتشجيع الأنشطة الاجتماعية المتنوعة (كالرحلات، والمحاضرات الثقافية والألعاب الرياضية...إلخ) في بيئة العمل.

وتحفيز الموظفين وحثهم على العمل والإنتاج والإبداع والتجديد.

العضوية :

العضوية في صندوق التكافل الاجتماعي اختيارية وهي مفتوحة لجميع منسوبي الوزارة.

ويعد كل من يشترك في الصندوق عضواً مشاركاً من أعضاء الجمعية العمومية. وتسقط عضوية المشترك عند عدم التزامه بسداد النسبة المئوية المطلوبة منه، أو عند انتهاء فترة عمله، أو تقاعده، ويحق لكل من يشترك في الصندوق حضور جلسات الجمعية العمومية، وترشيح نفسه لعضوية مجلس الإدارة.

رسم العضوية في الصندوق :

يتم اقتطاع رسم العضوية من الراتب، وذلك بنسبة مئوية قدرها (١٪) شهرياً من راتب كل عضو.

الهيكل التنظيمي :

للصندوق جمعية عمومية تضم الأعضاء المشتركين فيه كافة، ويشكل مجلس لإدارة الصندوق كل أربع سنوات من أعضاء يختارون عن طريق الانتخاب من قبل أعضاء الجمعية العمومية، ويشرف على الصندوق الرئيس الأعلى للجهاز التعليمي، أو من ينيبه.

ويختار مجلس الإدارة من بين أعضائه رئيساً ونائباً للرئيس وأمينا للصندوق وسكرتيراً (متفرغاً).

ويجوز لعضو مجلس الإدارة أن يرشح نفسه مرة أخرى لمدة ثانية فقط ويشترط فيمن يرشح نفسه لمجلس الإدارة أن يسلم ترشيحه إلى سكرتير الإدارة بعد الإعلان عن فتح باب الترشيح إلى ما قبل الانتخابات بخمسة عشر يوماً على الأقل.

وإذا كان عدد المرشحين لعضوية مجلس الإدارة مساوياً لعدد الأعضاء المطلوب انتخابهم فاز المرشحون

لعضوية مجلس الإدارة بالتزكية، وعند خلو مكان عضو للمجلس يحل محله العضو الحاصل على أكبر عدد من الأصوات بعد الذين تم انتخابهم.

ميزانية الصندوق :

تتكون الموارد المالية للصندوق مما يأتي:

-اشتراكات الأعضاء الشهرية.
- عوائد استثمار أموال الصندوق.
- الهبات والتبرعات التي يقبلها المجلس.

القروض :

يقدم الصندوق لكل عضو بناء على طلبه ولأسباب مقنعة توافق عليها اللجنة قرضاً وفق الضوابط التالية:

- أن يكون لدى الصندوق سيولة مالية يمكن الإقراض منها، على ألا يزيد مجموع القروض على (٢٥٪) من موجودات الصندوق النقدية.
- ألا يزيد مبلغ القرض عن راتب ثلاثة أشهر.
- أن يتعهد المقترض بالسداد خلال مدة زمنية لا تزيد على سنة، وذلك بموجب أقساط شهرية متساوية تقتطع من راتبه وفق الاتفاق، على ألا يزيد القسط الشهري على ربع الراتب الأساسي.
- أن يكون العضو قد أمضى على الأقل عاماً عضواً في الصندوق.
-لا يحق للمقترض أن يحصل على قرض آخر إلا بعد مرور سنة على سداد آخر قسط من القرض السابق.

يقدم الصندوق لكل عضو من أعضائه التبرعات التالية

١	٥,٠٠٠	في حالة الزواج.
٢	٥,٠٠٠	في حالة التقاعد أو الاستقالة بشرط ألا تقل مدة العضوية عن ثلاث سنوات متواصلة عند ترك الخدمة.
٣	٥٠٠	عندما يرزق مولوداً.
٤	١٠,٠٠٠	في حالة دفع الدية.
٥	١٥,٠٠٠	في حالة الإعاقة–لاقدر الله–.
٦	٢٠,٠٠٠	في حالة الوفاة.

المعونات والتبرعات والهدايا :

ويقدم الصندوق هدايا عينية عند الترقية أو التعيين لموظف جديد أو عيادة مريض، ويحق لمجلس الإدارة أن يقرر نوع التبرع أو الهدية، وذلك طبقاً لما يأتي:

- أن يتقدم طالب المعونة أو التبرع بطلب إلى رئيس مجلس الإدارة.
- أن تقرر اللجنة التي يشكلها مجلس الإدار إمكانية تقديم المعونة أو التبرع.

ألا يكون طالب المعونة أو التبرع قد سبق له التقدم بطلب خلال السنة المالية.

ويحق لمجلس الإدارة تحديد التفاصيل الإجرائية التي تنظم تقديم التبرعات أو المعونات لعضو الصندوق.

الأنشطة الثقافية والاجتماعية والترفيهية :

ينظم الصندوق لأعضائه أنشطة اجتماعية وثقافية ورياضية، ويقدم الدعم المالي لهذه الأنشطة بما لا يزيد على ١٥٪ من ميزانية الصندوق. ■





الأسرة ووسائل الإعلام

هل مازال باستطاعة الأسرة أن تغلق الأبواب والنوافذ في وجه ثورة وسائل الإعلام التي قاربت بين الأمم والشعوب والثقافات حيث غدت القوة الإعلامية تملك من الوهج ما قد لا تملكه حكمة أسرية أو توجيه أبوي..

إن رجحان ميزان الصراع لصالح الفضائيات والإنترنت يهدد مكانة الأسرة وقد يجعلها أمام أفرادها بلا حول ولا قوة، وربما ألغى دورها.

بعض التربويين يؤكدون على تحصين أفراد الأسرة ضد سلبيات وسائل الإعلام باعتبار ذلك استراتيجية ذاتية تمنع الخطر مع إبقاء الأبواب مفتوحة. ويرى آخرون إغلاق الأبواب في وجه هذه الوسائل ومنعها من دخول المنزل لئلا تستشري سلبياتها بين أفراد الأسرة، وأمام هذا الصراع كيف يرى قارئ المعرفة هذا الموضوع:

> هل يكون الحل بمقاطعة وسائل الإعلام وإغلاق النوافذ؟

> هل التحصين هو الحل المناسب؟ كيف، وهل بمقدورنا فعل ذلك؟

المعرفة

هل يلتقيان؟

إبراهيم عبدالرازق آل إبراهيم

قطر

الأسرة هي النواة الأولى لحركة الحياة، بل ولصناعة رجال الحياة من خلال أفرادها. هي التي تحرك أفرادها داخل الأسرة أو خارجها من خلال المجتمع بمناشطه المتعددة إيجاباً أو سلباً.

ولكن وجدنا من ينافس الأسرة منافسة شديدة جداً، بلا هوادة، ألا وهي وسائل الإعلام. أصبحت هذه الوسائل هي المحرك الرئيس والموجه للأسرة في وقتنا الحالي، عصر الانفتاح على كل شيء.

لم يعد هناك أدنى تردد في القول أن عصرنا الحالي هو عصر الإعلام بوسائله المتنوعه، ليس لأن الإعلام إطار جديد من عمر الإنسانية، بل لأن الإعلام المتطور قد بلغ آفاقاً أوسع مع عمق الأثر وقوة التوجيه. وكلما كانت الوسيلة الإعلامية أكثر قوة وفاعلية وتأثيراً، كانت المسؤولية مضاعفة وأشد.

ونحن هنا لانريد أن نفرض مبدأ «إدارة الظهر» لوسائل الإعلام حرصاً على الأسرة وأفرادها، بمعنى أن نهجر ونقاطع أي وسيلة إعلامية بحجة خوفنا على الأبناء من أن يتشربوا المفاسد وتتخلخل الأخلاق وتتزعزع العقيدة، ولكن نريد أن تتعامل الأسرة مع هذه الوسائل بكل حرية وإيجابية، أي حرية منضبطة ذات حدود وشروط نابعة من توجيهات الشرع الحكيم، وإيجابية بمعنى استثمار الصالح منها والنافع. وعلى الأسرة أن تحصن أفرادها التحصين الواعي من خلال عقيدتنا وقيمنا ومبادئنا وثوابت المشروع الحضاري الخالد، وهذا لايأتي إلا من خلال التوجيه الحكيم والإرشاد السديد والرعاية المتكاملة والإحاطة بمنجزات العصر وأهميتها والتشجيع المستمر وتعاون الأسرة مع الوسائط المجتمعية المختلفة.

فالمسؤولية الأولى تقع على الأسرة في تربية أبنائها، في أي وقت من الأوقات، وفي أي ظرف من الظروف «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته...». ومما يؤسف له، أن كثيراً من الأسر في مجتمعاتنا أصيب بداء اللامبالاة وترك الحبل على غاربه، وكأن الرعاية فقط توفير «الطعام والملبس وتحصيل المال والتعليم والرعاية الصحية». إن المميزات التي تتمتع بها وسائل الإعلام الحضارية لها أثر كبير على توجيه حركة أفراد الأسرة. فهذه الوسائل تتميز بأن:

- اتصالها دائم.
- برامجها المعروضة شديدة الجذب.
- حركتها ديناميكية.
- بدائلها متعددة بداخل وسيلة واحدة.
- نطاق اتصالها متسع.
- تأثير حركتها متعدد.

أصلحوا المراكب وتعلموا السباحة

ناصر النايض الصراع
حائل

نحن دائماً ننادي بمقولة الأمس: «دور البيت والمدرسة في تربية وتوجيه النشء» ويتردد على مسامعنا كثيراً القول: «بضرورة تعاون البيت والمدرسة».

ألفنا هذه العبارة ودائماً نشدد على تماسكها باعتبارها صمام الأمان ضد أي طارئ سلوكي يؤثر سلباً على تربية أبنائنا وبناتنا.

إننا بالقدر الذي لا ننكر فيه هذا الدور يجب أيضاً أن لا نفرده أو لا نظنه كافياً وذلك لتغير الكثير من مجريات الأمور في هذا العصر، فالتطور المذهل السريع والنقلة التي نعيشها في هذا العصر قلبت الموازين بشكل مفاجئ، وأدت بالكثيرين منا إلى الاستغراب والاغتراب، حيث نذكر في الماضي أن المنزل والمدرسة -كما يؤكد على دورهما المربون- هما كل شيء في نظر الطفل والتلميذ.

- ففي المنزل الأب قريب من أولاده وكذلك الأم وقريب منهما الجيران والأقارب فالنصح والإرشاد والزيارات المتبادلة وتبادل المنافع اليومية والشؤون الحياتية تصلح الأمور وتبهج الصدور.

- وفي المدرسة يقضي التلميذ وقتاً للدراسة منذ الصباح الباكر وحتى وقت الظهيرة يعقبه نشاط يمارس بعد العصر، وفي المساء لا سهر ولا ضجر بل استرخاء ونوم بعد مذاكرة أو جلسة مسامرة. فالبيت والمدرسة هما المؤثران في حياة الفرد. أما الآن فلقد اتسع النطاق ليشمل الأندية وأماكن الترفيه ووسائل النقل المتنوعة وقنوات الاتصال المتعددة. وعليه فقد «اتسع الخرق على الراقع» كما يقول المثل. غير أن هذه الأمور تفرضها حتمية التطور وستكون جيدة متى واكبت تطلعاتنا وتمشت مع ثقافتنا واهتماماتنا. غير أننا نلمس أثر قنوات الاتصال السلبي على المجال التربوي إن لم نحصن أنفسنا ضد ضررها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. فالأمر أصبح ظاهرة اجتماعية تحتاج إلى وقفة وتمعن ودراسة وحلول ناجعة وبدائل جيدة لدرء الخطر عن ثقافة الأمة وسلامة فطرتها، فنحن لا نستطيع أن نصد هذا التيار الجارف بل علينا إصلاح مراكب ملاحتنا لنعمل ما استطعنا لنشر ثقافتنا ومعطياتنا من خلال الإعلام بكافة قنواته. فتكثيف التوعية والتوجيه من خلال توعية أفراد الأسرة بالبرامج التوجيهية كأن تعرض برامج توعوية بواسطة التلفاز وقت الظهيرة والمغرب وهما الفترتان اللتان يلتم فيهما شمل الأسرة من بعد عناء.

إضافة إلى حث أفراد الأسرة على القراءة فالقراءة تصقل الذهن وتولد الخبرة. وكذا إيجاد مواقع على الإنترنت بكثافة لعرض التوجيهات المتعددة والتعريف بهويتنا وموروثنا وثقافتنا.

فالمدرسة والمنزل دورهما في هذا العصر ضيق أمام هذا الاجتياح العالمي. فنحن لا نستطيع أن نوصد النوافذ في وجه هذه التيارات الهوائية الوافدة تماماً مثل عدم استطاعتنا منع الهواء الذي يهب تارة ليحمل الأكسجين الذي نحتاجه وتارة يهب عاتياً ليحمل الغبار والجراثيم والأتربة قسراً -لاسمح الله- شئنا أم أبينا. وها نحن نعيش عصر العولمة فنحن أمام الخضم، وفي هذه الحالة لا يكفي النصح بعدم التعرض للغرق بل علينا تعلم السباحة وركوب البحر. ■

فامتلاك الرؤية المستقبلية الحضارية الواضحة لوسائلنا الإعلامية، على الأقل تلك التي تحت سيطرتنا، تتطلب النظر في القائمين على إدارتها والموجهين لحركتها أن يكونوا على مستوى حضاري لامستوى المقلد التابع «كما هو موجود الآن للأسف الشديد»، يراعون فيه مصلحة الأسرة والمجتمع وبناء الإنسان الصالح بل واستثماره الاستثمار النافع. وهذه الرؤية الحضارية تتحقق بخطوات أساسية ثلاث وهي:

- الاستيعاب الواعي لحركة الماضي بما فيه من إيجابيات وسلبيات.
- الفقه الشامل لحركة الواقع.
- الاستشراف للمستقبل بروية واتزان.

تُرى هل ستكون أسرنا بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقها، أم تترك الأبناء يفعلون كما يريدون من غير توجيه وإرشاد؟!

وهل ستكون وسائلنا الإعلامية ورجالات الإعلام كذلك بمستوى المسؤولية الملقاة على عاتقهم، أم سيدمرون ماتبنيه الأسرة والمدرسة والمناشط الاجتماعية الأخرى؟! متى ستلتقي الأسرة ووسائل الإعلام على فلسفة ومنهجية وأرضية مشتركة ورؤية واضحة في إدارة أفراد المجتمع الإدارة الفاعلة التي ترفع من شأن الإنسان؟؟ كل هذا ممكن إذا تعاونا وجعلت وسائل الإعلام همها الأول والأخير تحقيق إصلاح المجتمع وبنائه وتعزيز قوته «أخلاقياً، سلوكياً، فكرياً، ثقافياً، علمياً، ترويحياً، اجتماعياً، وحضارياً». ■

المقاطعة غير منطقية.. ولكن

احمد حسن الصفار
الأحساء

إن لكل شيء في هذا الكون أنظمة وقوانين سنّها البارئ جلّ وعلا، ومتى ما اختلت هذه الأنظمة اختل الكون. والاختلال بطبيعة الحال يكون سببه الإنسان. ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾. ومانسمعه عن ثقب طبقة الأوزون وأسباب هذا الثقب لهو دليل واضح عن عبث الإنسان بهذا الكون.

ومن مظاهر الفساد في هذا الكون سوء استخدام وسائل الإعلام، فوسائل الإعلام والتطور الحاصل المذهل في تقنياتها بقدر ما خدما الإنسانية فقد أضرا بها وأفسداها، وليس خافياً أين يكمن العطب والعيب، فوسائل الإعلام نفسها من آلات وأقمار وفضائيات و«إنترنت» ليست بيت القصيد.

العيب وسبب المشكلات فيمن يديرها، ويحركها، ويقنن برامجها.. وأيضاً عند مروجيها ومستقبلي هذه السموم بالصدر الحنون والتصفير والتزمير تحت شعار «الناس أحرار».

من هنا تقع المسؤولية وثقلها على رب الأسرة وعائلها بادئاً بنفسه. فمن غير المتوقع أن يخرج رجل صالح، أو شاب مستقيم، أو بنت محجبة داخلياً وخارجياً، عفيفة الجوهر والمنظر من منزل عائله مفرط برعيته.

إذا كان رب البيت للدفّ ضارباً
فشيمة أهل البيت كلّهم الرقص

كثير من الآباء يتّبع الفضائيات الآسنة، ويتمنى صادقاً ألا يسير أبناؤه على شاكلته، ويحاول ألا يروه ملوثاً بهذه الأمراض لكي لا تنتقل العدوى!

مع هذا كله فإن مسألة مقاطعة وسائل الإعلام غير

علينا أن نوجد البديل

فؤاد أحمد البراهيم
الأحساء

«التلفزيون» في الأسرة له دوره في التنشئة الاجتماعية، فلا غرابة إذ يعد الأب الثالث لمشاركته الوالدين في تشكيل سلوك الأبناء، وله كلمته التي يقولها للأجيال الناشئة. وعلى «طبق» فوق منازلنا يقدم لنا «غذاء» يصنعه الغير، فهل نجعل أبناءنا «يتغذون» بطعام «غيرنا»!؟

إننا في عصر تداخل المجتمعات وتحاور الثقافات فمن خلال الشاشة بإمكان المشاهد أن يسافر إلى أي قطر حول الأرض، فالعالم كله يطل على بعضه بعضاً عبر نافذة البث المفتوح. وأصبحت القنوات الفضائية قادرة على تلقين الأفراد وسائل الانخراط والتأثير على النسيج الاجتماعي. الإعلام الفضائي كأي شيء في الحياة له وجهان: مشرق، ومعتم. فمن خلاله يمكن الإطلاع الثقافي والاجتماعي وعلى عدة أوطان عربية وعالمية. ولقد تحقق من نافذته ما لم يتحقق من قبل، وكوسيلة من وسائل الترفيه التي لاغنى عنها للأسرة. غير أن الإعلام الفضائي - من خلال قنواته وبرامجه الفضائية التي بدأت في التنافس على المشاهدين والجري وراء متطلبات الإثارة لاستقطاب شريحة عريضة من المشاهدين - أفرغ الإعلام من محتواه الحقيقي. تلك القنوات قد وجدت قاعدتها الجماهيرية التي بدأت تتسع يوماً بعد يوم وبشكل هائل، وأصبحت حديث الكثير في مجالسهم وتسامرهم، مما أكسبها أرضية لاجدال عليها وكان شعارها في ذلك «الإعلامية» التي غطت على الموضوعية والحيادية في

منطقية، بل مستحيلة. فإن استطاع رب الأسرة وعائلها إحكام سيطرته داخل منزله، فليس باستطاعته إحكامها خارجه.

كذلك من المعروف اليوم أن الأمي هو من لايستطيع التعامل مع هذه الوسائل وأقصد «الإنترنت» والحاسوب بشكل عام. ونحن في وقت تتسارع فيه الخطوات في كل ساعة. فهل من العقل حبس أبنائنا ومن ثم نطالبهم بالتقدم والرقي وهم لايعرفون سوى أسماء هذه الآلات؟

إذاً لم يبق سوى التحصين.. نعم التحصين هو الحل الأنسب والأصلح أيضاً.

كيف نحصن أبناءنا؟

– من سياق المقدمة يتضح أن أول خطوة نحو التحصين هي حصانة المسؤول نفسه... الحصانة الذاتية، فلا ينهي عن شيء ويأتيه ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ وقال تعالى: ﴿إن الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ فلا يُتعِب الناصح نفسه وهو ليس بمنتصح فيما ينصح، قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

– تعليم الأبناء من صغرهم الأحكام الشرعية مصاحبة المناسبة من حلال وحرام وجائز وغير ذلك.. على قدر مايدركون ويفهمون بحيث لايكبر الواحد منهم إلا ولديه شبه إلمام بحكم مايسمع ومايرى.

– وضع تلفزيون واحد في صالة المنزل، وإن تعذر واستثقل ذلك فعلى المسؤول «فلترة» المحطات الفضائية المعروفة بالتفسخ الخلقي، والبرامج الماجنة.

– أن يعقد مسؤول الأسرة حلقات ذكر تذكيرية «متواضعة» لأسرته مبيناً أهمية الأخلاق الحسنة، والتداعيات المصاحبة لسوء الأخلاق والانفلات الأخلاقي، مع ضرب الأمثلة لواقع الشعوب والدول.

– محاولة غرس المراقبة الذاتية في الأبناء، والمرشد الذاتي لهم، بحيث لايقومون بعمل إلا وضميرهم حارس عليهم، ورادع وزاجر ومؤنب على الفعل السيىء.

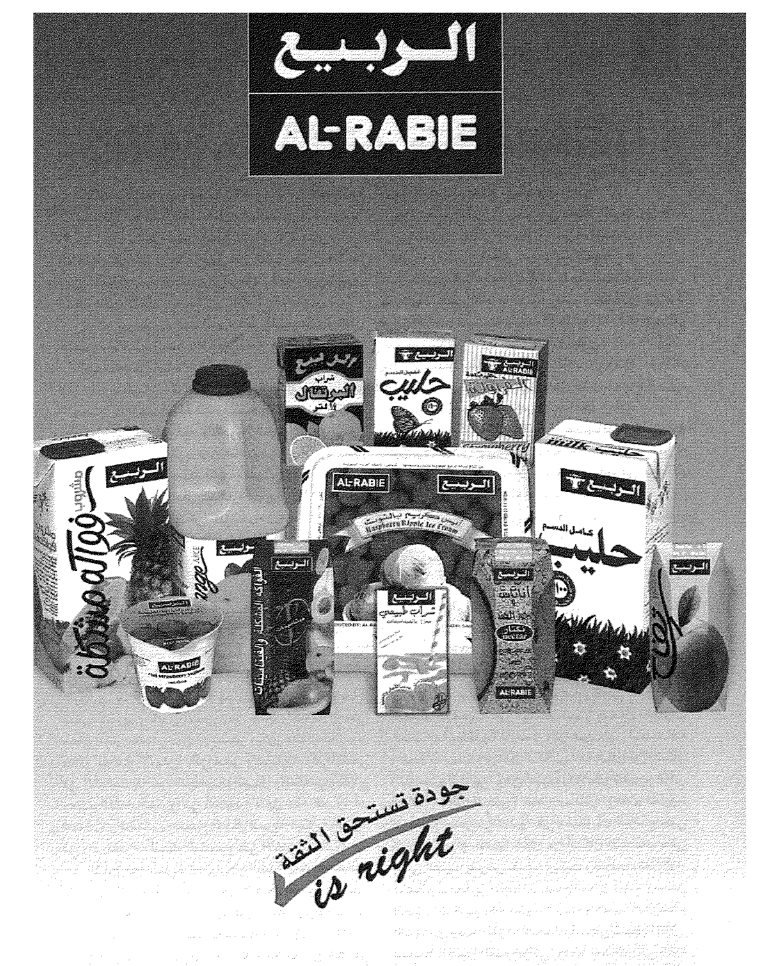
هذا كله لايأتي في عشية وضحاها، ولا في طرفة عين، ولا بالصراخ والضرب والشتم.

﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، ويرجو مرضاة الله.

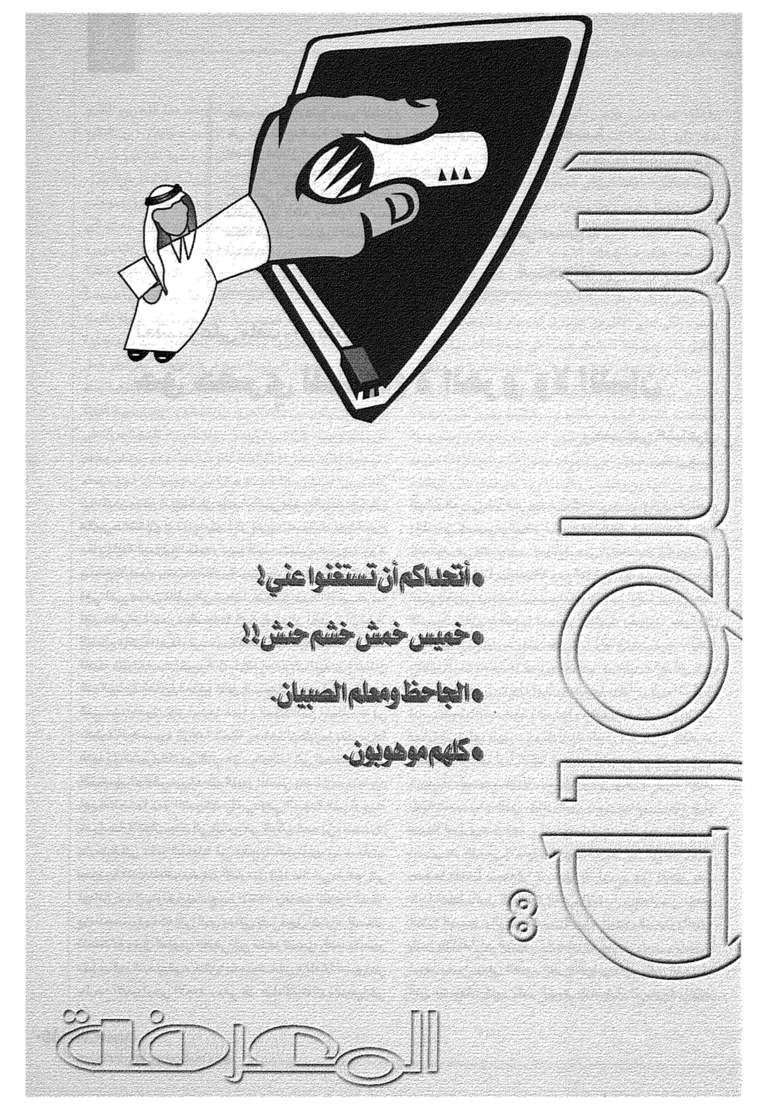
ولاننسى قوله تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾ ■

العرض. لقد أُفرغ الإعلام من رسالته الإيجابية حتى بدأ ينظر للمشاهد بأنه مستهلك من الدرجة الأولى، ويمكن اللعب على أحاسيسه الخاصة، وإنه مسلوب التفكير والإرادة. ومكمن الخطر في التوجيه غير المباشر للإعلام الإبهاري؛ فالإنسان بطبيعته يحاول الوقوف على وجهات النظر الأخرى ومالدى الآخرين من تقدم، ولكنه ينزلق على سطح أملس منحدر دون أن يشعر ويكون ذلك - مثلاً - من خلال البرامج الإبهارية التي تدعي «الحوارية» وهي لاتنمي في المشاهد إلا حب اللجاجة والجدل والانتصار للرأي وعدم اللقاء الفكري في الحوار. فهل هذه الحوارات المتعددة والمتعاكسة تفسح المجال للحرية الفكرية أم تزيد في ردم القدرات للحكم الصحيح على الأمور الحياتية؟

الفارق بين «حرية الحوار» و«البلبلة الفكرية» شعرة تحددها فلسفة القائمين على العمل الحواري. البث المفتوح نافذة نطل من خلالها على العالم ولربما حملت إلينا الهواء الملوث! ولكننا لانستطيع أن نوصد الأبواب ونغلق النوافذ وننزوي في قعر الدار بحجة أن الكل في الخارج متربص بنا وبثقافتنا، وثمة أمل ولنشعل شمعة خير من أن نلعن الظلام. والوقاية ضد الأوبئة الإعلامية ليس لها دواء إلا بتكوين المناعة التثقيفية وتقوية البناء العقلي والنفسي والروحي للمشاهد وتكوين المناعة والحصانة لديه بصنع الرقيب الداخلي. فالرقيب الخارجي قد دُق مسمار نعشه! وحينما يحس المشاهد بالمسؤولية يبدي رأيه في البرامج وتتنمى لديه الروح الناقدة الباحثة عن الجيد. فهو يتصل بالقنوات الفضائية يطالبها بالجيد ومن على منبر الصحافة والمجلات يشجع وينقد. فالصحافة شكل من أشكال التواصل المعرفي، وهي السبيل الأمثل لتقويم الرأي العام إزاء البث المفتوح. فعلى وسائل الإعلام المقروءة أن يتسع صدرها للتعليق على مستويات البرامج حتى تتهذب الأذواق، ففيها شكل من أشكال الانتخاب حتى يبقى الجيد يفرض نفسه ويثبت وجوده. ونحن إزاء الإعلام الإبهاري علينا أن نضع البديل المقنع ونجعل الخيارات الجيدة مفتوحة وندعو إليها. فالإعلام السعودي وقناة «إقرأ» الفضائية - على سبيل المثال - فيهما الكثير المقنع الراقي، وهما يصلان إلى كافة أنحاء العالم عبر الأقمار الصناعية ليقدما شيئاً من الرسالة الإعلامية المطلوبة ■



الربيع
AL-RABIE
جودة تستحق الثقة
is right


• أتحداكم أن تستغنوا عني!
• خميس خمش خشم حنش!!
• الجاحظ ومعلم الصبيان.
• كلهم موهوبون.
المعرفة



هذه «سبورة» تفتح يديها للجميع.
هي ليست صفحة القراء - كما في المطبوعات الأخرى - مخصصة للصغار فقط!
«سبورة» أسميناها هذا الاسم محاكاة للسبورة إياها..
تلك التي يكتب فيها المعلم والطالب معاً..
يُكتب فيها العلم ومحاولات التعلّم جنباً إلى جنب.
هكذا هي إذن سبورة المعرفة للكبار والصغار معاً.. هي للجميع بلا استثناء.

المعرفة

تعقيباً على ملف «الوطنية»:

حق حصري للمنهج لا العرق ولا اللسان

محمد علي الشاعري

محايل عسير

كان منتظراً، بل كان ملحاً، أعني ملف «الوطنية كائن هلامي». انتظاره له دواعٍ منها أن طرح «المعرفة» المجلة طرح مقنع لكافة الشرائح لجدته ومصداقيته وتأطيره للطرح، فهو لا يسمح بالجنوح وضبابية الرؤية حتى ولو تباينت ألوان الطيف، وهي التي حرص الملف على جعلها حزمة ضوء سالمة من نفاذية الإشعاعات المضرة بالصحة الفكرية مع أن الملف كان قابلاً للتأجيج،ولكن «المعرفة» ليست مكانه، فمكانه هناك حيث «الأدلجة» المقيتة والمزايدات الرخيصة، وأما إلحاحه فلأن الموضوع تحتاج إليه الساحة الفكرية العربية بفعل الترسبات والتجاذبات الفكرية التي عشناها وإن كان آخرها صراع العولة الذي أخذنا معه في «الطوشة»، فصورة الوطنية الحقة بحاجة لتجليتها بعد موجة القومية العربية الكبرى التي هوت بالوطنية إلى الحضيض في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي بعد أن جردتها من أهم أسلحتها وهو المنهج الإسلامي، وهي الحقبة التي أوجدت شريحة لا تزال بيننا إلى اليوم في الوطن العربي، انحدرت بالوطنية إلى حقبة الجاهلية في عصبية ممقوتة ووسط شعارات ممجوجة فتتت المعتقد وشتتت الفكر، بل إنها غلت في طرحها إلى أن اتزرت بالاشتراكية و«أدلجت» الانتماء وأفرغت القومية العربية من مضمونها الديني الذي يرتقي بها فوق أشواك الحدود المصطنعة وفوق العنصر العرقي إلى ما هو أسمى وأعم، واستمر بها حال «التخبيص» حتى أصبحت صورة للفكر الشيوعي بطرحه الأيديولوجي الأجوف، وفي ظل هذا الانحدار بالوطنية في العالم العربي طرأ فكر جديد تمثله شريحة معارضة للطرح «القومي العربي»، للوطنية تدرج هذا الفكر في غلوه إلى حد التصوف في تشدده ضد الوطنية، حتى اتهمت هذه الشريحة كل من ادعى الوطنية «بالعلمنة»، ومع أننا مع هؤلاء في رفض أدلجة الفكر العربي وسلخه من مرجعيته، ومعهم أيضاً في أن بعض القوميين العرب عصفوا بضمير الوطنية، وجعلوها مطية لكل رذيلة. بل إنهم أول من فض بكارتها وأطاح بشرفها، لكننا بالمقابل لسنا مع وأدها فهي بيئة الدين ووعاؤه، والفراش الذي يتوسده المسلمون- داراً وأهلاً ومضجعاً وولداً- ولأن «المسكينة» ليست مسؤولة عمن دنس شرفها وجعلها مطية للينين وماركس وماوتسي تونغ، وليست مسؤولة«المسكينة» عمن أزاح اللثام عن عفتها، وألبسها لوناً كاكياً أو وردياً أو وضع في قدمها كعباً باريسياً، وليست مسؤولة «المسكينة» عمن جعل صدرها الطاهر مطية «للعم» سام، الذي نحتفل اليوم ونحن صاغرون بعقد قرانه عليها لنواري سوءتها... إن المسؤول عن هذا وجملة أشياء أخرى، هو القومي الأجوف الذي مسح بكرامة الوطنية الوحل وجعلها شعاراً مستعاراً لا سيفاً بتاراً، ومن هذا المنطلق يجب علينا إعادة تأهيل الوطنية- الفكر والانتماء والممارسة، لتعود الكائن الجميل والوعاء الأجمل للدين- المنهج والتربية والفكر- وليس بالشعارات الجوفاء والخطب العصماء وليس بأدلجتها شرقاً وغرباً، وعلى العموم الطرح الوطني كبير بكبر التحديات التي عشناها، وكبير بكبر الشرق «أوسطية» المرسومة والمنتظر

تنفيذها عما قريب، وكبير بكبر مد العولة الذي يستهدفنا بكل قوته، وأول أسلحته التجاذبات الفكرية التي ينفثها بيننا ليشككنا في ثوابتنا، وأولها زعزعة وتمييع الوطنية وهي البقية الباقية لدينا، أما فكرنا فقد امتطى صهوة جواده الفكر المعادي حتى أصبح بعضنا يعرف ديانا وسارة فيرجسون أكثر مما يعرف عن خولة أو الخنساء، ويعرف عن «كان» المدينة و«ماريبيا» الجزيرة، أكثر مما يعرف عن «معان» الأردنية أو «جازان» السعودية، ومن كان ينقصه البرهان- ولا أظن-، فليطلع على كتاب تجارب هنري كيسنجر بالكلمة والرسم الكروكي والرسم البياني ففيه الحال وسوء المآل. على الأقل في الشرق الأوسطية المنتظرة والمولودة المشؤومة.. ومع أننا لا نشكو عجزاً في الوطنية العربية الكبرى بدافع فطرية الانتماء، لكننا نشكو في المقابل تضارباً في فهمها، فمنا من قدسها وألهها ولم يعد ينقصها عنده إلا اللات والعزى، وبعضنا الآخر ألجم معصمها بالقيد وهوى على أديمها ومشاعرها بالسوط والمكوى حتى أصبحت الوطنية بمفهومها السامي نادرة الظهور في أدبيات بعض الشرائح المثقفة، بل لم تسلم من التلميح والغمز واللمز، وما ينسحب على الوطنية العربية الكبرى ينسحب علينا نحن الفرع الأصيل في منظومتنا العربية الكبرى، وإن كنا سلمنا من «ألهتها» بضابطية الدين وثبوتية السياسة، فلم نستشرق حين تسابق الكل «شرقاً» ولم «نستغرب» حين تسابق الكل «غرباً» لكن بعضنا لم يسلمها من الغمز واللمز في ردة فعل شط شطوطاً بعيداً. مع أن الوطنية- ممارسة وسلوكاً- تلزم كافة الشرائح ولاءً وإخلاصاً وعملاً وفكراً، وأي وطنية لا تتصف بهكذا صفات فهي وطنية زائفة تعصف بها التجاذبات وتزعزعها انعدامية الثقة ولنتذكر- جميعاً- القصص الأسطورية للوطنيين المتأدلجين المستجوفين في أيام الحرب الباردة الطوال، وكيف باع أولئك أوطانهم ومقدراتها من الشرق للغرب، ومن الغرب للشرق، وسط انتمائية دائخة لأيديولوجية دائخة. وجدنا ذلك لدى ساستها في مكاتبها، وجنرالات في ثكناتها، وخبراء في معاملها وباعة في أسواقها، وحتى نساء في صالونات كوافيرها. وعليه فالموضوع «الوطن والمواطنة» كائن أخطبوطي هائل، يشمل ذاته المعقدة بفعل الأدلجة والعولة، ويشمل غيره بفعل المؤثرات وموجات التصديع والتشكيك وهو في ظل كل هذا وفي ظل كبره وتشعباته، والترسبات التي درج فيها بين التألية والكفر به بحاجة إلى أن نفكر باستيعابية أكبر لهذا المفهوم، فالدين يستوعب الوطنية ويكرس مفهومها على نطاق أوسع وأشمل وهي «الوطنية» حق حصري للمنهج لا العرق واللسان، وهذا دليل على سموها من منظور إسلامي أصيل لا أيديولوجي معلب، وأي تأطير لها خارج هذا المفهوم، فهو جنوح يجب لجمه، ويعد هذا التعريج اللازم على حال المواطنة العربية الكبرى- التداعيات والفكر- بين التأليه والكفر أقول إن الوطنية - على الأقل من وجهة نظر شخصية- ليست أوراقاً ثبوتية وشهادات ميلاد وجنسية، إنما هي انتماء ومنهج، تقوم بالعرق واللغة وبدونهما، وعند غيرنا عرق وحسب، فالمسلم مهما تباعدت به الخطى واستقر، فهو مواطن مسلم لأي قطر إسلامي، كالعربي المسلم «المتفرنس» فهو ليس بالضرورة مواطناً فرنسياً. إلا في حالة واحدة، هي امتزاج المنظومة الكلية للقطر أو الأمة مع معتقد الفرد المسلم كأن يكون عربياً مسلماً مجنساً باكستانياً أو أندونيسياً، لأن منظومة تلك الدولة تشمله بفعل شمولية دستورها ومعتقدها، وما سوى ذلك فهو إقامة دائمة تمنح صاحبها المسلم الاستقرار لا المواطنة، حتى ولو حمل جنسيتها للتنافر بين المنهجية العامة للدولة وحالة الفرد المسلم إياه، إلا أن يكون من ذات العرق ولو اختلفت أيديولوجية الدولة عن أيديولوجيته لأن الدولة إياها -دولة العرق- تقدم العرق على منهجية الفرد فحق له المواطنة الطوعية لها، وهو مواطن مسلم بالضرورة بيننا وحالة كهذه حالة مراد هوفمان، فهو مسلم ومواطن جرماني بفعل عرقه، حتى ولو اختلفت المنهجية العامة لوطنه، وهو مواطن مسلم في أي قطر إسلامي ولو اختلف عرقه بفعل التمازج بين معتقده ومنهجية الدولة الإسلامية. أي إن أمر المواطنة عندنا كمسلمين مطلق بضابط الاعتقاد، يشمل ذواته من أهل العرق واللسان ويشمل غيرهم ممن اعتنق المنهج، فشرط المواطنة عندنا هو الاعتقاد بعقيدة الإسلام، وهنا تنتفي ضرورة العربية- اللسان والعرق -فقد يفقد صاحب اللسان والعرق المواطنة إذا لم يعتنق طرح المنهج الفكري، فالمنهجية لدينا مقدمة على العرقية، وهذا خلاف ميزة لا يملكه غيرنا، ومن ذلك حالة مراد هوفمان المستشهد به آنفاً أو كريم عبدالجبار أو محمد علي، فهم مواطنون بيننا من الدرجة الأولى بضابطية المعتقد ومقدمون حتى على ابن العم إذا ما التحف بغير منهجية أمته، ولو ادعت الأمة كلها أنه من أهلها فإنه ليس من أهلها، ولننظر كم عرق دمجه النهج الإسلامي في منظومتنا الإسلامية الكبرى، كأحمد ديدات حديثاً وصلاح الدين تليداً، وبالمقابل لننظر كم لسان عربي مبين بيننا طرح الوطنية الشعار أرضاً (وتهود) وزاد بطرح العربية اللسان (وتعبر) بل وحمل السلاح على أخوة اللسان بدافع انعدامية الانضواء في منظومة المنهج، ولو أنه فقد اللسان أو العرق وبقي المنهج لما (تهود) ولا (تعبّر).. وعوداً على بدء أختم بأن المواطنة عندنا طرح مطلق وقوي لا تزيده ولا تنقصه العربية «العرقية واللسانية» قوة لأنه يشملها وغيرها وهي به تقوى وهو بها لا يضعف. ■

تعقيباً على «تربية تمزيق الرأى المخالف»

بل الصواب مع لجنة فحص الكتب والكُتَّاب

محمد نجيب لطفي

الفيوم – مصر

في أثناء مطالعتي الشهرية لعدد ربيع الأول ١٤٢١هـ من مجلة المعرفة الأثيرة، الغراء التي أصبحت تحتل مساحات واسعة في قلبي وفكري، كما أنها دائمة الحضور والبقاء على مكتبة مدرستي، وهي في كل عدد من أعدادها الثرة الثرية تحمل زاداً معرفياً وثقافياً وفكرياً من منظور عقدي صائب صحيح.

أقول: في أثناء ذلك لفت نظري مقال [الرقابة على الكتب... (تربية «تمزيق» الرأى المخالف)] تحت عنوان «رسالة ليست للنشر». وقد قرأت المقال غير مرة فألفيت الأخ الكاتب -حفظه الله- وقد أجاد في عرض فكرته ورأيه- قد اعترض على تمزيق صفحات من كتاب «تعريف عام بدين الإسلام» للأستاذ الشيخ علي الطنطاوي -رحمه الله- من قبل لجنة «فحص الكتب» لطلاب المملكة العربية السعودية.

ولكني أخالف الأخ الكاتب في اعتراضه على عمل اللجنة -جزاها الله خيراً- وعلى تمزيق الصفحات من الكتاب المذكور؛ فمنذ عهد الصحابة -رضي الله عنهم- إلى يوم الناس هذا والعلماء سائرون على هذا النهج القويم.

فما من مخالف إلا ويرد عليه من هو أهل لذلك، ولا عصمة لأحد مهما كان، حتى اشتهرت مقولة الإمام مالك العظيمة: «كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذا المقام «يقصد المعصوم- ص»، ولو جمع الباحث ردود العلماء بعضهم على بعض لسوَّد ألوفا بل ملايين الصفحات والأمثلة على ذلك

أتحداكم أن تستغنوا عني!

غازي بن أحمد الفقيه

القنفذة

بعد أن سُلطت عليه الاتهامات من كل حدب وصوب، كأني به من فرط غيظه وقد بلغ به الضجر والتأفف غايته. يهرع إلى تسلق عمود كهرباء انتصب في ميدان عام في وضح النهار، ثم أطلق صرخة مدوية شقت عنان السماء، وسكنت موجهات أزيز صوتها في سمعي، يقوم رجع صداها:

ما هذا يا تربويون. وماذا جنيت؟؟

وتلفتُ يميناً وشمالاً، وإذا جمع من الناس ضاق بهم المكان في هرج ومرج، تبينت من بينهم ممن تصدرت تصريحاتهم وقفشات آرائهم صدور صفحات الصحف منددة بالسيد -حفظ- وتدل حركات أصابع أيديهم اللاإرادية-وهم بكامل هيئاتهم داخل براويز صورهم الشخصية – على استهجان الماثل أمام الجميع في وضع لا يحسد عليه!!

أشفقت على صاحبنا، وجال بخاطري أمجاد ماض تليد كان فيها سيداً، وجميع من حوله طوع بنانه!

وتمتمت قائلاً: ارحموا عزيز قوم ذل!

سرعان ما تجاوبت أسارير وجهه لعبارتي تلك. وبان أثرها على قراره.. حيث انساب من ظهر عمود الكهرباء في طرفة عين، كما يترك الفارس ظهر جواده بعد أوبته من معركة حامية الوطيس!

وأقبل هاشاً باشاً نحوي؛ وكأنه وجد ضالته.

وقال مخاطباً الجميع، وهو يضمني بيده اليسرى.

اسألوا هذا عن أهميتي؟ وهو يشير بسبابته اليمنى نحوي، ويضيف محدقاً في المتكاكئين من حولنا:

– أليس عجيباً أمركم حينما تتطاولون على وظيفتي، وتنتقصون منها؟!

– من منكم، وقد أصبحتم ذوي رأي، من لم أكن عونه

تفوق الاستقراء والحصر، وليس ذلك قاصراً على علم من علوم الإسلام أو فرع من فروع الشريعة، بل يشملها كلها، وقد ترى في ذلك ما يشهد بعظمة هذا الدين من حيث رد المخالف إلى الصواب فترى التلميذ يرد على أستاذه والابن يرد على أبيه.

ومن الكتب العظيمة جداً العالية القدر النفيسة القيمة كتاب «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» للحافظ العظيم «ابن حجر العسقلاني»، ولكن ذلك لم يمنع سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- أن يرد على الكتاب في بعض المسائل العقدية، وذلك موجود في هامش بعض الطبعات لهذا الكتاب النفيس وما سبق مثال واحد من مئات بل ألوف الأمثلة. ولو سردنا بعضاً من أسماء الكتب التي ألفت خصيصاً في الرد على المخالفين لكان الحاصل حمل بعير.

ثم إن الكاتب أحزنه ذلك وآلمه وكان يجب أن يسره ويسعده فإن ما يدرسه الطالب في المدرسة من عقائد وأفكار تظل منقوشة ومحفورة حتى الممات، ويصعب جداً إحلال الصواب مكانها.

أتاني هواها من قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلباً خالياً فتمكنا

وأقول بكل صراحة ووضوح إن كثيراً من المفاهيم المغلوطة (......) من تأويل الصفات وعقائد كلامية أو أشعرية وأفكار صوفية وتقديس للمذاهب ولآراء الرجال وانتشار للأحاديث الضعيفة والموضوعة والإسرائيليات وليدة ما درس في مناهج التعليم، دونما فحص وتمحيص وتحقيق وتدقيق، فهنيئاً لكم بهذه اللجنة العظيمة الموقرة وبعملها الجاد العظيم الهادف.

وهناك نقطة غريبة جداً وخلط كبير وقع فيه الكاتب وهو وضع الزمخشري والقرطبي في مستوى واحد من المقارنة والموازنة، فباختصار شديد جداً نقول: إن الزمخشري معتزلي بل من رؤوس المعتزلة يحمل لواء الاعتزال ينافح عنه ويقاتل دونه. ينصر أفكاره وينشر عقائده.

أما القرطبي فهو إمام من أئمة أهل السنة؛ إمام عالي القدر جداً له باع طويل في التفسير والفقه، وما يؤخذ عليه ليس إلا بعض التعصب في بعض المسائل للمذهب المالكي «دونما تفصيل لأن ذلك يحتاج إلى تطويل لا سبيل إليه في مثل هذه العجالة».

فكيف يوازن الكاتب بعد ذلك كله بين الزمخشري والقرطبي؟!! تلك إذاً قسمة ضيزى!! ■

وهو على مقاعد الدرس يرتجف من سطوة السؤال؟!

- ألم يكن لباعي الطويل من أثر في إثراء ألسنتكم الحداد، وقد أصبحتم أصحاب قرار؟!

- أجيال كثيرة منكم كانت تحترمني وتحسب لقدري ألف حساب فماذا جرى؟!

قال قائل منهم: بعد أن جاهد ليتقدم الجمع..

- لقد وجدنا في «الفهم» ضالتنا، وعهدك ماض قد تولى.

تبسم «الحفظ» من قوله، وكاد يقول «........»

يموت الصمت برهة.

وينبري صاحبنا بعد أن ترك احتضاني، وخاطب الجميع بلغة الواثق:

اسمعوا يا قوم، لقد قسم الله تعالى بين الناس، القدرات والمواهب، ولولا ذلك لكان الناس، كل الناس في مرتبة سواء!

الجميع تومىء رؤوسهم بالموافقة.

قال: لهذا أتحداكم جميعاً أن تستغنوا عني، فأنا عتبة ضرورية وهامة تسبق (عمكم) الفهم وتأتي بعده.

بعض المتحلقين.. يصرح محتجاً: هذا غرور.. هذا غير صحيح!

السيد حفظ: ألست إحدى العمليات العقلية الأساسية.

قالوا : بلى!

قال: إذاً لماذا هذا الهجوم وهذا التنكر؟؟

قالوا: ولكننا لا نريد أن «نتقيأ» ما نتعلم.

قال: بعد أن قهقه: وما ذنبي إن كانت أساليب تعليمكم لا تعرف كيف تستفيد من قدرتي ووظيفتي؟!

يسود الصمت لحظة، وتحدق عيون القوم في عيون بعض!!

السيد حفظ: حتى «الحاسوب» الذي فتنتم به.. هل في مقدوركم أن تستدعوا من ذاكرته ما تريدون دون أن تعطوه أمراً مسبقاً بالحفظ؟!

أدرك صاحبنا الانكسار في عيون القوم، وبدأ رابط الجأش يردد:

إن سني العمر الأولى هي أخصب مراحل العقل البشري فاغتنموها في حفظ الأصول والمتون.. إن أردتم أن تستقيم ألسنتكم وتتسع مداركم وآن لي أن أمدد قدميَّ..!!

قالوا.. وهم يتفرقون كقطيع ظباء فرت من قسورة..

مغرورررررر! ■

المتلقي بين الخطاب العلمي والخطاب الأدبي

صالح بن عبدالعزيز الزهراني
مكة المكرمة

لا يشك أحد أن هناك فروقاً جوهرية بين الخطاب أو النص العلمي والنص الأدبي. وحيث إن خصائص كل من الخطابين معلومة ومدونة في كتاب اللغة والبحث العلمي، فإن الغاية هنا ستنحصر في الإجابة على التساؤل البسيط السائد وربما المحير لكثير من الناس، وهو لماذا يتعسر على بعضهم التعامل مع النص العلمي، فضلاً عن فهمه والاستفادة منه، مع أن فئة من الرافضين للتعامل مع النص العلمي يشيدون بجمال النص الأدبي وشدة استمتاعهم به؟

ومع العلم المسبق، بأن للذوق الذاتي وللمزاج وللرغبة ولظروف التنشئة وغيرها أثر في درجة تقبل الإنسان للنص العلمي، إلا أنها ليست كل الأسباب، فهناك أسباب نفسانية عامة، مثل ارتباط الأدب بالذكريات وأنه يمثل صورة إنسانية مثالية سلميتها، للتعبير عن الآلام وتنفيس الانفعال، كما أن القارئ للأدب بكل صوره إنما يبحث عن الصور المجازية والتراكيب اللغوية التي يحلم أن يكون قادراً عليها (فهو من هذا الجانب نوع من أنواع التعويض عن الضعف)، هذا عند عامة القراء، ويعلل التربويون سوء السمعة التي يلقاها النص العلمي عند الناس (الطلاب نموذج حاضر منهم)، في الظروف التي قدم به الخطاب العلمي في السابق فالمعلمون كانوا كثيراً ما يستخدمون عبارة «مادة صعبة» و«مادة معقدة» وكانوا يربطون النجاح في المواد العلمية «بالحفظ» الأمر الذي يعطل عند الفرد التمييز بين النص العلمي والنص الأدبي، أضف إلى ذلك أسلوب الاختبارات العقيم الذي لا يعطي الطالب فرصة للشعور بلذة الإنجاز العلمي ويعدل إن لم يتجاوز لذة الإنجاز الأدبي.

ومع أن كل ما تقدم من أسباب يعده التربويون مقبولاً وله وجاهته، إلا أنني أضيف هنا أسباباً أخرى، قد لا يلتفت إليها كثير من الناس، وفي اعتقادي أننا إذا التفتنا إليها ونبهنا المتعلمين عليها سيتحسن تعاملهم مع المادة العلمية، وهذا حصل معي داخل حجرة الدرس عند تقديمي لدروس الفيزياء بالمرحلة الثانوية.

وقبل أن أقدم مساهمتي، أذكر بحقيقة لا مراء فيها، وهي أن النص العلمي أسهل بكثير من النص الأدبي بل إن النص العلمي يعد من أدنى مراتب النص الأدبي. وبعبارة أكثر إمعاناً، فإن النص العلمي هو نص «بدهي». في المقابل ينظر للنص الأبي متدرجاً في السمو والعلو كلما احتاج لتفسير وكلما خرج عن المألوف وتعددت فيه الاحتمالات، وهذه سمات لا تقبل في النص العلمي الرصين.

وحقيقة أخرى تلحظ في الجلسة الأدبية أو الحوار الأدبي أن هناك خيارات متعددة وبدائل متكافئة وغير متكافئة للتعبيرات الأدبية، إلا أن ذلك غير متاح في النص العلمي. إلا في أضيق الحدود، ومعلوم أن الرحابة في البدائل والحرية في التعبير عن الفهم (من قبل المشاركين) مدعاة للسرور والقبول وهذا شأن النص الأدبي مع القراء، وشأن القراء مع النص الأدبي.

إن النص العلمي لا يقبل فيه التوازي في فهم الأفكار، بل يجب أن تتطابق جميع الأفهام عند القاعدة ويتحرك الفهم نحو الأمام كل حسب ذكائه ونباهته، بمعنى أن الحاجة أساسية في النص العلمي للفهم المشترك المتطابق للمسلمات، مما يتطلب مسؤولية الفرد عن أفكاره وضرورة تقديمها للمحاكمة بشكل شبه دائم، ليتسنى له الوثوق برصيده من الحقائق والمفاهيم العلمية.

إن الدارس الذي لا يملك هذه الفكرة (فكرة المحاكمة)، لا يبالي بصغار الأفكار داخل حجرة الدرس وبالتالي تجده قليل المحاورة عن أفكار الدرس، وبينما تتحول مسلكيات هذا النوع من الدراسين (عند تبني فكرة المحاكمة) نحو الحوار والمناقشة والتساؤل الدائم مما يبعث بروح جديدة في حجرة الدرس.

إن المتعلم الحاضر المشارك في أي درس من دروس الأدب لا يحكم على أفكاره بالصواب أو الخطأ، بل يقال«أحسنت» وتقبل منه الإجابات المتوازية والمتباينة والعميقة والسطحية والحرفية، أما الحاضر غير المشارك في الدرس الأدبي لا يوجد احتمال عال في أن تكون لديه أفكار مشوهة أو مفاهيم مغلوطة عن موضوع الدرس.

بينما في جلسة الحوار العلمي يلزم كل دارس أن يكشف فهمه أو لنقل أن يحاكم فهمه أمام زملائه ومعلمه حتى يتحقق من سلامة أفكاره. كما أن التعبيرات العلمية حول المفاهيم الأساسية يجب أن تكون متطابقة، وهذا ما يجعل المسؤولية التي يتحمل أعباءها المتصدي لفهم النص العلمي «ذاتية» صرفة في بدايتها، ولكنها في النهاية تقع

(بفعل حتمية المحاكمة لأي فكرة علمية) أمام خيارين لا ثالث لهما إما «صائبة» وإما «خاطئة» وهذا الحكم إذا تأخر صدوره (لوقت الاختبار مثلاً) حول فكرة من الأفكار كانت آثاره السلبية على الدارس خطيرة، وتكون الخطورة أعظم إذا مرت الفكرة العلمية الخاطئة عند الدارس عبر أكثر من مرحلة تعليمية، حيث يصعب ويتعسر عند ذلك تصحيح تراكماتها المفاهيمية التي بالضرورة ستكون مشوهة.

وعليه يلزم مساعدة المتعلم (المتلقي) في محاكمة أفكاره العلمية أولاً بأول حتى لا يتعسر عليه متابعة تحصيله العلمي أو تركه يسير حاملاً في ذاكرته شحنات من المعارف العلمية لا يحسن لها فهماً مما يجعل من هذا الإنسان دعاية سيئة للعلم فهو يدرس العلوم الطبيعية. والعلوم الطبيعية منه براء.

إن قضية محاكمة الأفكار حول النص العلمي ونفيها عند تعاطي النص الأدبي لا تعني أن فهم النص الأدبي لا ضوابط له. بل تعني أن هناك ضوابط، مثل الضوابط اللغوية والفنية للنص الأدبي، والتي يسترشد بها في مسألة فهم النص الأدبي وشرحه، ومع ذلك فهناك رحابة وبدائل ويستحيل أن يقال لشرح من الشروح أنه خاطئ تماماً حتى عند عدم التزامه التام بضوابط اللغة الدارجة.

أما مسألة محاكمة الأفكار عند محاولة فهم النص العلمي (داخل حجرة الصف أو خارجها) فهي مصيرية لازدهار فهم الدارس، ولا تقدم له بغيرها، وعلى المربين إدراك هذه الحقيقة ونقلها للدارسين بصراحة ووضوح وتكرار، حتى يستعد الطالب ويعد العدة لرحلته العلمية التي إن بدأت بشكل سليم فإنها لا تنتهي إلا بتعطل أداة التفكير لديه. ■

لصيانة آلات التصوير

أفكار برسم التنفيذ

مصطفى ياسين

تبوك

آلات تصوير المستندات، أصبحت أداة أساسية في الحياة العملية. تجلس في كل مكتب. تقعد في كل مؤسسة ومدرسة ، ودائرة حكومية.. يكاد ألا يستغني عنها أحد في تصوير أسئلة الاختبارات والوثائق ومقالات الصحف والمجلات المختارة.. وغير ذلك كثير!

وكذلك الكمبيوتر، بكل مافيه من حاجة عصرية ملحة ، فهو يؤدي عملاً حيوياً في الحياة المعاصرة.. يزداد يوماً بعد يوم، في وجوه الخدمات والإنتاج.. عامة وخاصة.

وهذه الآلات، كغيرها، تتعرض بحكم الإنتاج والتقادم، إلى أعطال كثيرة.. والملاحظ أن أعطالها لاتحتاج إلى كثير من الخبرة الفنية أو التخصص النادر والدقيق الذي نعجز عنه.. أو يقل لدينا لندرته أو حاجته إلى قدرات عقلية متميزة. وتدريب مرهق.. طويل الأمد فلايتوفر لنا منه إلا الأعداد القليلة.. في العقد الزمني الواحد ليبقى مشكلة لا يتوفر حلها إلا في مستقبل بعيد غير منظور!

لا، إنها آلات يسيرة الأجزاء، غير عصية على فهم طالب في الثانوية العامة، وخصوصاً العلمي منها..

ولما كانت تكلفة صيانة هذه الآلات عالية، ولغير سبب معقول يبررها، فاستشارة بسيطة لاتستغرق ربع ساعة، تحتاج إلى ٥٠٠ ريال! فضلاً عما يسببه العطل من تأخير في الإنتاج، ووقف للعمل الذي قد لايحتمل التأخير أحياناً.. وخصوصاً في مواسم الطلب على خدمة هذه الآلات.. فإن الحاجة ماسة لتأهيل الفنيين في هذا الميدان.. كما هي في غيره من ميادين الحياة التي يحتاجها المجتمع النامي الحديث.

ولو كنت في وزارة المعارف أو الغرفة التجارية الصناعية التي توجد في كل مدينة من مدن المملكة، لأنشأت في قاعة واحدة من قاعات المدارس، أو الدوائر الحكومية التي تستغني عن هذه الغرفة، مركزاً لتدريب الشباب من طلبة الثانوية العامة أو لغيرهم من الراغبين في إتقان هذه المهارة، والباحثين عن عمل في صيانة الآلات المكتبية، وأجهزة الكمبيوتر على رأسها..

إن كل ماتحتاجه هذه الفكرة: نموذج لآلة تصوير.. وجهاز كمبيوتر.. وعدة أفلام فيديو.. توضح وتشرح! إنها دورة من شهر واحد أو أقل في المساء، تؤهل العشرات بل المئات من الشباب، وعندما يؤهلون لذلك ويتقنون عملهم يمكنهم ترك عناوينهم في هذا المركز. ولقاء أجر زهيد.. ٥٠ أو ١٠٠ ريال يستطيعون إصلاح هذه الآلات. إن كل مافي هذه المهنة لايزيد عن استبدال جزء صالح بآخر تالف.. أو تعديل لنظام بأزرار بسيطة أو تنظيفها بمادة مناسبة.. ونكسر بذلك احتكار الاستغلال، ونجعل تكلفة تشغيل هذه الآلات عملاً اقتصادياً.. منتجاً..

ترى، من لهذه الفكرة.. والأفكار؟؟ ■

الجاحظ وشهادة معلم الصبيان

فؤاد أبو الهيجاء

كلية المعلمين - الجوف

كثيراً مايستشهد بعض الكتاب في الصحف والمجلات بدعوة الجاحظ إلى عدم قبول شهادة معلم الصبيان متندرين ومتفكهين بهذه الدعوة؛ ساخرين من دعوته أحياناً أو ساخرين من مهنة التعليم أحياناً أخرى.

وكان الجاحظ قد ألّف كتاباً في نوادر المعلمين ملأه بنوادرهم وصوّر فيه حُمْقَهم وضعف عقولهم لملازمتهم للصبية «د. شوقي ضيف - العصر العباسي الثاني - ترجمة الجاحظ» ودعا فيه إلى عدم قبول شهادة معلمي الصبيان لهذه الأسباب وغيرها.

ومهما كان مجال استشهادهم فلا يظنّنَ أحد أن نظرة الجاحظ إلى المعلم كانت نظرة قاصرة مُستَخِفّة.

إننا نعتقد أن الجاحظ كان أكثر وعياً وإدراكاً لأهمية التعليم الأساسي من هذه النظرة؛ وإلاّ فما موقفه من الأمّ التي تقضي حياتها مع صغارها؟! فهل هي أيضاً تفقد أهليتها للشهادة؟!!

إن نظرة الجاحظ إلى المعلم هي نظرته إلى نفسه، نظرته إلى الجاحظ المعلم، وماكان الجاحظ إلاّ معلماً في مجالسه، فهل كان يعتقد أنه فاقد لأهلية الشهادة؟.

وهل يشمل كلامه ونظرته هذه كل معلمي الصغار؟!

إنه ينظر هذه النظرة إلى فئة اتخذت من هذه المهنة وسيلة لكسب الرزق، لأنها لم تجد مهنة أخرى ولاعملاً آخر، فاتخذت التعليم مهنة في بيئة غير مستنيرة، في قرية أو حيٍّ من الأحياء الفقيرة، مقابل أجرٍ معلوم من المال أو شيء من متاع الدنيا كالقمح والتمر والشعير، وليس عليه إلاّ أن يجمعهم في غرفة من غرف منزله ويعلمهم القليل مما يعرف كسور من القرآن الكريم أو مبادئ القراءة والكتابة أو شيء من الحساب.

إنه يتحدث عن فئة امتهنت هذه المهنة وهي لاتملك كفاياتها ولاعلمها ولا الخبرة فيها ولاحسن أدائها، ناهيك عن الرغبة في العمل في مجالها؛ فأساءت التصرف وفشلت في الأداء فقلّ عطاؤها، وظهر حُمْقُها، فتلاعب بها تلامذتها فاستعملت العصا في غير موضعها والشتائم في غير محلها. ووجدت في قلم الجاحظ وعينه المصوّرة اللاقطة مادة للكتابة فيها.

ولكن ألا يوجد من معلمي هذا الزمان مَنْ يفقد أهليته للشهادة بسبب سلوكه؟! إننا نعتقد أن هناك من المعلمين في هذا الزمان مَنْ فقد أهليته لأنه أضاع أمانته.

فما بالك بمعلم يدخل إلى فصله دون أن يعدّ درسه ثم يجلس على كرسيه طالباً منهم قراءة الدرس قراءة صامتة حتى إذا مامضي نصف الوقت طلب من واحد منهم أن يقرئهم واحداً فواحداً، أو قد يكلفهم كتابة الدرس من أول الحصة وحتي نهايتها، وهو خلال ذلك يتنقّل مابين كرسيه وباب فصله والنافذة المطلة على الشارع، وتستمر به الحال حتى يسمع صوت الجرس معلناً نهاية الحصة، فيهرول خارجاً وكأن فترة سجنه قد انتهت.

ومابالك بمعلم آخر يتهرب من الحضور إلى مدرسته باليوم والأيام متعللاً بالأعذار المَرَضية وغير المرَضية والأُسرية وغير الأُسرية؟!!.

وما بالك بمعلم ثالث ورابع... يتقبل الهدايا والدعوات من هنا ومن هناك ولايقيّم تلامذته إلا على أساسها أو وفق علاقاته معهم أو مع أولياء أمورهم.

إن حديث الجاحظ ينطبق على هؤلاء ونظرته تتجه نحوهم ذلك أنهم قد فقدوا الاتصاف بالأمانة - وما التعليم إلا أمانة - فالمعلم الذي لايؤدي واجبه أداءً متقناً أو يغلب على ظنّه أنه قد أجاد فيه، هو معلم فاقد للأمانة، ولايستحق أن نستأمنه على فلذات أكبادنا وهو

لذلك فاقد لأهلية الشهادة.

والمعلم الذي يتغيّبُ بالأيام - دون ضرورة ملحة - فاقد للأمانة وهو بالتالي فاقد لأهلية الشهادة؛ بل إن الطبيب الذي يمنحه الإجازة المرضية تلو الإجازة وهو غير مستحق لها، هو إنسان فاقد للأمانة ولايستحق أن يكون طبيباً، ويفقد أهليته للشهادة.

والمعلم الذي يتقبل الهدايا والرشاوى والدعوات من هذا ومن ذاك هو معلم فاقد للأمانة وهو بالتالي فاقد لأهلية الشهادة.

هذه هي نظرة الجاحظ التي تتجه إلى هذه الفئات وأمثالها.

رحم الله الجاحظ الذي نبّه إلى خطورة مهنة التعليم وجلالها وعظم المسؤولية الملقاة على المعلمين - معلمي الصغار قبل الكبار - لأنهم يؤسسون ويبنون ويغرسون؛ فإذا فسد الأساس فسد كل شيء آخر.

رحم الله الجاحظ الذي دعا إلى عدم تعيين غير المؤهلين في هذه المهنة وتخليصها من الذين انتسبوا إليها في غفلة من الزمن.

رحم الله الجاحظ الذي نبّه إلى ضرورة أن يتصف المعلم بصفات عقلية وملكية عالية ولعلّ من أهمها الذكاء والاتزان.

نعم يجب ألاّ نسمح بالانتساب إليها إلا للمؤهلين المخلصين والعاملين الجادين، لأنها مهنة الأنبياء والعلماء والأشراف.

والله المستعان. ■

الشيخ والصحراء

عبدالعزيز بن محمد الثبيتي
الرياض

لا أظن همنغواي «الشيخ والبحر» والتي نال بها جائزة نوبل، لا أظنه إلا معلماً أرهقه التعليم من أعلاه حتى أخمص أخماص قدميه، رجع متعباً منهكاً تمام الساعة الواحدة ظهراً بعد صراخ وعويل وتشقيق جيوب ولطم خدود، مع كل أحد بلا استثناء إلا الطلاب ومن نحا نحوهم من المدرسين الذين شاركوه همه فشققوا وصرخوا ولطموا وفعلوا فعله!

رجع إلى بيته وتناول لقمة عجلى، وثنى بشربة حرى، ثم ذهب إلى فراشه وأراد النوم، فما وجد لذلك سبيلاً، تقلب ذات اليمين وذات الشمال فلم يظفر بطائل، فما كان منه إلا أن امتطى صهوة قلمه وسلَّه وأراد أن يشفي غليله ممن «أقضّ» مضجعه فألف «الشيخ والبحر» وما قصد بالشيخ إلا هو، ولا بالبحر إلا «قضاض» المضاجع!!

أليس البحر رائعاً؟

ألا يستحق هذا «القضاض» أن يوصف بالبحر؟

ألم تقل العرب المستعجمة: هو كالبحر في الهلكة لأن الداخل له مفقود والخارج منه مفقود أيضاً!!

هو البحر من أي النواحي أتيته

فلجته «التعبيس» و«الخصم» ساحله.

ألم يقل «شنتر بن عداد»:

أنا «الكره» في أحشائي «الحقد» كامن

فهل سائلوا «المسكين» عن «هجماتي»!!

بلى هو كل هذا!!

فليلبس هذا الوسام عن جدارة، وليتبجح به، وليشمخ أنفه، وليعلقه على مكتبه الفخم الوثير!!

وراح همنغواي يكتب ويكتب، ويمزق ويتمزق، ويذكر معاناة الشيخ ومجهوده الكبير مع السمكة البائسة التي اصطادها بعد جهد جهيد وتعب شديد، حتى انتهى وقد انتهت روحه معها، بعد أن تناوشتها الأنياب والأضراس والمناشير الحداد، حتى أصبحت شذر مذر، وأثراً بعد عين، وعظماً بعد لحم، وضغثاً على إبالة.

طار النوم وما وجد مقيلاً، وتمخض همنغواي فولد رواية «الشيخ والبحر».

ثم اطلع نوبل مكتشف الشوكة والسكين على جهد هذا المسكين فأعطاه جائزة أدب التنفيس!

إذاً فلا تثريب عليَّ ولا حرج ولا مشاحة في أن أكتب «الشيخ والصحراء». وقد اخترت الصحراء لأنني عشت في ربى نجد بين الشيح والعرار والقيصوم، وعلى سهولها ووهادها ترعرعت ومنها تعلمت، فأنى لي ببحر أصطلي بناره؟ ولعل «معرفتنا» تمن علينا «بنوبلة» تسير بذكرها الركبان. وأي فرق بين الشيخ والبحر والشيخ والصحراء؟ لا فرق إلا أن معاناتي في الصحراء ومعاناته في البحر!! وصيدي ظبي وصيده سمكه. هو غريب الوجه واليد واللسان، وأنا مغرق في العروبة أصيل في معرفة علوم الرجال، وما ذنبي أن كنت نزيل الصمان أو الدهناء، وتحجزني عن البحر مئات الفراسخ، وهو يتقلب بين جبال كلمنجارو وشلالات نيجارا؟؟ فليس لي وأنا شيخ إلا لهيب الصحراء.

تأبطت بندقيتي «الساكتون» وهي آلة حربية عجيبة، سهلة الحمل، قوية الأثر تجعل الضحية تموت ألف موتة قبل أن تموت!! تستخدم في غزو الأعداء خصوصاً الجرابيع والضباب والسحالي التي ليس لها هم إلا ما يريده عنتر (١) وهذه الآلة العجيبة برغم تأثيرها القوي إلا أنها لا تؤثر!! لكن تدغدغ العواطف وتلهب الحماسة في الطرد واعتلاء الوهاد!

خرجت من خيمتي مع الصباح «والقماري» في وكناتها، بمنجرد قيد الأوابد «أهزل» ذهبت وكلي أمل بصيد وافر، فما راعني إلا أفراخ الصمان زغب الحواصل لا ماء ولا شجر، فحاولت أن أستفتح بواحدة، لكنها كانت على حذر فطارت وطار معها الأمل، فلا رجعت ولا رجع الأمل.

حاولت كرة أخرى، ولكن بلا نتيجة، ثم كررت وفررت وأقبلت وأدبرت كجلمود صخر حطه السيل من عل والنتيجة صفر.

فلما جاء الضحى واشتدت حرارة الشمس، وازداد لهيبها لذت بعوسجة أستظل بظلها الأفيح، واستقليت على

ظهري وأخذتني سنة من النوم، فما انتبهت إلا وقد زالت الشمس، وتذكرت صبيتي الذين يتضورون جوعاً وكيف سأغديهم هذا اليوم؟ وماذا لو طرقني طارق وأراد القرى ولم يجد؟ فستكون مسبة الدهر عليَّ وعلى أمة العرب جمعاء!! وسيتلقفها الأعداء من بني الأصفر، وستسري سريان النار في الهشيم. فشد ذلك من عزمي فبخبخت(٢) وخرجت من الهاجرة اتنقل من مكان لآخر بحثاً عن طلبتي، وأصبت بضربة شمس، ولفحة هواء من رياح الدبور، لكني تحاملت ومشيت ثم خطوت بعدها، حبوت حتى لاح لي صيد سمين ينبئ عن مجد حافل بالكرم أنسي به ذكر حاتم الطائي، وكل من ذكرهم الجاحظ في كتابه عن رجالات الاقتصاد (٣)! فقلت: الآن الآن. وصعدت بصري وصوبت بندقيتي نحو الظبي وضغطت الزناد فخر صريعاً يتضرج في دمائه، فلحقت به وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وذكيته، ثم حملته وقفلت راجعاً إلى حيث لاذت أم عامر.

وفي رحلة العودة، رحلة الأحلام لاقيت الأهوال والشدائد، هاجمني أسد، وكمن لي قاطع طريق، وناوشت ذئباً، وقاتلت ضبعاً، وساورت حية في أنيابها السم ناقع، وحارشت ضباً، وطاردت جربوعاً، بل حتى الحشرات كانت لها مداعبة! فأي فريسة سهلة كنت لها؟! وأي معاناة عانيتها؟! وأي إجهاد وجهد وجهاد لاقيته؟!

لقد بلغ السيل الزبى فما عدت أطيق، وجاوز الحزام الطبيين فما فيَّ روح. وهممت أن ألقي ظبيتي، وأن أنجو بنفسي، لكني أبو العزمات وأخو الشدائد، فتحاملت وحملت مزودتي وصيدتي التي لم يبق منها إلا الحنجرة والمصران الأعور! وامتطيت صهوة «أهزل» أغذ السير طلباً للخلاص، فما راعني إلا عدو ليس إلى رده سبيل، ولا عنه محيد أو فكاك، أعداد هائلة، وكتائب متتابعة، وجيش عرمرم وبحر خضم تتلاطم أمواجه بعضه فوق بعض من الذبان العنتري تريد صيدي:

ولو أني بليت بهاشمي

خؤولته بنو عبد المدان

لهان علي ما ألقى ولكن

تعالوا وانظروا بمن ابتلاني

وحاولت جهدي أن أتقيه لكنه ألح وكان الأقوى، وقد قالت عربنا: ألح من ذباب. فانهزمت!! ظفر بالغنيمة فرجعت كسيراً حسيراً أسفاً على جهد يوم بؤت به بشسع نعل أبي. لكني أبو العزمات وأخو الشدائد والأهوال وما كان لحادثة تافهة أن تفل عزمي أو تثنيني عن مقارعة الخطوب، وعزمت على العود غدا والعود أحمد، والله أسأل منه التوفيق والإعانة. ■

الهوامش:

١) عنتر: الذباب الأزرق.

٢) أي قلت: بخ بخ.

٣) عنيت كتاب «البخلاء» للجاحظ.

الفيلم يغني عن الكتاب

صالح عبدالله الغامدي

الباحة

شكا لي أحد المعلمين شرود التلاميذ الذهني وعدم التقبل -أحياناً- في مادة الاجتماعيات. فأجبته بقولي: في نظري إن هذه المادة لو درست عن طريق عرض فيلم يحكي كل عناصر الموضوع في الدولة المراد تدريسها؛ وكذلك مادة التاريخ عن طريق عرض فيلم مصور حول الفكرة المراد تقديمها.

في نظري أن هذه الطريقة أجدى وأنفع وهي بذرة للتخلص من الكتاب المدرسي، كما يطمح أحد التربويين؛ وما دفعني إلى ذلك هو إقبال التلاميذ على برنامج من ذاكرة التاريخ؛ الذي بث بمناسبة المئوية، حيث انتقلت فكرة البرنامج إلى إذاعة المدرسة كل يوم مع الاقتباس الكبير من فقراته؛ لكن ما إن أبديت هذه الفكرة حتى بادرني بعض المعلمين بإعطاء الفكرة شرنقة حتى يتم عقمها، ولا تكون جنيناً، فقال آخر: لا عليك لقد حكموا على اللائحة الجديدة بالإعدام وقتلوها، وهي وليدة في الشهور الأولى، وهي لم تصدر إلا بعد دراسات مستفيضة، وجهود مضنية، قام بها المخلصون في فترة ليست بسيطة؛ فرأيت أن أخرج هذه الفكرة من محيط المدرسة إلى خارج الأسوار لعلها تجد الاهتمام والدراسة والتطوير. ■

كلهم موهوبون

عادل الماجد
الرياض

قال لي مدير المدرسة يوماً: يا أستاذ: ماذا لو جاءتنا استمارة لاختيار الموهوبين من المدرسة؟ قلت: نضع أسماء الموهوبين ونرسلها مرة أخرى. فبادرني بسؤال آخر من هم الموهوبون في المدرسة؟ قلت : كثيرون جداً فاستوضح أكثر قائلاً: كم عددهم؟ قلت: سبعمائة طالب موهوب في المدرسة، نعم يا حضرة المدير جميع الطلاب موهوبون.

فمن الطلاب أذكياء في منطقهم ومنهم أذكياء في تصرفاتهم، ومنهم إداريون، ومنهم شعراء وقصاص، ومنهم من يملك القدرة على حب الآخرين. ومنهم الظريف الضاحك، بل منهم المزعج الكسول المتمرد بسبب موهبته.

الناس لا ينقسمون إلى قسمين قسم موهوب وآخر لا مواهب له، الجميع موهوبون، خرجوا لدنيا واحدة ليقوموا بأدوار متعددة في هذه الحياة ولا يحق لأحد أن يستبعد أحداً لأنه لا يشعر بأهمية موهبته أولا يراها أصلاً.

إن الموهبة رمز كالإنسانية لا صاحب لها دون غيره إلا من بذل أو بذل له فتفوق.

فلو أخذنا الشعر مثلاً موهبة، فإن آلاف الناس عندهم استعداد فطري، ولكن البعض يقع في أسرة واعية تنمي هذه الموهبة ثم تصقلها بالقراءة والمتابعة وآخرون لا يحظون بهذه الرعاية، فيخسروا أنفسهم ويخسرهم المجتمع، فهل دور التعليم في رعاية الموهوب أن يهتم بالأول ويهمل الآخر، أم يجب أن يهتم بالجميع فلربما كان الثاني أجدى وأولى.

وأمر آخر حول موهبة الشعر أيضاً. ماذا لو بدأت بوادر الشعر عند الطالب في مراحل متأخرة فالموهبة تخبوا وتظهر على مدى العمر كله، إذاً فالموهوب هو الطالب والطالب هو الموهوب ومن حق الجميع أن يصوب تلقاء الهدف ولو أنا نعرف أن البعض فقط سيصيب الهدف.

إن رعاية بعض الطلاب الموهوبين يشكل أزمة تعليمية جديدة من الناحية الحضارية إذ إن رعاية الموهوب بالصورة التقليدية التي تعرض اليوم في برامج الكشف عن الموهوبين انتهت منذ خمسين سنة، عندما أراد الغرب والشرق في ظل الصراع بينهما، أن يكوّن كل منهم النخبة لقيادة الأمة، لأنه لا وقت للعناية بالجميع لأن الفكر التربوي في ذلك الوقت لم ينضج بعد، أما اليوم فالتربية تأبى على نفسها أن تجزئ المجتمع إذ إن الجميع موهوبون ومن حق كل طالب أن يلقى العناية المكافئة لغيره من الطلاب. بل إن أولئك المصابين بخلل عضوي في تفكيرهم مثل مرضى المنغوليا هم أيضاً موهوبون، ويستطيع التعليم الواعي أن يستثير مكامن القدرة عندهم ويرعاها وينميها.

يسيطر على أذهاننا دائماً الطلاب سريعو البديهة الذين يتمتعون بقدرة على سرعة الفهم ويملكون لساناً جدلياً منطقياً ويملكون ثقافة لا بأس بها فهل هؤلاء هم الموهوبون المرادون أم غيرهم؟

وهل المجتمع يحتاج إلى الأذكياء المناطقة دون غيرهم؟ وحتى لو افترضنا أننا سنكتشف الموهوب بين الأعداد غير الموهوبة كيف سيتم ذلك؟ قطعاً إننا سنختار طريقين الملاحظة والاختبار المقنن فالملاحظة تخضع لعدة عقبات منها طبيعة الملاحِظ والملاحظ، فالحياء مثلاً عند الطالب قد يحرمه شرف اختياره موهوباً، والتعجل والمحاباة قد تؤثر على الملاحِظ فيسقط موهوبون بين الأصابع!! والاختبار المقنن يعتريه مشكلات في فهم الطالب لطبيعته وأسلوبه. فربما طالب تفوق فيه بسبب اطلاعه الكثير على اختبارات مشابهة، بل إن الطالب المريض في ذلك اليوم سيحرم من شارة التفوق، والطالب الذي اكتشف أهله قدراته متأخراً ونموها بشكل كبير لن يستطع اللحاق بالركب حتى لو اكتشف بكل الكاشفات، لأن أترابه سبقوه بسنوات في البرنامج ولا يمكن أن نعيده إلى صفوف أولية قطعاً.

ورغم ذلك لنفترض أن الموهوبين موصومون في جباههم وأنا جمعناهم جمعاً ماذا سنفعل في عشرين ألفاً من الطلاب خرجوا من بين ملايين العاديين؟

إنهم متفاوتون في القدرات والمواهب والظروف والطبائع فهل سننسوقهم في نظام واحد دون اعتبار لهذا التفاوت؟ وعند افتراض مجموعة من الموهوبين الأذكياء فهم ليسوا سواء في ذكائهم وبينهم بون شاسع في ذكائهم فضلاً عن

الاختلاف في الأحوال الأخرى غير الذكاء.

وسؤال آخر يتعلق برعاية الموهوبين المختارين، هل يعزل الموهوب في مدارس خاصة؟ وهل سيقوم بالتدريس والإدارة ثلة من الموهوبين؟ وكيف نختارهم وقد خرجوا من تعليم لا يراعي الموهوب؟

إن عشرات الأسئلة تفرض نفسها في كل مراحل البرنامج لأنها معضلة فعلاً لا يمكن أن تستقيم.

إن كثيراً من أولياء الأمور لن يقبلوا أبداً أن نصم أبناءهم بأنهم غير موهوبين، وهم يرون قدرات عند أبنائهم ليست عند الآخرين وربما شككوا في دقة الاختيار أو في النزاهة أيضاً.

وبعد ذلك هل يمكن القول أن هذه المشاريع غير مجدية؟ هل نطالب بإيقافها؟ قطعاً لا بل إن هذه المشاريع الضخمة في رعاية الموهوب من الدلائل أن الإصبع الآن بدأ يشير إلى المشكلة بعد سنوات وسنوات من الإهمال.

إن أولى الخطوات في رعاية الموهوبين هي الاعتراف بعدد الموهوبين، وهو عدد الطلاب وفي كل المدارس في المدن الكبرى والصغرى والقرى والهجر. وإن التعليم قادر بأن ينمي هذه القدرات ويفجر هذه الطاقات النووية في كل فرد عن طريق مركز دراسات للتأليف والبحث والترجمة يدرس الأساليب التربوية والإدارية لجعل التعليم مؤثراً في الجوانب النفسية والاجتماعية والسلوكية للطالب والمجتمع، ويجب أن يعطى صلاحيات واسعة في النقد والتحليل والقرار. بعد أن قبع الطلاب سنوات أسرى للصخب المعرفي والأسلوب الإداري التربوي التقليدي.

وفي الوقت نفسه لا مانع من إنشاء معاهد ومدارس يغلب عليها طابع إبداعي مثلاً «معهد المتفوقين في الرياضيات» أو «نوادي الشعر والقصة» أو غيرها ولكن يتم ذلك باختيار الملتحق، ولو وضع له امتحان قبول لأنها مدارس ومعاهد مختصة بجانب إبداعي محدد وكذا تشجيع الشركات والمصانع لرعاية مدارس تحوي بعض المواد التقنية والفنية.

إننا نمتلك آلافاً من البرامج التي تساهم في بناء الفرد واستغلال مواهبه وقدراته فقط نحن بحاجة لتغيير مفهوم التعليم من المفهوم السائد (المعرفة والمعلومة) إلى المفهوم الحقيقي وهو البناء الشامل (المهارة والسلوك). ■

حسن السيرة = سيئ السلوك؟!

بندر محمد الداود

حريملاء

من يرى واقع طلابنا اليوم، وخصوصاً طلاب الصف الثالث الثانوي يراهم حريصين على تحصيل الدرجات للوصول إلى المعدل الأفضل.

وبعد الحصول على الشهادة الثانوية، تراهم يتسابقون للتسجيل في إحدى الكليات الموجودة ضمن تلك الجامعات المتعددة في هذه البلاد.

ويلحظ الجميع أن تلك الجامعات تشترط على الطلاب للتسجيل فيها إحضار شهادة حسن السيرة والسلوك التي أصبحت شيئاً روتينياً لا تدل على المقصود منها.

بل إن جميع الطلاب وبلا مبالغة الخلوق منهم وسيء الخلق يحصلون على هذه الشهادة بسهولة، ودون طلب منهم، بل إنها تعطى لجميع الطلاب مع تفاوت أخلاقهم وسيرتهم في المدرسة، مما يؤدي إلى عدم اهتمام الطلاب بالالتزام بالأخلاق الإسلامية الحميدة، داخل المدرسة وخارجها، مما يلغي أهمية هذه الشهادة.

وهذا يعتبر ظلماً للطالب الخلوق، وذلك بمساواته بمن هو أقل منه خلقاً، ويتعدى الأمر ذلك حتى إنه ليصل إلى قبول عدد من الطلاب سيئي الأخلاق وعدم قبول مجموعة من الطلاب الخلوقين معل تدني الفارق بينهم في المعدل.

ولذلك أقترح اقتراحاً أرجو أن يصل إلى المسؤولين عن التعليم في هذه البلاد وهو باختصار: وضع تقديرات عامة لهذه الشادة -شهادة حسن السيرة والسلوك- (ممتاز، جيد جداً، جيد، مقبول) يقوم بتسجيلها جميع من يُدرس الطالب، بدءاً من أول سنة في مرحلته التعليمية.

وفي نهاية كل عام يحسب معدل هذه الدرجات وتسجل له في شهادته كباقي المواد الأخرى. وفي نهاية مرحلته التعليمية يحسب معدل هذه الدرجات تراكمياً وبحسب المعدل يحتسب التقدير وبحسب التقدير تصرف الشهادة ويحدد نوعها. ■

في حصة الانتظار

خميس خمش خشم حنش!!

موسى بن سعيد الزهراني
الباحة

دنيا المعلمين كغيرها مليئة بالأفراح والأتراح، وقد تعرض في الأفق لمعلم «ما» كغيره من البشر ظروف مرضية أو عائلية تعيقه عن الذهاب إلى المدرسة رغم أنه يحمل بين جوانحه هموماً تربوية.

وحصة الانتظار تلك اللحظات التي يقضيها المعلم مع طلبة قد تكون في غير فصله المعتاد تتفاوت بين المعلمين، فمنهم من يرى أنها من منظور تربوي جزء من عمله وخدمة لزميله ولبنة تسد وتبنى ليتكامل اليوم الدراسي بعيداً عن الفوضى بين الطلبة وحفاظاً على نظام المدرسة العام، ومنهم من يرى أنها شبح يخيم بظلاله عليه فتراه يؤديها كيفما اتفق ما بين لعب الكرة أو حل للألغاز.

وقد لامس سمعي ذات مرة أحد المعلمين وهو يختبر الطلبة في سرعة البديهة وترتيب النطق وهم يقولون «خميس خمش خشم حنش! وحنش خمس خشم خميس..!» قد يكون ضرباً من ضروب المزاح والتسلية وكسر حواجز الخجل بين الطلبة ومعلمهم «الاحتياطي».

خسارة سنة ولا خسارة الحياة

خالد الحاجي
الرياض

مما لاشك فيه أن كلاً منا حريص على مستقبل أبنائه، فهو يطمح أن يراهم وقد حققوا ما يريد أو ما يريدون بحصولهم على أعلى مستويات التعليم، وحصولهم على مكانة مرموقة في المجتمع، وهو بذلك يقطف ثمرة رعايته لهم وقد اطمأن على مستقبلهم.

لهذا نرى كثيراً من الآباء حريصين على تسجيل أبنائهم في المدرسة قبل السن النظامية المتعارف عليها اعتقاداً منهم أن ذلك «يكسبهم سنة» دون التفكير في عواقب ذلك، وما قد يسبب لهم من معوقات دراسية.

ومما لاشك فيه أن للزمن قيمة عظيمة وضياع جزء منه يعد خسارة كبيرة على المستويات كافة، وفي كل الاتجاهات. وقد أجريت دراسات عديدة حسب من خلالها مدى الخسارة التي ترتبت على مستوى الفرد والمجتمع والدول نتيجة لإضاعة الوقت، وكل ذلك يصب في مفهوم المصلحة المادية ليس إلا.

وإلى هنا وكل شيء مقبول ولا اعتراض عليه، بل يجب ألا تضيع ثانية من عمرنا إلا ونجني فيها فائدة أو نقطف ثمرة، وهذا ما حثنا عليه ديننا الحنيف.

ولكن تفكير بعض الآباء في كسب سنة من عمر أبنائهم دراسياً، أي تسجيلهم في المدرسة في وقت مبكر قبل السن النظامية هو الذي يعتبر خسارة للابن أولاً، وللأهل ثانياً وللمجتمع ثالثاً.

وذلك لأسباب عديدة فقد لوحظ أن أكثر الأطفال الذين يلتحقون بالمدرسة في وقت مبكر قبل السن

ولكن ليس ذلك بكافٍ في الاستفادة من الحصة المثلى لأن الوقت: ركاز من تبر.

وبقدر ما أنا في هذا المقال أفضح «اجتهادات» زملائي، بقدر ما أجتهد في إيجاد حلول لتلك الحصة.

أولاً: لنسأل أنفسنا سؤالاً «تربوياً» قد يحتاج إلى بحث مستفيض: «لماذا يفرح الطالب عند غياب المعلم؟!». ومتى يأتي ذلك الوقت الذي يحزن فيه الطالب لغياب معلمه؟

ثانياً: تهيئة المدرسة بأقل أدوات الترفية مثل: الفيديو التعليمي والمكتبة والإعلام التربوي، وغيرها.

ثالثاً: أن يكون ضمن خطط المدرس من بداية العام: ما هو برنامجك لإشغال حصة الانتظار؟

رابعاً توزيع الطلبة على بقية الفصول حسب رغبة الطالب وطموحه. فمن يريد الفن مثلاً يتجه إلى مدرس التربية الفنية. ومن يرغب عالم الاتصالات ودنيا المعلومات يتوجه إلى غرفة الحاسب. ومن يهوى الإنجليزية فليتجه إلى «القناة الثانية بالمدرسة».

خامساً: يقوم المرشد الطلابي بمفرده أو بمساعدة منسق الإعلام التربوي أو أحد المعلمين بإعداد كتاب منوع يحتوي على «قصص، أسئلة ثقافية، مسابقات، ألغاز، طرائف» ويسمى مثلاً «دردشة في حصة الانتظار»، وقد قامت جماعة الإعلام التربوي بمدرستنا بإعداده.

سادساً: مدير المدرسة هو المسؤول الأول عن كيفية برمجة وإعداد توصيات ومسابقات بين المعلمين والإشراف عليها وتذليل الصعاب.

سابعاً: أن يتولى أمين المكتبة إذا كان متفرغاً التعامل مع الطلبة وتثقيفهم ويفعل دور المكتبة.

من هنا ومن خلال تجربتي في عشرين عاماً أرجو أن نضع هذا المقال نصب أعيننا وإلا سوف تدب الفوضى وقد يخمش خميس خشم حنش في الفصل.

نسأل الله العافية والسلامة. ■

النظامية لم ينضجوا جسمياً وعقلياً ولغوياً واجتماعياً، ويكفي عامل واحد منها ليكون عائقاً دراسياً يجعل الطفل يتعثر مما ينجم عنه مشكلات نفسية تؤدي إلى عكس ما يتمناه الآباء.

فنظراً لعدم اكتمال النمو المطلوب للطفل فإنه لا يستطيع اكتساب المهارات والخبرات التي تمكنه من تحقيق أساس علمي تربوي متين وفق ما رسمه المنهاج. ولنأخذ على سبيل المثال تعلم القراءة والتي هي مفتاح التعلم لديه، فالقراءة مهارة مكتسبة وليست ميلاً طبيعياً كالجوع واللعب. وهي عملية معقدة تشمل حركات العين وعمليات عقلية مثل تمييز الرموز المكتوبة وتفسيرها، والتفكير واستخدام المعلومات المكتسبة. وقد ظهر أن الطفل المتوسط الذكاء يكون مستعداً للقراءة حين يتم السادسة أو السادسة والنصف من العمر مع الأخذ في الاعتبار الفروق الفردية.

فإذا بدأ الطفل يتعلم القراءة قبل أن يبلغ المستوى اللازم من النضج تعرض للإخفاق وما يصحبه من اضطرابات انفعالية.

ولهذا فإن من أهم العوامل التي تؤدي إلى تخلف الأطفال في السنوات الأولى من دراستهم هو الشروع في تعلم القراءة من دون استعداد مناسب لها، وهنا تكمن المشكلة الخطيرة حيث يبدي الطفل رغبته بعدم الذهاب إلى المدرسة وعدم الإقبال على التعلم. فمجرد حصول ذلك تراه ينصرف عن الانتباه للمعلم و يوجد أعذاراً بريئة أحياناً، أو يكون عرضة للسخرية من بعض زملائه ونظراتهم التي تشير إليه على أنه أقل مستوى منهم وأقل إدراكاً واجتهاداً.

وتبدأ تتراكم هذه الأمور عنده بشكل تصاعدي ويزداد التأخر الدراسي عنده ويتخلف عن زملائه لعدم اكتمال مقومات النجاح لصف أعلى، أو أنه يترك المدرسة لاحقاً، وهذا أقرب للواقع لأن استمراره بأساسه الضعيف يحول بينه وبين متابعة معلمه، وكل ذلك بسبب الدخول المبكر جداً للمدرسة.

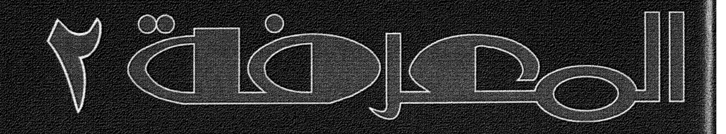
دعوا أطفالكم يتمتعون بطفولتهم ولا تستعجلوا في إلحاقهم بالمدرسة قبل السن النظامية، فالتوافق النفسي والاجتماعي واكتمال نمو مدارك الطفل عوامل بناءة في إكسابه أساساً تعليمياً متيناً. فخسارة سنة -إن كانت خسارة- ولا خسارة الحياة. ■

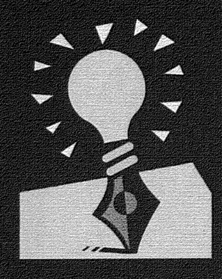
عاجل إلى:

- علي بن جبريل - مكة المكرمة.
- ماجد عبدالله فارس - أبها.
- حيدر مصطفى - الطائف- قروى.
- علي عبدالرحمن غرمان- النماص.
- شريف قاسم - نجران.
- جودت علي أبوبكر - الرياض.
- محمد عبدالمنعم اللقاني- سراة عبيدة.
- عبدالله بن عيسى الشاجري- صبياء.
- عبدالرحمن بن سالم الخلف- الرياض.
- عبدالله بن ناصر العويد - الأحساء.
- أدهم اسماعيل الخطيب - باروط - بني سويف.
- عبدالرحن بن صقير العريني - الرياض.
- محمد سعد دياب- ينبع الصناعية.
- منصور محمد مذكور- صامطة.
- فيصل سليم التلاوي - مكة المكرمة.
- حسين عبدالكريم العامر - الأحساء.
- علي محمد السيد - جدة.
- حسن شبنان العيسى- القنفذة
- فائز أحمد الشهري - أبها.
- زكي إبراهيم السالم - الأحساء.
- بكر موسى هارون عثمان - مكة المكرمة.
- سعيد محمد السهلي - المدينة المنورة.
- حمد بن مشرف اليامي - نجران.
- محمد بن أحمد الزيداني - تعليم ألمع.
- عبدالفتاح العقيلي - الجوف.
- سلمان بن محمد الفيفي - مكة المكرمة.
- قيس عيسى آل مهنا -القطيف.
- علي بن محمد القرني - سبت العلايه.
- علي بن محمد آل بابطين - مكة المكرمة.
- علي بن عبدالله الزبيدي -القنفذة.
- عاطف محمد الشهري - أبها - المجاردة.
- صالح بن إبراهيم العوض- الدمام.
- منصور محمد العتيق - الرياض.
- محمود الأحمد العطيش- الخرج.
- أحمد موفقي- الجزائر.
- هدى فهد المعجل- الدمام.
- مسعود حمد اليامي - نجران.
- سيد محمد عبدالعال- مصر- أسيوط.
- احمد حسن الصفار - الأحساء.
- عبدالرحمن بن محمد آل سبيت- الرياض.
- فيصل أحمد حجاج - الاسكندرية.
- عبدالله بن يحيى القحطاني - خميس مشيط.
- عبدالملك عبدالرحمن اليحيى- الرياض.
- محمد أبو العز عبده- شرورة.
- فوزي محمود حسن - الخبر.
- عزالدين سليمان - الرياض.
- عيسى الشيخ حسن - قطر
- محمد محمد صديق - مكة المكرمة.
- محمد البلغمي - المغرب- فاس.
- منصور المهوس- بريدة.
- السيد صلاح محمد - مصر.
- عبدالله بن سليمان الطليان - الخرج.
- محمد عبدالعزيز المبرد- الرياض.
- حسام محمد القسام - مكة المكرمة.
- زكريا عبدالمحسن سيد - مصر - أسيوط.
- عبدالرحمن البريكيت - محافظة العلا.
- زيد حسين الأنصاري - مكة المكرمة.
- عبدالرزاق محمد سيف البكاري- اليمن - الحديدة.
- سادان طه محمد - مصر- دمياط.
- سعود بن معيوض الشبيثي- مكة المكرمة.
- ابراهيم عواض الشمراني - بيشة.
- ياسين حمد المقعدي - القنفذة - الجبيل.
- عبدالرحمن سلمان الدهمش - الرياض.
- عبدالفتاح العقيلي- الجوف
- عبدالرحيم الماسخ - سوهاج - مصر.
- محمد عباس علي - الاسكندرية- مصر.
- محمد بن سلطان السلطان- بريدة.
- إبراهيم بركات - الدوادمي.
- لينه الصوفي - المدينة المنورة.
- عبيد عبدالله صليح - الحلوة.
- علي عبدالله العيسى - الظهران.
- إبراهيم محمد الجهني - تبوك.

- فتحية الجيزاني - الرياض.
- عبدالعزيز علي العسكر - الدلم.
- أحمد ابراهيم عمر - تعليم رجال ألمع.
- حازم محمد الغفيلي- تعليم الرس.
- نوره عبدالله العسيري- محايل عسير.
- عبدالله نوح الشهري - أبها.
- ظافر محمد العمري - الرياض.
- بهاء الدين عايش - الرياض.
- عبدالرزاق محمد آل قاسم -أبو عريش.
- أحمد بن عامر آل بدوي- رجال ألمع.
- سعيد بن بجاد - القويعية.
- خالد الخروصي - عمان.
- خضر أنور بيومي- القاهرة.
- عبدالرحمن بن محمد آل عوضه- الرياض.
- محمود مجدي عطاالله- الرياض.
- عبدالمنعم منصور القلاف- سيهات.
- عوض بن محمد المالكي - الخبر.
- عبدالله ناصر السعودي - بريدة.
- ابراهيم بن يوسف الأقصم - جدة.
- محمد ابراهيم فائع - خميس مشيط.
- عبدالرحمن عبدالله المالكي- الطائف.
- آمال عبدالرحمن عبادي - الخفجي.
- علي مسعد القبيسي - النماص.
- فراس خليفة - لبنان.
- ماجد علي أبو بكر المالكي- الرياض.
- علي بن عبدالعزيز الشبل- الرياض.
- صالح بن عبدالله الفرمان- الباحة.
- عبدالله خليفة السويكت -الرياض.
- زيلوخه طاع الله -دمشق.
- خالد عبدالرحمن الكناني - القنفذة.
- يحيى سعد العمري - بيشه.
- حسين محي الدين سباهي- سوريا.
- عبدالهادي عبدالله الشهراني- نجران.
- ماجد بن محمد الوبيران - خميس مشيط.
- أحمد بن عبدالله آل طراف - عسير.
- علي عبدالله السوطاني - المخواة.
- عبدالله باطير - الجزائر.
- نوره العويرضي - الرياض.
- صالح بن محمد الغانم - القصيم.
- محمد علي القضيبي - عقلة الصقور.
- وليد سليمان - الأردن.
- فياض بن صالح الرويلي - طريف.
- إسماعيل بابكر كرار -رجال ألمع.
- محمود سلامه الهايشه - القاهرة.
- أحمد حسين محمود - الرياض.
- درغام عبدالله حسين - مصر.
- صلاح الأسود العنزي - عرعر.
- سلمان عبدالله الحبيب- القطيف.
- زكية عبدالعظيم هاشم آل حسن - صفوى.
- رشيد عبدالعزيز أبو رشيد - الرياض.
- خالد بن سليمان المويشير - الجوف.
- عبدالله سيد شعبان - القصيم.
- رضا عبدالحكيم رضوان - مصر.
- وفاء عمر حصرمه - سوريا.
- علاء الدين حسن - سوريا.
- سهيل محمد هندي - المدينة المنورة.
- عبدالإله التاروتي - القطيف.
- عبدالحميد محمد الراوي- مصر.
- أحمد حسين محمود - الرياض.
- آمنه علي حماد - جدة.
- علي القطامي - الرياض.
- خالد الغامدي - الدمام.
- اسامة علي متولي - الرياض.
- محمد بن عبدالرحمن مغربي - مكة المكرمة.
- محمد بن مأمون عبدالحميد- جدة.
- صالح بن محمد القاضي- الرياض.
- علي محمد الثوابي - رجال ألمع.
- عبدالفتاح أحمد الريس - تبوك.
- خالد سويلم السويلم- رفحاء.
- الطيب أديب - مصر.
- سارة مرزوق سالمين - الجبيل.
- حسين عبدالله ابراهيم - المنامة.
- أحمد محمد عبدالعظيم - مصر.
- محمد عائض حنيف- سراة عبيدة.
- رشاد فتح الله الألفي - بيشه.
- ناصر عويض الحربي - القصيم.

شكراً لكم جميعاً.. رسائلكم وصلت، وفي انتظار مشاركات جديدة.





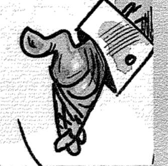
- الأمريكيات والعنف المنزلي.
- ذوات النمو الغامض؟!
- المجتمع يرفض عودة المرأة للمنزل!
- هيئة عليا للتفتيش.

كاريكاتير

قم يجعلك "نومة" جدي!! حسبي الله عليك
مغير الاحق فيك من غرفه لغرفة!! ماعندك
في العطله "الله يخلصها".. الا "بلع"!! و"نوم
وسهر".. وقل صلاة..!!

الوهيبي









حياة كل واحد منا، جملة من النجاحات والإخفاقات . .
وأجمل شيء أن يترك الواحد منا الحديث عن نفسه، ويدع الآخرين يتحدثون عن إنجازاته ونجاحاته. حسناً . . وعماذا هو يتحدث إذاً، عن إخفاقاته؟ ربما!
الفشل ليس عيباً، فهو وقود الانتصارات . .
«المعرفة» تريد من هذا الباب أن تقول للشباب من الجيل الجديد إنه ليس هناك إنسان لم يذق طعم الفشل في حياته، نريد أن نقول لهم إن الجيل الذي سبقهم هو جيل إنساني يخطئ ويصيب . . ينجح ويفشل، ثم ينجح مع الإصرار.
ف: فرصة تمنحك إياها - المعرفة - لتسجيل اعترافاتك.
ش: شهادة.
ل: ليس عيباً أن تفشل . . ولكن العيب أن تزعم أنك لم تفشل في حياتك!
وضيف هذا العدد هو: الباحث والمفكر: جورج طرابيشي،

المعرفة

جورج طرابيشي:

بسبب اسمي فشلت أن أكون مناضلاً عربياً!

١- كان أول فشل لي في حياتي مولدي. فقد ولدت في أسرة عادية، وكنت أتساءل في أول خطواتي التفكيرية (وأنا طفل) لماذا لم أولد من أسرة نبيلة أو أميرية، ثم اكتشفت بعد سنوات عديدة، وأنا أطالع كتابات سيغموند فرويد، أن الأطفال الذين يحلمون بالولادة من أسرة وهمية أنبل من أسرتهم الفعلية، هم الأطفال المرشحون الأكثر من غيرهم للتثبيت في العقدة الأوديبية.

٢- ثاني فشل في حياتي هو اسمي. فقد ولدت عام ١٩٣٩م، وفي حينه كانت سورية قد بدأت تشهد نضوجاً للوعي القومي، تمثل فيما تمثل في إقدام الأسر على



- أول فشل في حياتي.. مولدي!
- «جورج» .. الفشل الثاني.
- فشلت في عد النجوم.
- فشلت أن أكون غنياً.
- فشلت في السباحة وكرة القدم.
- فشلت أن أكون بطلاً.

تسمية أبنائها بأسماء عربية لا تدل على انتمائهم الديني أو الطائفي، فضلاً عن أن تعريب الأسماء كان شكلاً من أشكال المقاومة للمستعمر الفرنسي، وبالفعل، فإن أبي الذي كان على صلة ما بالحركة الوطنية سمى جميع أخوتي بأسماء عربية: سمير، وجلال، وفائز.. إلخ، باستثنائي أنا، وحين سألته عن السر في ذلك أجاب: أنت ابني البكر، وكان لابد أن أسميك باسم جدك. فهذا تقليد لا يمكن أن نشذ عنه.

وبالفعل، فقد بقيت أتألم من اسمي، بوقعه الأجنبي ودلالته الطائفية، حقبة مريرة من الزمن. ثم بدأت أتصالح معه عندما اكتشفت أنه من أصل يوناني، وأنه يعني باليونانية: «شغيل الأرض»، أي الفلاح، وأنه ليس أجنبياً خالصاً، بل ذو أصل سامي: فهو مشتق من «الجين»، وتعني بالسامية الأرض ومنها أيضاً اشتقت كلمة «جغرافيا».

ثم كانت مصالحتي التامة مع اسمي عندما اكتشفت من قراءاتي في التراث العربي الإسلامي أن واحداً من كبار المحدثين المكيين كان يحمل الاسم نفسه، ولكن بصيغة أكثر تعريباً: ابن جريج.

٣- ومما أذكره من أنواع الفشل في حياتي فشلي في عد النجوم.

فأنا لم أكن سهل النوم، وكما في الصيف، في حلب، ننام على الأسطحة. فتحداني أبي ذات ليلة - وقد لاحظ امتناع النوم عن جفوني - أن أعد النجوم في السماء

● فشلت في إنجاب ولد ذكر!

● صوتي منكر.. وأذني ناشزه!.

● فشلت في «الرطن» بالفرنسية.

● في حياتي ١٤ محطة فشل.

الصافية، فقبلت التحدي وشرعت بسذاجتي الطفولية أعد النجوم نجماً نجماً وبطبيعة الحال، فقد فشلت، ولكني نجحت بالمقابل في النوم، وما كنت أدري أن العد «للنجوم أو مجرد الأرقام بتسلسلها» هو أجدى وسيلة لقتل الأرق.

٤- فشلت أيضاً في القفز في السباحة، فقد كان رفاقي يتبارون في القفز في حوض السباحة من أعلى السلم. وقد حاولت أن أقلدهم. ولكن بدلاً من أن أسقط في الماء على رأسي، سقطت على بطني وتوجعت وجعاً كثيراً، ومنذ ذلك اليوم امتنعت عن القفز في الماء على الرأس، وصرت لا أنزل إلى حمام السباحة إلا على قدمي.

٥- فشلت في أن أكون لاعب كرة قدم، فقد كان أولاد حارتي ينظمون مباريات تنافسية مع أولاد الحارة المجاورة. فانضممت إلى الفريق وشاركت في عدة مباريات. ولكن ذات مرة تلقيت الكرة - وكانت عنيفة - برأسي وأصبت بصداع شديد اضطرني إلى أن أقاطع الملعب بصورة نهائية.

٦- كان الاقتتال بالملاكمة واحدة من هوايات أبناء حارتي. ولكن بنيتي النحيلة في طفولتي منعتني بصورة نهائية أيضاً من أن أكون «بطلاً» لا في الملاكمة، ولا في المصارعة، ولا في جميع أشكال المواجهة التي تتطلب قوة عضلية.

ترى أكان ذلك هو دافعي إلى التوجه نحو القوة الفكرية؟

٧- كانت حفلات الأعياد والموالد والأعراس كثيرة في حارتنا. وكان الغناء الجماعي شائعاً في تلك الحفلات، ولكن في كل مرة كنت أنبري فيها للمشاركة في الغناء كان الحضور يطلبون مني في الحال أن أمتنع عن الغناء، فقد كان صوتي - قبل بلوغي - منكراً، فضلاً عن أن أذني كانت ناشزة.

٨- بالفعل إن أذني لم تكن في يوم من الأيام موسيقية، فرغم امتلاكي من صغري ناصية اللغة العربية، ورغم إتقاني لعلم العروض المجرد، فقد فشلت في أن

أنظم بيتاً واحداً من الشعر.

٩- كما فشلت في أن أكون شاعراً، ولو ليوم واحد، فقد فشلت في أن أكون روائياً، فما أكثر ما كتبت وما مزقت من مخطوطات ومشاريع روايات، ولكن مقابل فشلي هذا نجحت في أن أكون ناقداً روائياً، وبذلك يكون قد انطبق علي القول السائر:

إن تحت جلد كل ناقد ناجح روائياً فاشلاً.

١٠- فشلي الثقافي الآخر يكمن في علاقتي باللغات الأجنبية، فرغم أنني أتقنت الفرنسية قراءة وكتابة، وترجمت منها إلى العربية عشرات الكتب، فإنني لم أنجح قط في أن أتقنها نطقاً، والعجيب أنه حتى بعد أن انقضت على إقامتي في مغتربي بفرنسا خمس عشرة سنة كاملة، فإني ما زلت إلى اليوم أتلعثم بالنطق بالفرنسية والرطن بها.

١١- فشلي في مقاومة الزمن، فقد كنت أتعجب في شبابي من توفيق الحكيم- وكان من أحب الكتاب إليّ- عندما كنت أجده في العديد من نصوصه يلح كل ذلك الإلحاح على حتمية قانون الزمن، وكنت في اندفاعي الشبابي أتوهم أنني لن أشيخ أبداً. ولكن ها أنذا أطرق أبواب الشيخوخة واكتشفت، مثلي مثل جميع الآخرين من شيوخ البشر أن ما بقي من الحياة أقل بكثير مما تقدم منها.

١٢- فشلي الأكثر في حياتي هو الهزيمة العربية في حزيران ١٩٦٧م ،ولكن هذا ليس «فشلي» بل هو فشل جيلي بأكمله، إنه فشل الأمة ومما يرعبني أن أفكر، مجرد التفكير، بأن الحياة لن تمتد بي بما فيه الكفاية لأرى نهاية هذا الفشل، ولا أدري هل ستكون له من نهاية أصلاً.

١٣- فشلت في أن أكون غنياً، فرغم أني تجاوزت الستين، وكتبت وترجمت نحواً من مئتي كتاب، فإني مازلت مضطراً حتى اليوم إلى العمل والكتابة الصحفية لتأمين القوت اليومي، ولكن لكي أكون واضحاً، فأنا ما أحببت قط الغنى للغنى، ولكن كنت دوماً أحلم بأن يكون لي دخل متواضع، ولكن كاف لكي أتفرغ تفرغاً تاماً للكتابة. وهذا ما لم أنجح فيه إلى اليوم.



جورج طرابيشي

• فشلت في نظم بيت من الشعر.

• فشلت في أن أكون روائياً.

• تحت جلد كل ناقد روائي فاشل.

١٤- فشلت في تحقيق حلم زوجتي، لا حلمي، في أن ننجب ولداً ذكراً، فنحن لم نرزق سوى بنات، ثلاث بالعدد لأصارح القارئ بأنني سعيد بذلك ، لا حزين. فأنا قد ولدت في أسرة تتألف من ستة إخوة من الذكور، وكنت منذ طفولتي أحلم وأتمنى لو كانت لنا، نحن الستة أختاً تلقي على وجودنا الذكوري شيئاً من الدفء والأنس الأنثوي.

ولذلك عندما رزقت ببنت أولى، ثم ثانية، ثم ثالثة، سعدت وبقيت سعيداً.

ولكن زوجتي في المرة الثالثة بكت، فقد كانت تريد ولداً ذكراً. وأنا أفهمها وأفهم رغبتها هذه، ولكني مع ذلك فرح، ولو كنا رزقنا ولداً رابعاً، فإني كنت سأرحب بأن يكون.. بنتاً.

١٥- حاولت عبثاً أن أهتدي إلى فشل خامس عشر في حياتي، كما طلبت مني هيئة تحرير مجلة «المعرفة» فليكن إذاً هذا الفشل هو الفشل الأخير المطلوب. ■

المعرفة

من هنا وهناك :



في هونغ كونغ:

المخدرات تغزو أطفال المدارس الابتدائية

بعد دراسة أعدتها جماعة للرعاية الاجتماعية في هونغ كونغ تبين أن ٧٠٪ من الصغار الذين اعتادوا الذهاب إلى حفلات السمر والمراقص اعترفوا بأنهم يتعاطون المخدرات، وأن ثلثي هؤلاء الصغار لم تتخط أعمارهم السبعة عشر عاماً وأعمارهم تتراوح بين ١٢ إلى ١٣ عاماً.

وبعد استطلاع تم إجراؤه تبين أن الشباب يذهبون إلى حفلات السمر ويتعاطون المخدرات مرتين في الأسبوع على الأقل وأن ٧٢٪ يذهبون مرة واحدة شهرياً على الأقل. وقد شكلت الحكومة لجنة خاصة للتحقيق في هذا الأمر لمعالجة مشكلة تزايد المتعاطين للمخدرات من صغار السن.

مُعمّر لا يعرف اليأس



جورج داوسون يبلغ من العمر ١٠٢ عام وقد أصدر كتابه الأول رغم أنه لم يتعلم القراءة والكتابة إلا قبل أربعة أعوام فقط أي عندما بلغ عمره ٩٨ سنة.

والبداية كانت عندما قال لنفسه إذا كان باستطاعة كل فرد تعلم القراءة والكتابة فأنا سأكون قادراً على ذلك. ويقول التلميذ النجيب إن الدراسة تبدأ في التاسعة ولا أستطيع الانتظار حتى يحين موعد الدراسة لذا أصحو في الخامسة لأطهو غذائي ثم أجهز كتبي. ويقول أيضاً يمكن للرجل الحكيم أن يبدل حاله ولكن الأحمق يظل على حاله.

في مجال تكنولوجيا المعلومات:

مطلوب ٦٠٠ ألف عامل

ذكرت إحصاءات نشرت أخيراً في بعض الصحف البريطانية مفادها أن الطلب على العاملين في مجال تكنولوجيا المعلومات في أوروبا يزداد كثيراً وعلى نحو لم يسبق له مثيل، فيما يبقى الموجود من هؤلاء العاملين على حاله أو يزداد ببطء شديد بسبب نشوء هوة يصعب ردمها بين العرض والطلب.

وتشير الإحصاءات إلى أن دول غرب أوروبا تعاني نقصاً يبلغ حالياً نحو ٦٠٠ ألف عامل في مجال تكنولوجيا المعلومات، وأن ألمانيا هي أكثر هذه الدول افتقاراً إلى كل ما تحتاج إليه من هؤلاء العمال المهرة إذ يقترب مقدار النقص فيها من مئتي ألف عامل.

ويعني هذا كله أن دول أوروبا ستبذل مزيداً من الجهود الجبارة في سبيل اجتذاب ما ينقصها وقد تكون الدول العربية من ضحايا هذه الجهود.

اصدار جديد:

موسوعة فقهية ميسرة

أصدرت دار النفائس بيروت الطبعة الأولى عام ٢٠٠٠ من الموسوعة الفقهية الميسرة لمن يريدون أن يثقفوا أنفسهم ويزيدوا في حصيلتهم الفقهية، وقام المؤلف بترتيب الموضوعات بحسب لفظها دون الرجوع إلى جذرها اللغوي وصاغ عباراتها بسهولة دون تعقيد واتجه إلى الرأي الأصح -في تقديره- في المسائل التي اختلف فيها العلماء.

فرنسا.. الأولى صحياً

أصدرت منظمة الصحة العالمية التقرير السنوي المعتاد، وأفاد التقرير أن فرنسا تتمتع بأفضل وسائل العناية الصحية في العالم، كما صنفت سلطنة عمان بين أفضل عشر دول في العالم بينما حلت سيراليون في أدنى مراتب قائمة الدول الأعضاء وعددها ١٩١ دولة.

وللتوصل إلى هذه النتائج اعتمدت منظمة الصحة العالمية معايير أساسية تسمح بالمقارنة بين مستويات النظم الصحية حسب عوامل مختلفة كالمستوى الصحي العالي للسكان، بالاستناد إلى متوسط الأعمار والفروقات الصحية بين السكان واكتفاء المواطنين بفاعلية الخدمات الصحية وتوزيع كلفة تمويل النظام الصحي بالنسبة للسكان.

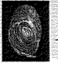
واستناداً إلى هذه المعايير احتلت فرنسا المرتبة الأولى تلتها إيطاليا وسان مارتان وأندورا ومالطا وسنغافورة وأسبانياً وسلطنة عمان والنمسا واليابان.

وتنوع ترتيب الدول العربية الأخرى الأعضاء في المنظمة، حيث صنفت السعودية والإمارات العربية المتحدة والمغرب ضمن المجموعة الثالثة في المرتبات ٢٦-٢٧-٢٩ على التوالي، مع إسرائيل التي احتلت المرتبة ٢٨، وصنفت البحرين «٤٢» وقطر «٤٤» والكويت «٤٥» ضمن المجموعة الرابعة قبل تونس «٥٣» ومصر «٦٣» التي احتلت قبل تركيا «٧٠» وصنفت الجزائر «٨١» والأردن «٨٣» وليبيا «٨٧» قبل لبنان «٩١» الذي حل في المجموعة نفسها مع إيران «٩٣»، وصنف العراق في المرتبة «١٠٣» وسورية في المرتبة «١٠٨» وجزر القمر «١١٨» واليمن «١٢٠» يليه السودان «١٣٤» وجيبوتي «١٥٧» وموريتانيا «١٦٢» وأخيراً الصومال في المرتبة «١٦٩».

وحلت سيراليون في المرتبة الأخيرة بعد بورما وجمهورية أفريقيا الوسطى وجمهورية الكونغو الديمقراطية ونيجيريا وليبريا ومالاوي وموزامبيق وليسوتو وزامبيا وأنغولا وأثيوبيا.

وحلت الولايات المتحدة الأمريكية في المرتبة «٣٧» وروسيا في المرتبة «١٣٠» والصين في المرتبة «١٤٤» وبريطانيا في المرتبة «١١٨» وسويسرا العشرين وكوبا في المرتبة «٣٩».

وكشف تقرير المنظمة عدداً من الثغرات المهمة في مختلف أنظمة العناية الصحية في الدول الأعضاء وخصوصاً الامتيازات الممنوحة للقطاع العام على حساب القطاع الخاص والسماح لأطباء القطاع العام بالعمل في القطاع الخاص مما يؤدي إلى تمويل طبابة حرة غير رسمية بواسطة القطاع الخاص. وأشار التقرير إلى أن النفقات التي يتكلفها الأفراد على صحتهم تشكل ٢٥٪ من حجم النفقات في الدول الصناعية باستثناء الولايات المتحدة الأمريكية حيث تبلغ النسبة ٥٦٪ وتقفز إلى ٨٠٪ في الهند نظراً لعدم وجود مؤسسات للضمان الصحي.



الأمريكيات والعنف المنزلي



في دراسة عن المعهد الوطني للعدالة أن العنف المنزلي في الولايات المتحدة الأمريكية يلازم ربع النساء تقريباً خلال حياتهن، وهذه الدراسة شملت ثمانية آلاف امرأة وثمانية آلاف رجل، وتبين أن نحو ٢٥٪ من النساء و٧,٥٪ من الرجال يتعرضون مرة واحدة في حياتهم للاغتصاب أو الاعتداء الجسدي من قبل الزوج أو شريك الحياة. وذكر المعهد أن ١,٥ مليون امرأة و٨٣٤٧٣٢ رجلاً من مجمل السكان تعرضوا لمثل هذا النوع من العنف خلال الـ ١٢ شهراً التي سبقت التحقيق.

أسرع طابعة ألوان مكتبية

أنهت مؤخراً شركة «زيروكس» إنتاج طابعتها الجديدة (Phaser 850) للطباعة الملونة مقاس A4 بواسطة الحبر الجاف. وتتميز هذه الطابعة بسرعة طباعة عالية تصل إلى ١٤ صفحة في الدقيقة الواحدة، وأيضاً بنوعية ألوان فائقة الجودة وطباعة صور باهرة، وتمثل الطابعة الجديدة قيمة مالية متميزة من خلال الحبر الأسود المتوفر معها طوال عمر الطابعة وهي تطبع أول ورقة خلال ١٥ ثانية أي ضعف سرعة طابعة الألوان بالليزر.

الأمريكيون يدرسون عبر الإنترنت

من دون حضور المحاضرات يسجل ١٠ بالمائة من الطلاب الأمريكيين في صفوف الكليات والجامعات، ويتعلمون وفق برامج مخصصة للتدريس عبر شبكة الإنترنت، ولايزال الخبراء حائرين في مستوى وجودة المناهج المقدمة للطلاب الدارسين عن طريق المراسلة.

أما معهد سياسات التعليم العالي فقد نشر تقريراً حول التعليم عبر الإنترنت يوصي باتباع ٢٤ من القواعد الأساسية التي ينبغي الاعتماد عليها في عملية الدراسة بالمراسلة.

وكانت ولادة فكرة كتابة التقرير جاءت بعد حدوث مناقشات حادة بين مؤيد ومعارض للتعليم بالمراسلة، وحسب الإحصاءات المنشورة عن المركز القومي للتعليم بناء على معلومات أخذت من ١٤٨٧ كلية سجل بدراسة المراسلة عام ٩٧-٩٨م ١,٦ مليون طالب في صفوف للكليات والجامعات مدة الدراسة فيها بين عامين وأربعة أعوام.

ثم زادت نسبة الكليات التي تعرض مناهج التدريس بالمراسلة من ٣٣ إلى ٤٤ بالمائة.

التحرر من الجوع



تحت شعار التحرر من الجوع احتفلت المنظمة العالمية للأغذية والزراعة بالولايات المتحدة بيوم الأغذية العالمي في ١٦ تشرين الأول سنة ٢٠٠٠.

وتدعو المنظمة لاتخاذ إجراءات فورية لإزالة أسباب الجوع المزمن الذي يشكل مشكلة عالمية يعاني منها ٨٠٠ مليون نسمة في العالم. وترى المنظمة أن تحرير الألفية الجديدة من الجوع يتطلب إجراءات كبيرة ليس القصد منها تأمين الغذاء، ولكن إزالة هذه المشكلة بصورة دائمة. وأشارت أحدث الأرقام إلى أن عدد الجياع انخفض بمعدل ٨ ملايين نسمة خلال النصف الأول من التسعينات وأعلنت المنظمة عن أسماء (٣ سفراء) في يوم الغذاء العالمي سيشاركون في حملة تليفود التي تقودها المنظمة ضد الجوع في العالم.

جهاز جديد لمرضى الربو

طور أطباء بريطانيون جهازاً يعزز آمال العالم في مكافحة مرض الربو، وهذا الجهاز عبارة عن آلة صغيرة تشبه منشاق الربو تعمل على تمرين عضلات الشهيق، وقد وزع أكثر من ٣٠٠٠ جهاز على المصابين بذلك المرض، وبعد شهر من التجربة أفاد مستخدموه بتحسن ملحوظ في ممارسة حياتهم اليومية، وقد تم تطوير هذا الجهاز عن طريق تمويل من المؤسسة الخيرية الطبية. أما الإحصاءات فقد زادت أربعة أضعاف حتى بلغ مرضى الربو في العالم الغربي اليوم ١٥٠ مليون شخص.

ضبط ٨٢٠ ألف قرص كمبيوتر مقلد

تم ضبط عدد كبير من أقراص الكمبيوتر المقلدة (سي دي) من قبل السلطات السعودية، وذلك عند محاولة تهريبها عبر عدد من المنافذ الجمركية، فقد تم ضبط أكثر من ٦٥٠ ألف قرص مقلد في أثناء محاولة إدخالها عن طريق الميناء الجاف في الرياض. وضبط ١٧٠ ألف قرص مقلد عند محاولة إدخالها عن طريق جمرك مطار الملك عبدالعزيز بجدة ومطار الملك خالد بالرياض وجمرك جسر الملك فهد.

وقد تم إتلاف ٤٠٠ ألف أسطوانة كمبيوتر تحتوي على برامج منسوخة ومقلدة من قبل وزارة الإعلام.



الايدز... الرعب مستمر

أفاد تقرير لبرنامج الأمم المتحدة لمكافحة الايدز أن ٣٤,٣ مليون شخص يحملون فيروس «إيتش آي في» أو أصيبوا بمرض العوز المناعي المكتسب «الايدز» في العالم حتى أواخر عام ١٩٩٩، بينهم ٢٤,٥ مليوناً في أفريقيا جنوب الصحراء. وينشر هذا التقرير مرة كل عامين قبل المؤتمر العالمي حول الايدز الذي عقد هذه السنة بين ٩ تموز/يوليو و١٤ منه في مدينة دوربان (جنوب أفريقيا). وتوقع التقرير أن تموت غالبية الـ ٣٤,٣ مليون شخص في غضون السنين العشر المقبلة مالم تحصل معجزة ما.

كما سجل عام ١٩٩٩ إصابة ٥,٤ ملايين شخص بفيروس الايدز ووفاة ٢,٨ مليون مصاب به مما يرفع عدد حالات الوفاة منذ بدء انتشار الوباء إلى ١٨,٨ مليوناً.

وتشهد أفريقيا جنوب الصحراء الانتشار الأكثر سرعة للايدز إذ سجلت ٤ ملايين إصابة جديدة عام ١٩٩٩.

وكانت التوقعات عام ١٩٩١ قد قدرت عدد المصابين بالايدز في أفريقيا جنوب الصحراء بحلول نهاية العقد بـ ٩ ملايين على أن يقارب عدد حالات الوفاة ٥ ملايين.

وشهدت جنوب أفريقيا أكبر عدد من المصابين بالفيروس أو بمرض الايدز في العالم بلغ ٤,٢ مليون مصاب. ولدى مقارنتها بأفريقيا بدت معدلات الإصابة المسجلة في آسيا أقل نسبياً إذ لا تتعدى نسبة المصابين ممن تراوح أعمارهم بين ١٥ و٤٩ عاماً ١٪ من مجمل السكان في ثلاث دول هي كمبوديا وبورما وتايلاند وفي أندونيسيا الدولة الرابعة في العالم من حيث عدد السكان يصاب نحو ٥ أشخاص من كل ١٠ آلاف مقابل ٧ من كل ١٠ آلاف في الفليبين إلا أنه في بعض الدول المكتظة بالسكان تسجل نسبة إصابة ضئيلة لكنها تنعكس في الواقع على عدد كبير من السكان. ففي الهند حيث ٧ بالغين من كل ١٠٠٠ فقط مصابون بالفيروس، يعيش ٣,٧ ملايين مع الفيروس أو المرض أي أكثر من أي دولة أخرى في العالم باستثناء جنوب أفريقيا. وفي أمريكا اللاتينية تسجل أعلى نسب الإصابة في الدول الغربية من جزر الكاريبي إذ يقضي الفيروس على سكان عدد من هذه الجزر، وتفوق الإصابة بالفيروس في هايتي٥٪ من البالغين فيما تبلغ ٤٪ في الباهاماس.

كما تشهد هندوراس وغواتيملا وبليز والبرازيل انتشاراً متسارعاً للايدز.

ونبه برنامج الأمم المتحدة لمكافحة الايدز إلى أن الفيروس لا يحظى بمراقبة مشددة بين مثيلي الجنس -مثلاً-، الأكثر تعرضاً للفيروس من سواهم.

وفي أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى، يمثل تعاطي المخدرات بواسطة الحقن الخطر الأكبر لانتقال الفيروس ولاسيما في الدول الغنية التي تسجل نسبة مرتفعة من المصابين بين مثيلي الجنس.



تلك الخطوة؟

فاطمة السهيمي
عسير

**الحياة صور وشخصيات و.. أحداث..
الحياة قصص صغيرة تصب في روايات طويلة..
نحن نرى.. نسمع.. نتكلم و.. نسجل..
حروف مبعثرة تكوّن فيما بينها مفردات واقع يصافحنا كل يوم.. ونحياه.**

الرجل والمرأة كلاهما: أصبح يرفض فكرة عودة المرأة لمنزلها، وربما كانت الأسباب مادية بحتة كما يبدو لنا لأول وهلة، لو لا أن إحداهن روت تجربتها التي تخرج قليلاً عن هذا المسار تقول:

عندما تزوجته كنت على استعداد للتضحية بأي شيء أي شيء من أجله، كان راتبه كافياً لإعالتنا خصوصاً وأننا لم نرزق بعد بأطفال، وكدت أن أتخذ قراراً مجنوناً بهجر التدريس إلى الأبد، من أجل أن يعود من عمله فيجدني أمامه، ويجد بيته جنة، إضافة إلى أنه لم يكن لي ميول قوية للتدريس، ولكن الله أراد أن يتأخر تنفيذ القرار بضع سنين بسبب التردد ورفض الأهل ونصائح المجربين أخيراً قرر زوجي الزواج، لكن ليس من فتاة!! لقد تزوج زوجي الإنترنت. وفشلت تماماً في إحباط هذا المشروع، وأصبح وقت زوجي مقسماً بين العمل والنوم والإنترنت، وشعرت يوماً بعد يوم، أنني أرحل بعيداً عن اهتمامات زوجي، ولم يعد صوتي يلقى صداه عنده كما كان يحدث من قبل، وأصبحت المدرسة، التي كانت جحيماً أفر منه إلى جنة بيتي، جنة أهرب إليها من الجحيم.. لقد وجدت في مدرستي عزائي عن كل ما افتقدته فجأة من حب واهتمام، وأصبحت أنتظر الصباح بفارغ الصبر لألقى زميلاتي وتلميذاتي وأنسى معهن آلامي وهمومي، فماذا كان سيحدث لي لو أنني قدمت استقالتي!؟

وتقول أخرى: إنني لا أتخيل حياة أولئك اللاتي يعشن حياة زوجية قاسية وليس لديهن عمل خارج المنزل، إن العمل بعيداً عن مردوداته المادية، متنفس رحب للهروب من رتابة الحياة وضغطها داخل أسوار المنزل!!

إذاً فأسباب نفسية وترويحية واجتماعية تدعم الأسباب المادية التي تدفع المرأة دفعاً للانخراط في العمل خارج المنزل، لكننا – مع كل ذلك – لا يمكننا تجاهل ما تعانيه المرأة من ضغوط نتيجة لذلك وإن كان البعض يرفض هذه الفكرة، تقول إحداهن: «إنني أم لثلاثة أطفال أكبرهم في الثالثة من عمره، ومعلمة، أعود ظهراً من مدرستي الابتدائية لحسن الحظ، أصطحب أولادي من عند جدتهم إلى منزلي حيث أسخن الغداء الجاهز منذ الليل، وأنظف أطفالي حيث يستعدون للقيلولة وننام حتى العصر، ثم أمارس حياتي بشكل طبيعي، حيث إنني أنهي جميع أعمال المدرسة في المدرسة، وأتفرغ في المنزل لخدمة زوجي وأطفالي، ولا أتخيل نفسي بلا عمل فالعمل

خارج المنزل يشعر المرأة بكيانها وأهميتها، يشعرها بأن لها دوراً ومهمة في الحياة، ولن أتخلى عن عملي ولا يمكنني تصور ذلك»

وربما كانت هذه السيدة على حق، فظروفها زائد إرادتها بالطبع، ساهمت في استمتاعها بأداء عملين شاقين بنفس راضية، لكن استمعوا لهذا الصوت المعارض «عندما يتهيأ لك زوج متفاهم، وأهل متعاونون كما يحدث مع المتحدثة أعلاه فلا يبدو أن هناك مشكلة لكن تصوروا ماذا يمكن أن يحدث عندما يذكرك زوجك كل لحظة أنك مقصرة في حقه وحق بيته وأطفاله، وأن بيتك أولى بك من هذه الساعات التي تقضينها هدراً في تعليم بنات الناس، وماذا يمكن أن يحدث عندما يعلق أهلك وأهل زوجك رفضهم لاستقبال أطفالك الاشقياء لمدة نصف نهار كل يوم، ولماذا جدات هذا العصر أصبحن مسؤولات عن العناية بجيلين، جيل أولادهن، وجيل أحفادهن، وهل هذا الوضع من صور البر بالوالدات عندما يبلغن الكبر؟»

والسؤال الآن، لمن نترك تعليم الجيل؟!

إن مسألة التخلي عن السعودة في الوظائف التعليمية النسوية لم يعد لها ما يبررها، كما أنها لم تعد مستساغة أو مقبولة من أحد، فما هي الاقتراحات التي تلقى بهذا الشأن وما هي البدائل؟

يبدو أن من الصعب طرح بدائل ربما لن يتقبلها أحد، فالمجتمع لم يتقبل بعد فكرة عودة المرأة لمنزلها، كما أن المرأة نفسها لا تتقبلها للدوافع التي ذكرناها وربما غيرها كثير، ولكن دعونا نفتش -معاً- عن تلك البدائل على فرض أن المرأة - على الأقل- ترغب فيها.

أقوى تلك البدائل تعيين الشابات غير المتزوجات في ميدان التدريس والتطبيب والتمريض على أن تصرف مبالغ شهرية رمزية لكن دائمة لمن خدمت في هذه المجالات ثم تزوجت، على ألا تحرم المتزوجة كلياً من العمل، لكن عليها تقديم مبررات كافية حين ترغب في ذلك.

البديل الآخر المطروح والأقرب للتطبيق وللواقع أيضاً نظام الدوام الجزئي فغياب المرأة عن بيتها (٣-٤) ساعات لا يساوي غيابها دواماً كاملاً كل يوم على أن تحرر المعلمة-تماماً- من قيود التصحيح والرصد وسائر الأعمال الكتابية بما في ذلك التحضير والتفرغ للعمل بمعناه العميق.

البديل الثالث تطبيق نظام الشبكات التلفزيونية المغلقة بحيث يتولى الرجل مهمة التدريس للبنين والبنات معاً.

وأرجو ألا يقول قائل: ما فائدة تعليم الفتيات ما دمنا سنحرمهن من ممارسة العمل؟

إن تعليم الفتاة ضرورة ولا معنى لتفريغ أم لمنزلها، وهي جاهلة لمهماتها، لكن ينبغي أن تقوم المدرسة بدورها التثقيفي والتوعوي والإعدادي في هذا المجال، ومن يدري فربما أعادتنا هذه الطريقة إلى العصور الذهبية للأمة الإسلامية عندما كان العلم يطلب لذاته ولمرضاة الله وللاستنارة والعمل به.

وليس جسراً للوصول إلى الوظيفة

إن الذي يلزمنا قليل فقط من القناعة المادية، تتخلى المرأة عن مرتبها الذي تنفقه غالباً على ملابسها الفاخرة وأثاث منزلها الراقي وملابس أطفالها المستوردة وهدايا صديقاتها، وإن كنا لا نغفل دور أولئك الصامدات اللاتي يسحقن أنفسهن تحت مسؤوليات المنزل والمدرسة لتطعم الواحدة أفواهاً جائعة وترفأ أثواباً مهترئة وتنفق بيمناها ويسراها للمجتمع والأمة.

إن نضارة المجتمع لن تعود قبل أن تعود المرأة لتخريج الأجيال من جامعة منزلها الراقية، لكن مازال بيننا وبين تلك الخطوة مئات الأفكار والاعتراضات والاقتراحات والتحفظات، التي قد تأتي تباعاً عبر صفحات المعرفة. ■





كثيراً ما نردد في مجالسنا: لو كنت مكان فلان لعملت كذا، ولو كنت مكان علان لما عملت كذا! والأمثال تقول: «ليس من رأى كمن سمع»، و «وما يوجس النار إلا واطيها»!
نحن - هنا في المعرفة - نحاول أن نوجد مقاربة سوريالية بين الخيال والواقع.
نصدر «قراراً معرفياً» بتعيين فلان في المنصب الفلاني لمدة ٧ أيام، لننظر هل ستكون هذه الأيام سبعاً سماناً أم عجافاً، أم غير ذلك؟
ها هو صاحب المنصب الخرافي يتحدث إليكم..

عبدالرحمن أبو عمَّه:

مطلوب هيئة عليا «للتفتيش» على التعليم العام

المنصب: عضو مجلس التعليم العالي.
المرشح : عبدالرحمن أبو عمَّه.
عضو مجلس الشورى

السبت

ربما تبادر لي سؤال لن أطرحه على الحاضرين من أعضاء المجلس في أول اجتماع، وهو سبب وجود معالي وزير المعارف ومعالي الرئيس العام لتعليم البنات في عضوية المجلس، علماً بأن المادة الرابعة من نظام مجلس التعليم العالي والجامعات تنص على أنه يسري على الجامعات السعودية السبع والجامعات التي تنشأ مستقبلاً ما لم ينص قرار إنشائها على خلاف ذلك، أي أن النظام يشمل الجامعات الثمان بما فيها جامعة الملك خالد، وقد أتقدم باقتراح لإلزام كليات المعلمين في وزارة المعارف والكليات الجامعية والمتوسطة في الرئاسة العامة والكليات الصحية التابعة لوزارة الصحة بكل قرارات المجلس كمرحلة أولى تمهيداً لما سأتقدم به من مذكرات في الجلسات القادمة، وسيكون وجودهم ضرورياً ومهماً في حال قبول هذه المذكرات.

الأحد

سأتقدم في هذا اليوم بمذكرة لأن يقوم على التعليم العام، في الأقل، وزارة واحدة لظني أنه كان من الضروري فصل إدارة تعليم البنات عن إدارة تعليم البنين لأهداف كثيرة منها: وضع أسس تضمن فصل مدارس البنين، وفي كل المراحل، عن مدارس البنات، والتأكيد على أهمية تعليم البنات وإعطائه فرصة مساوية لتعليم البنين، وربما ميزة التسارع الذي يضمن وصوله إلى كل المراحل بالتوازي، وقد نجحت الرئاسة في ترسيخ هذين الهدفين، وحان الوقت لأن نساوي في المعاملة الإدارية والمالية بين الجهتين البنين والبنات، ونساوي في خطط التوسع في القطاعين، ومع تأكيدي على أهمية الفصل التام في المدارس وأقسام الإشراف والتوجيه، ووضع الأنظمة واللوائح التي تؤكد هذا الفصل إلا إنني لا أرى مبرراً لوجود وزارة ورئاسة يديرها الرجال بالكامل وتتكرر فيها الوكالات والإدارات العامة.



الاثنين

أدعو في مذكرة اليوم إلى توحيد سلطة التعليم العالي في جهة واحدة وأقترح ضم كليات المعلمين إلى الجامعات ودمجها في كليات التربية القائمة في هذه الجامعات، أو لتكون هي كليات تربية أو كليات جديدة للمعلمين في هذه الجامعات، كما سأضم في مذكرتي طلب ضم كل كليات الرئاسة العامة لتعليم البنات المتوسطة منها والجامعية لأقرب جامعة مع التأكيد على فصل كليات تعليم البنات أو أقسامها على مستوى التدريس عن كليات البنين وأقسامها، وأطلب إصدار لائحة بهذا الخصوص تُحدد فيها علاقة هذه الأقسام بعضها ببعض، وتضع الضوابط والشروط والظروف والجزاءات التي يمكن لعضو هيئة التدريس من تدريس الطالبات عبر الشبكة التليفزيونية أو ما يسمى بالقاعات الزجاجية، مع تحديد جهات المتابعة والمراقبة وإجراءاتها.

الثلاثاء

سأتقدم بمذكرة للنظر في إمكانية وضع كل أربع أو خمس كليات فأكثر في أي مدينة أو محافظة تحت مظلة واحدة تكون جامعة. فقد نجد في المدينة كلية تقنية وكلية

عبدالرحمن أبو عمّه



- **توحيد التعليم العالي..**
- **الربحية مفقودة في جامعاتنا.**
- **إنشاء هيئة للتقويم الأكاديمي والاعتماد المهني.**
- **دمج التعليم العام في وزارة واحدة.**

معلمين وكلية معلمات وكلية صحية وكلية مجتمع، ولكل منها مرجعية. يصعب التنسيق بين هذه الكليات والتعاون فيما بينها وتبادل الخبرات حتى وإن كانت متجاورة، وبالتالي قد تحتاج، في الأقل، كل من مدن الرياض وجدة والدمام والمدينة إلى جامعة أخرى، بالإضافة إلى الجامعات القائمة، وقد نرى جامعتين في القصيم وجامعة في حائل وجامعة في تبوك وأخرى في عرعر. وكل هذه الجامعات لن تضيف عبئاً كبيراً على ميزانية الدولة وستؤدي إلى استغلال أمثل للإمكانات المبعثرة.



الأربعاء

سأتقدم بمذكرة للمجلس، من أهم مرفقاتها مقال قرأته لمعالي الدكتور خالد العنقري وزير التعليم العالي نشرته مجلة الأموال في عددها الثاني عشر، ويكون محتوى هذه المذكرة الاستفادة من خبرات الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وأستراليا وبريطانيا في وضع نظام لمؤسسات التعليم الخاص حيث إنه لا توجد جامعة واحدة من مئات الجامعات الخاصة المرموقة أو المعروفة في هذه الدول ينص نظامها على الربحية.

وآمل أن يدرك مجتمعنا أنه لا يمكن أن تكون الجامعة مربحة، ولا يمكن لأغلب أفراد المجتمع من تحمل تكاليف تعليم أبنائهم، وأن الرسوم التي يدفعها المبتعث السعودي في الجامعات الأجنبية لا تغطي رغم ارتفاعها في الغالب، التكاليف الفعلية لدراسته، وأن تعليم التجارة لا يعني التجارة في التعليم.

كما أنه يوجد تعارض بين الربح والتعليم العالي في أغلب التخصصات. وقد أشعر بالشجاعة وأقترح إعادة دراسة وضع مكافآت الطلاب التي قد تصل إلى أربعة مليارات ريال تدفعها الدولة لطلاب ولا يجد زملاء لهم مقاعد في كليات التعليم العالي، علماً أن هذه المكافأة لا تفي بحاجة الفقير، ولا تكفي لتغطية نفقات المغترب، وقد يحتاج التفصيل في هذا الأمر إلى أسطر أخرى.

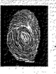
الخميس

أدعو في مذكرة جلسة اليوم إلى دراسة وضع القبول في التعليم العالي إذا استمرت المشكلة قائمة بعد هذا التوسع وإعادة الهيكلة للنظر في إيجاد إدارة مركزية لتنسيق القبول في التعليم العالي. كما أقدم في مذكرة أخرى إنشاء هيئة للتقويم الأكاديمي والاعتماد المهني لتضمن للدولة حسن استثماراتها بالتعليم العالي تكون مرتبطة بوزير التعليم العالي إدارياً، وتقدم تقاريرها عن مدى التزام التعليم بأهدافه وهيئة عليا للتفتيش، وليس التوجيه والإشراف، على التعليم العام ترتبط بالوزير إدارياً ولا علاقة لها بأجهزة وزارة المعارف. يشارك في مجلس إدارة هاتين الهيئتين، أو قد تكون هيئة شاملة لهما، خبراء وتربويون ورجال أعمال وممثلون عن الهيئات المهنية السعودية، تعرض الهيئة تقاريرها، مع رأي الوزير المختص، على رئيس مجلس الوزراء، وربما مجلس الشورى أو المجالس المعنية الأخرى.

الجمعة

أحمل المذكرات العشرين الباقية، وأعود إلى بيتي وأفصل سماعة الهاتف، وأتوقف عن قراءة كل الصحف والمجلات لمدة أسبوعين حتى لا أسمع ردود الفعل عن «ما جناه عليَّ لساني»، وأقرر عدم التعاون مستقبلاً مع القائمين على مجلة المعرفة؛ لأنهم نشروا كل أقوالي وعلى توريطهم لي في التحدث عن وزارات كانت ومازالت تؤدي دوراً متميزاً ويقوم عليها مسؤولون أُكن لهم كل تقدير واحترام، ولكنني أؤمن بأهمية التعليم وأولويته في التنمية، وبالتالي أهمية تقويمه وتطويره دورياً. ■


شماغ الأمير للرجل الوسيم
متوفر لدى جميع
المحلات الراقية



أحياناً المشاعر الكبيرة لا تحتاج إلا إلى عبارات صغيرة، كما أن بعض الأفكار الكثيرة تحتاج إلى كلمات قليلة للتعبير عنها.
هذه هي لغة السر في سر اللغة!
«ثرثرة» ..لا يقصد بها دوماً كثرة الكلام، بل قد تعني الكلام الذي يُلقى على عواهنه.. بكل بساطة.
هكذا «ثرثرة» هنا، كلام يلقى على عواهنه.. فخذوه أنتم أيضاً على عواهنه.. بكل رحابة صدر.

أحمد عسيري
جدة

- حوادث المرور: «الروح» تمضي!!.. و«السيارة» تبقى!!
- دفتر التحضير: «يومياتك» التي تكتبها رغماً عنك لتقرأها وحدك!!
- ولي الأمر المثالي «الطيّب!!»: هو الذي يرسب ابنه في الاختبار بسبب ربع درجة!!.. فيقول: يبدو أن الاختبارات كانت صعبة هذا العام!!.
- المدير الناجح: هو الذي يضع خطاباً يصلح لكل المناسبات!.
- معلم الخبرة «الطيّب»: هو معلم عاش طويلاً.. حتى رأى تلاميذه معلمين، ثم وكلاء، ثم مديرين يعطونه نصابه كاملاً!
- الموجّه: شخص يتكلم ويتكلم ولا يقول شيئاً!
- ديمقراطية الموجهين تقول:

البند الأول: عندما نتفق مع المعلم ندعه يقرر!
البند الثاني: عندما نختلف مع المعلم فنحن الذين نقرر!

- حصة الانتظار: الجزاء الرادع لكل من تسوّل له نفسه الحضور إلى المدرسة!
- يكثر «الحشو» في مناهجنا لأنها «دسمة»!

ولأنها «ضحلة» فنحن «نخوض» فيها!

- إلى أولياء الأمور:

خذوها على بلاطة!. التقويم المستمر: هو نجاح و «رسوب!» أولادكم دون علمكم!!.

- يا إلهي!!.. حتى «طرائق التدريس» نشرحها بطريقة «إلقائية»!
- «مناهجنا» قتلت «مباهجنا»!!. والسبب بكل بساطة لأن: عكس كلمة «منهج» هي «جهنم»!!
- صباح الليل أيها السبت!!. يا عنوان الكبت!!
- كابوس المعلمين يتلخص في المقطع الأول من «النـ.....هار»!!

والمقطع الثاني من «الأعـ.....صاب»!

- الرياضيات قليلة أدب بالفعل!!.. فهي تثبت ما هو واضح بطريقة غير واضحة!!
- تعجب: المعلم يتذمر!!.. المعلمة تتذمر!!.. زواجهما يثمر!!.. كيف؟!
- المدير لطلابه: أرجو «الانصراف» مبكراً!!. والجدّ والمثابرة وقت «الإجازة»!

ثم التفت إلى معلميه قائلاً: ناقشوا «طلابكم» فيما يُشكل «عليكم».

- يعتقد العلماء: أن «الببغاء» كان -في الأصل- أحد الطلاب المتفوقين في مدارسنا!!
- نعم!!.. «المعلمة» تتعب أكثر من «المعلم .... المتقاعد»!!
- مجتهد جداً!!.. فهو «يصُمّ» دروسه «صمّ»!!. رغم أن معلمه «أصمّ».
- المرشد الطلابي: شخص يعمل في «المدرسة» كي يحل مشكلات التلاميذ التي سببها «المدرسة»!!
- قانون وزاري: يجب على كل معلم «مضروب» إحضار وليّ أمره!!

يغيب المعلم عن «المدرسة»!!!.. ليش؟!
يغيب المعلم عن «الوعي»!!.. معليش! ■



ذوات النمو الغامض؟!

عبدالله بن عبدالهادي العمري
المخواة

عقلب قيلولة المعلمين الطويلة، وما بين المغرب والعشاء، كنت ألاعب أطفالي، فإذا بالهاتف ينادي: «ارفع سماعتي وكلّم مديرك أيها المعلم». وتحدثت معه مضطرباً كعادتي، فأخبرني بوجوب الحضور إلى المدرسة، وفي زمن لا يوصلني إلى منتصف الطريق. فقلت لنفسي: لقد علم الرجل بما حدث، ولا شك أنها آخر ليلة لي في التعليم. ذهبت وأنا أجهز إجابات للأسئلة المتوقعة منه حول الحادثة، متفنناً في صنع المراوغة التي ربما تنقذني من ذلك المأزق الشديد. ورأيت أخيراً أن أعترف بذنبي، وأقدم الاعتذارات والتعهدات اللازمة له ولمن يريد عليّ اخرج بتنبيه أو لفت نظر أو لوم أو حسم أو نقل أو أي عقاب ممكن، إلا قطع الرزق. ووصلت في الوقت الذي يريد، ولا أدري كيف، لكنني وصلت بحذاءين مختلفين، وثوب مقلوب، وأصابع مقضومة أطرافها. ودخلت الإدارة بصوت الخاشع، مقدماً نصف ما حفظته في الطريق، فقال: اكتب لي إفادة بالواقعة ثم الاعتذار، ثم التعهد. ففعلت ما أراد، وختمتها بتوقيع المعلمين الصغير جداً، كما هو مرسوم في دفتر الدوام الجديد، وقلت: يا صاحب المكرمة لم أقصد إلا مصلحة الطالب، قال: نعم، ولكن ليس بهذه الطريقة، فهناك طرائق نظامية تربوية تعالج هذه المشكلة، وكان ينبغي عليك فعلها، وليس من حقك أن تفعل ما فعلت، كما أن الأمر تفاقم لدرجة تستوجب حضور محققين لمعاقبتك على عدم تقيدك بالأنظمة، فقلت: بصوت لم يسمعه إلا أنا: أفي تلك الأنظمة العقاب أولى من حل المشكلة؟، وما تلك الأنظمة التي لا يعرفها إلا المحقق، وواجب علينا تطبيقها دون معرفتها؟ سكت فترة بعدها قال: ما هي القصة؟ أنا لا أعرف عن أي شيء تتحدث؟ قلت: عن ذلك الطالب الذي انشغل عني في أثناء الدرس، وتمادى في الانشغال رغم تنبيهي المتكرر له، مما جعلني أوقفه على قدميه لمدة سبع دقائق فقط، ألم يشتك لك؟ قال: لا، ولكن يا أستاذ كان ينبغي عليك ألا توقف الطالب، هذا عمل يخالف الأساليب التربوية، وأنت معلم تربوي تفهم ذلك جيداً. حسناً سنناقش القضية فيما بعد، لكنني دعوتك وزملائك لأمر آخر، فقد اتصلت إدارة التعليم تخبر بأنها تلقت اتصالاً من الوزارة، يخبر عن زيارة وفد رفيع المستوى إلى مدرستنا غداً، ونريد ترتيبها وتنظيمها حتى «نبيّض وجه الجميع»، كما رأيت إنشاء العديد من النوادي والمراكز التعليمية بالمدرسة، منها النادي الكشفي والنادي الرياضي والنادي العلمي ومركز التوعية الإسلامية ومركز الإعلام التربوي ومركز إنتاج الوسائل التعليمية ومركز المعلومات ومركز التقنيات التعليمية والمعرض العام للمدرسة و... ولكل معلم منكم سهم، وأنت لك ثلاثة أسهم، فالهمة الهمة، ولنبدأ العمل كي ننجزه في أسرع وقت. قلت «في نفسي»: إذاً سأبذل قصارى جهدي في ذلك الجانب علّه ينسى الحادثة وينسى تلك الورقة المذلة. فقمت مقام العديد من الشركات والمؤسسات من نظافة ونجارة وانتاج مبتكرات وتصميم ديكورات وتنظيم مختبرات وتشغيل معامل كانت مستودعات، ونجحت في إنهاء ذلك قبل الفجر. ثم عدت إلى المنزل لأعود إلى المدرسة المبدل حالها وحال العاملين بها، بل وحال طلابها، وحين رأيت وضعها الجديد، قلت: ليت الوفد يزورنا كل يوم. وبدأنا يومنا الدراسي بجد واجتهاد ليس لهما نظير من قبل، حتى شارف اليوم على الأفول، إذا بالوفد يزور، حينها كان الإرهاق والتعب قد تمكنا من ذهني ومن جسدي، وفي ذلك الفصل ورغم كتابتي لنصف العنوان على السبورة، نجح الطلاب في إقناعي بالخلود للراحة على ذلك الكرسي الصغير مقابل التزامهم بالهدوء وانشغالهم بحل الواجب، وما إن جلست



حتى انتقلت إلى عالم الأحلام، وصحوت فجأة على صوت طالب يقول: يا أستاذ الوفد في الفصل، فوقفت مرحباً ومعانقاً من الميسرة إلى الميمنة، ومن الوسط إلى الأطراف، حتى قضيت على أناقتهم جميعاً بما فيهم مدير المدرسة ووكيلها. وبعد أن ردّ الجميع أنفاسه، قال رئيس الوفد: استمر يا أستاذ، فقلت في نفسي أي شيء يريدني أن استمر فيه؟ أفي الراحة أم في ذلك الدرس الذي لم أكتب إلا نصف عنوانه فقط؟ (نمو...) ولا أذكر نصفه الآخر، فالتفت إلى السبورة علّي أجد ما يذكرني، فوجدتها قد ملئت بتقارير عن دوري كرة القدم ورسومات وتوقيعات بالكنى والألقاب واستعراض لجمال الخط وأسماء لأشغب مشاغبي الفصل، وحتى أخرج مما وقعت فيه، قلت للطلاب: إن موضوعنا اليوم، هو نمو الأشياء، فكل هذه الأشياء تنمو، فالخط والرسم موهبة تنمو، وكما أن الأفرقة في الدوري تنمو، فالإنسان والحيوان والنبات ينمو، وكلما كان حجم الشيء كبيراً كان نموه واضحاً ملموساً، وكلما كان حجم الشيء صغيراً كان نموه غامضاً ولا نشعر به، والآن ليعطني أحدكم مثالاً على شيء ينمو نمواً واضحاً، فقال أحدهم: الإنسان نراه مولوداً ونراه رضيعاً ونراه طفلاً ونراه شاباً ونراه شيخاً، قلت له أحسنت، ثم قام زعيم المشاغبين وبأدب غير معتاد، قال: يا أستاذ هل تسمح لي باستفسارين بسيطين؟ قلت: وبكل دهشة وخوف: تفضل يا بني. قال: هل التعليم ينمو بالليل أم بالنهار، وهل هو من ذوات النمو الواضح أم من ذوات النمو الغامض؟ فقلت مقالة المتنبي الأخيرة لغلامه: «قتلتني»، إن التعليم ولد في النهار ويجب أن ينمو في النهار، فإن كان واضحاً نموه بالليل وغير واضح نموه بالنهار، فهذا مرض وليس نمواً، فالخلايا يزداد نموها أحياناً إذا أصيبت بالسرطان، وخرج الوفد مسرعاً إلى سجل الزيارة ليسجل غضبه وسخطه على كل المعلمين في صفحة، ويسجل إعجابه الشديد وشكره البالغ فيه لمدير المدرسة على ما وجده من نظافة عامة ومبتكرات علمية وتصميم ديكورات وتنظيم وتشغيل للمعامل والمختبرات!! ■



«أبو برقان» قهوجي يعمل في ديوان الوزارة، يتميز بنفوذه في المكاتب المغلقة عبر «إبريقه» السحري وهيمنته على «مزاج» المسؤولين!

وسائله الصحفية: إبريقان وفنجان واحد، أحد الإبريقين مملوء «شاي» والآخر مملوء «حبر»، أما الفنجان فهو الميكروفون اللاقط لأدق الأنباء من شفاه المسؤولين.. رشفة رشفة!

سُمي «أبوبرقان» نسبة إلى «أباريقه» الفواحة.. وإلى عيونه التي تلتقط الخبر من الأوراق كما يلتقط «البرق» ظلام الأرض! كما أنه لا يجيد التحدث إلا بلغته التلقائية التي لاتخلو من العامية الدارجة.

«أبوبرقان» هو المحرر السري للمعرفة.

* * *

وهاهي « أم برقان» تنضم إلى وكالة زوجها البرقانية للأنباء، لتؤدي نفس الدور في ديوان تعليم البنات. «أم برقان» هي المحررة السرية للمعرفة!

أبو برقان يتحدث إليكم..

أمن وسلامة

حرصاً من وزارتنا على سلامة أبنائنا الطلاب، سيتم الاتفاق مع عدد من شركات الأمن والسلامة ليقوموا بالإشراف على أمن وسلامة مدارسنا وطلابنا بواقع «واحد سيكورتي» لكل ٢٠٠ طالب..

بس ياخوفي أن ميزانية هذا المشروع ستكون على ظهر مقصفنا العزيز..!

هيئة عليا للتفتيش

سمعت أن توصية «عليا» خرجت بإنشاء هيئة «للتفتيش» التربوي، تكون مستقلة عن الوزارة على غرار هيئة الرقابة والتحقيق.. ديوان المراقبة.. الخ.

هذه الهيئة ستفتش على مكامن الخلل في المؤسسات التعليمية وتوصي بالحلول.. المهم أن لا تتحول إلى «توجيه» ثم إلى «إشراف» ثم تضم للوزارة!!

تخطيط

ماشاء الله على وزارتنا عندها: إدارة للتخطيط الإداري، وإدارة للتخطيط المدرسي، وإدارة للتخطيط التربوي.. الناقص هو إدارة لتخطيط الخطط لادارات التخطيط.

مادة السلوك

درجة السلوك والمواظبة اللي يحصل الجميع على الدرجة النهائية فيها سيعاد تشكيلها بحيث تتحول إلى مادة أساسية من ١٠٠ درجة، ويصبح فيها نجاح ورسوب.. والنجاح يكون من ٦٠ درجة فأكثر.. وذلك من أجل الحفاظ على سلوك طلابنا وممتلكات مدارسنا.. وللأسف أن الناس ما «يجون» إلا بالدرجات ودرجات السلوك ليست للطلاب فقط.. بل وللمعلمين أيضاً..

همبرجر

تلقت الوزارة أكثر من عرض تجاري من أجل استئجار بعض المساحات الخارجية لمدارسنا لإنشاء مطاعم كبيرة للوجبات السريعة، حيث إن هذه المدارس على شوارع رئيسية كبيرة وربحها مضمون.. وش رأيكم «نطاوعهم» ولاّ نهتم بصحة أبنائنا ونعتذر للهمبرجر؟

لماذا

* لماذا فشل مشروع التغذية المدرسية بالرياض..؟!

* لماذا صرفت مكافآت التصحيح للمشرفين وحرم منها المعلمون..؟!

* لماذا عادت لجان التعاقد مع معلمين خارج المملكة..؟!
* لماذا يستمر «قوطي» النيدو الكبير على كلية المعلمين بجدة..؟!
* لماذا ينهبل عيالنا في حفلات الصيف «الخارجية»؟!
* لماذا يوجود اختبار دور ثالث في بعض المدارس الأهلية؟!
* لماذا يضيع انتداب افراد الكشافة في معسكر الطائف.

أم برقان تتحدث إليكم..

مساكين

مساكين ها لمعلمات.. مايلقن إلا العين الحمراء..
التصحيح إجباري واللي ماتروح.. تنقل!
قرار الندب إلزامي واللي ماتروح.. تنقل!
بس نسيت أعلمكم أن هالشيء على «الضعوف» فقط!

حوسبة

تم الإتفاق مع شركة كبيرة «لحوسبة» المدارس وتدريب المعلمات والإداريات على أمور البرمجة وإدخال البيانات.. بحيث بعد خمس سنوات تصير مدارسنا «محسوبة»، ولهم مني – أنا أم برقان – زود سنتين، بس «يحوسبونها» لا «يحوّسونها».

سنة جدي

أبشركم مناهج بناتنا بتصير أحسن من مناهج الأولاد.. وبيصير هدفها إعداد بنات «سنعات» للحياة.. دين ودنيا.. بس الله يفرج عن هالمشروع اللي نسمع عنه من سنة جدي!

لماذا؟

* لماذا المعلمة المجتهدة العاملة خارج مدينتها لايحقق طلب نقلها بسرعة؟
– لأن المديرة تدري أنها جنيه ذهب لايفرط فيها.. أما اللاعبة.. المطنشة.. فأمورها سالكة!
* لماذا انتشرت مؤخراً ظاهرة المباشرة بالفاكس لبعض المعلمات.. ثم شوي وهي منقولة..؟!
– لكي يتم أمرها وفق «القنوات» الشرعية.. ولكي لانُحرج بنات بعض الناس قدام الناس.
* لماذا مسؤولة في الرئاسة تهدد معلمات محو الأمية بين حين وحين بالفصل والطرد بحجة أن السوق مليان..؟!
– لأن المعلمات على وظائف مؤقتة.. وما بقى من «المحاية» إلا شوي!!
* لماذا يعتقد البعض ان هناك تعقيد إداري في الرئاسة.
– أبو برقان يقول: انتي يا أم برقان «عقدة» ما بعد حليتها!! ■



المعرفة

في العدد القادم

ابحث عن اسمك بين الفائزين

في مسابقة المعرفة السادسة

فسحة

في دفع الذهول

بقلم: إبراهيم العجلوني
الأردن

قصارى مـا يبلغـه الإنسـان، بعـد ضـروب من المكابدات، أن ينجو من نزغات الشياطين.

وأن يتواءم مع فطرته التي فطره الله عليها، وأن يتصالح مع نفسـه، ويتواءم مع ذاته، فيكون من المسـبحين أهل اليقين.

ما يزعمونه من اتحاد الإنسان بالله-تعالى الله عن ذلك علواً كـبـيـراً- هو وهم عـريض، وإن تمحلوا له التأويلات. وهو لاهوت غربي خالص لا ينفكون ينفخون في رماده حيناً بعد حين.

جوهانز تاولر مثلاً-وهو متصوف ألماني اشتهر بمواعظه- يميز في الإنسان، في محاولة ساذجة، بين الأساس المخلوق والأساس غير المخلوق في جوهره، أو بين الصورة المخلوقة والصورة غير المخلوقة، ويهرف أشياء كثيرة، يرتبها على ذلك، توطئة لما يريد أن ينتهي إليه من اتحاد بين الأساسين اللامخلوق والمخلوق، هذا الاتحاد التي يصير الإنسان بمقتضاه ابن الله -تعالى عما يصفون-.

بعد تاولر هذا بما يقارب ثلاثة قرون جاء سبينوزا اليهودي الهولندي، ليعيد إنتاج أفكاره فيقول إن الله (سبحانه) والطبيعة شيء واحد أو وجهان لشيء واحد، فالله هو الطبيعة الطابعة والكون هو الطبيعة المطبوعة. وهو شرك بواح، فضلاً عن كونه أنطولوجيا لاهوتية غربية تتجافى عن الوحدانية التي يقتضيها العقل، وتؤكد انصياعها لقرارات مجمع نيقية ٣٢٥م الذي ترومت به المسيحية كما يقول القاضي عبدالجبار في تثبيت دلائل النبوة.

بعد سبينوزا بما يزيد على قرن ونصف، جاء «هيجل» ليؤكد انتماءه إلى هذا الانحراف العقلي، وليقول إن الله سبحانه محايث لهذا العالم، وإن العالم تمظهر لله، بل ذهب وراء ذلك ليقيم منطقه على جدل لاهوتي خالص، يكون الله سبحانه هو (الدعوى)والإنسان هو (النقيض) والمسيح هو (المركب) منهما أي (الإنسان الإله)أو (ابن الله) سبحانك اللهم لم تلد ولم تولد ولم يكن لك -تعاليت اللهم- كفواً أحد.

هؤلاء ثلاثة من أبرز عقول أوروبا، حكمتها على تفاوت الزمان، قرارات مجمع نيقية والأقانيم التي نادى بها، ولسان حالها يقول: إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مقتدون.

لا نقول هذا رغبة في إظهار المعلومات، أو في أن نحشر في المتفلسفة، ولكننا نقوله لنبين أن العقل الإنساني غالباً ما يكون خادماً للاعتقاد، ولو كان اعتقاداً مخالفاً لحقائق الوجود، أو كان أقرب إلى أساطير الأولين منه إلى منطق العقل السليم.

كما نقوله دفعاً لهذا الذهول الذي يغشى على بصائرنا ونحن نضاهي الغرب في الصغيرة والكبيرة، أو ونحن نعظم أصنامه ونبجل أعلامه دون أن نعرض الذي يقولونه على الموازين أو ننتخله تنخل العقلاء المبصرين.

وعلى قلة من يماشينا في هذه السبيل الصاعدة، فإن من واجبنا أن نتوقلها بين حين وحين، ولو كره الغافلون. ■

مدارس رياض نجد



E-Mail: RNS@RIYADHNAJEDSCHOOL.Com

http://www.riyadhnajedschools.com

هاتف: ٢٤٩١٦١٦